صور من الماضي القريب

(مدينة الكوفة في الخمسينيات)

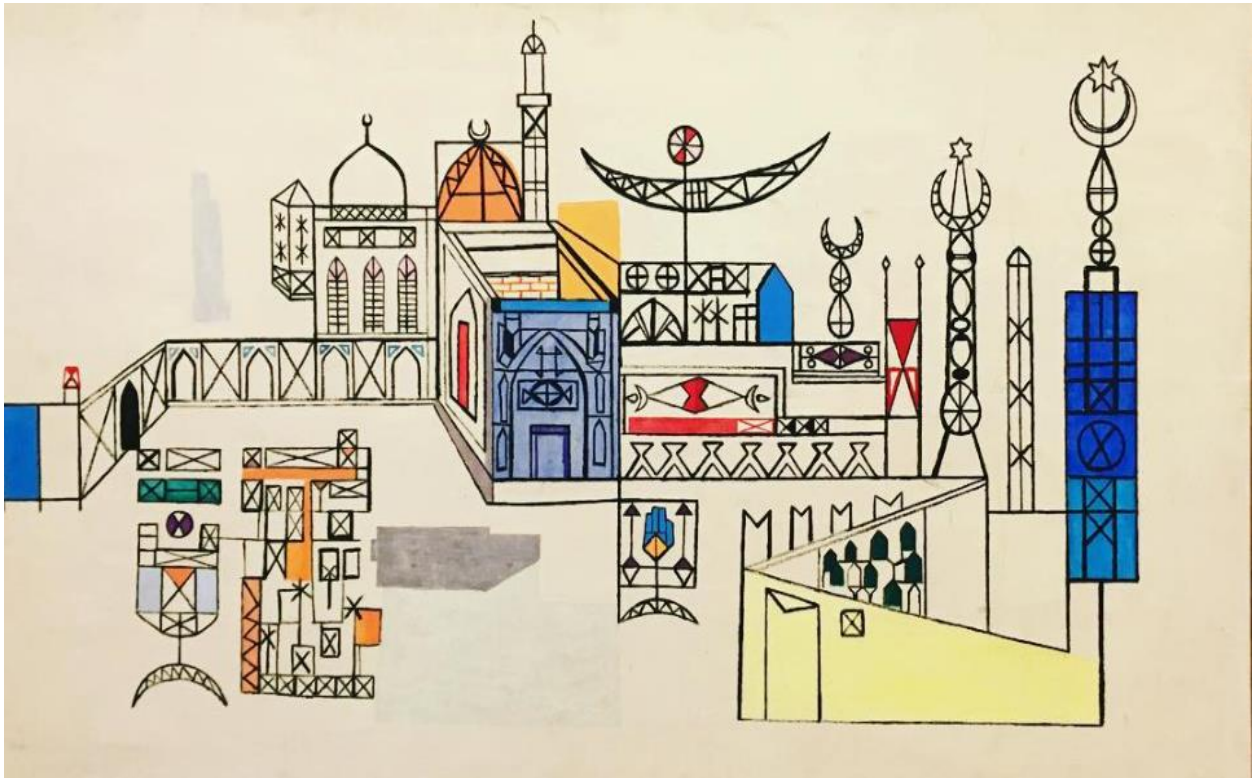

الأستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي

لوحة الغلاف: الكوفة بريشة الفنان الخالد جواد سليم 1956

الاهداء

يشرفني أن أقدم هذا الجهد المتواضع لأهلي الطيبين في كوفتنا **العزيزة**

اعتزازاً بهم وبالمدينة الخالدة

تقديم

الأستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي

عبقري من الكوفة

لا أحد في الوسط الطبي والاجتماعي العام من يجهل مكانة الأُسرة الخليلية النجفية العريقة في المجتمع العراقي، إذ استمر وجودها وتَواصلَ العلم والأدب عبر الأجيال من أعلامها المرموقين، فبرز منهم المرجع الديني، والأديب الحاذق والتاجر الماهر، علاوة على مَن اشتهر منهم بمكانته وتضلعه في العلوم الحديث المتطورة.. لكن ما يُميّز هذه الارومة الطيبة اشتغالها في العلوم الطبية منذ ما يزيد على قرنين من الزمن هو نبوغ العشرات من أبنائها في ممارسة الطب على الطريقة التقليدية القديمة، وأنهم كانوا محل ثقة الناس بعلاجاتهم وارشاداتهم الطبية، وقد واصل الجيل الجديد منهم ملازمة هذه المهنة الإنسانية الرفيعة بدراسة العلوم الطبية الحديثة ونبغ منهم عدد من أشهر الأطباء المعاصرين وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور أبي الخير عبد الهادي محمد صالح الخليلي، الطبيب العبقري الحاذق والجرَّاح النابغة المتفنن المُتْقن في أعماله وعلاجاته وابتكاراته المتميزة، الذي شغف بصنعة الطب القديمة من أبيه، "وهو الطبيب والتاجر والأديب والوجيه المعروف بين أقرانه في الفرات الأوسط"، ومن أجداده العلماء والأطباء، وبمعنى آخر فإنَّ صاحبنا قد زُقَّ علم الطب زقّاً وتشرَّبَ محبته وأحاطَ بمجمل تجاربه وأحواله وهو في ميعة الصبا، وما أن كبر ونما حتى كبر معه حلمه في دراسة الطب، فاختاره حُباً وهياماً عن عفو خاطر وأمر واقع نشأ عليه وتربَّى على اختيار ما استهواه عن شغف ورغبة عارمة، وعن استمتاع وتبصُّر واكتشاف واختراع واجتهاد حتى أصبح بعد سنين طويلة من الدراسة الواعية العالية والطواف في معاهد الطب العالمية شرقاً وغرباً فأصبح واحداً من أمهر الأطباء في الشرق الأوسط.

وليس من السهل الإحاطة بالسيرة العلمية الطويلة له ولا اريد الخوض في هذا الموضوع الواسع الذي تضيق به هذه الكلمة مهما حاولنا اختصارها، ولكنني أُشير الى مَن يريد الاطلاع على ملامح هذه الشخصية الفذَّة، يُمكنه الرجوع الى كتابه (رحلتي في الطب والحياة) والذي دوَّن فيه الدكتور الخليلي ذكرياته الممتدة لعقود في العراق وخارجه، وقد تشرَّفتُ بنشره لأول مرَّة في موسوعة الموسم الهولندية، ضمن المجلد 159 من ص 59 الى ص 546) واخترتُ له عنوان (عبقري من الكوفة) فهو عبقري بحق ومن ذوي الاطلاع الوافر والثقافة الواسعة حيث جمع بين كفاءاته الأكاديمية وبحوثه العلمية العالية الناجحة وتطلعاته الأدبية ومعرفته الغزيرة بالتاريخ والتراث بالإضافة الى مآثره الاجتماعية وصفاته الإنسانية. والمتتبع

لمسيرته وجهوده الكبيرة في خدمة الوطن يجده قد جَشَمَ المشقّة وبذل الوسع في نفع البلاد والعباد بجهوده وخدماته الجليلة. فلا عجب أن ينتخبه اتحاد الأطباء العرب عام 1997 كأفضل طبيب مرموق في البلاد العربية، وهذا مورد فخر للعرب جميعاً.

وقد ألَّف وصنّف الدكتور الخليلي عشرات الكتب والمباحث الرصينة المحكّمة في مجال اختصاصه واجتهاداته الطبية، ولا يزال – أمدَّ الله بعمره الشريف – يكتب وينشر ويتابع أعماله الرائدة، وليس في مجال الطب فقط ولكن في المجالات الأدبية والتراثية أيضاً وبهذا يدخل اسمه المبارك في سجل الأُدباء الأطباء أيضاً، ومن بين أعماله الكتابية الموفقة التي أنجزها أخيراً كتابه القيّم الذي بين أيدينا والموسوم بـ(صور من الماضي القريب) والذي يُعَدُّ أول بحث عن الحياة الفولكلورية والشعبية التي عاشها المجتمع الكوفي خلال الاربعينيَّات والخمسينيَّات من القرن العشرين.

وبهذا فهو يقدّم خدمة جليلة لمدينة الكوفة، مسقط رأسه ومحلّ أُنسه وهي عنده أكرم بلد وأطيب محتد وعلى طول حياته المديدة وبالرغم من أنه يعيش مُرغماً خارجها في الولايات المتحدة بعد أن كتب الله السلامة والنجاة من أسر الجماعات الإرهابية ببغداد فما برحت الكوفة لديه الأمل الواعد وذكرى للحياة التي عاش في ظلالها يتلمسها ويحياها بتفاصيلها الدقيقة، منذ نعومة أظفاره وحتى هذا اليوم الذي فيه وهو في عشر الثمانينيات، فلا يزال قلبه نابضاً بحبها خافقاً لها، ومن بيّنات وشواهد هذا الحب الأثير والوفاء المنقطع النظير لمدينته، هذا الكتاب الذي دوَّن فيه ذكريات وانطباعاته عن الحياة الاجتماعية بما فيها التوثيق للعادات والتقاليد والحِرف والمهن المختلفة والعمارة والنقل والأطعمة ووسائل المعيشة والمناخ والألعاب والطب الشعبي وطقوس الحياة الدينية والأعراس والأعياد والمناسبات الأُخرى وما الى ذلك من الأمور المتعلّقة بها، وكل ذلك دوّنه عن بُعد واعتماداً على ذاكرته ولا شكّ أنه أحاط بالموضوع في أكثر جوانبه ولولا انشغاله بمراجعة كتبه وأبحاثه الطبية وإعدادها للنشر بالإضافة الى مشاغله العلمية والشخصية الكثيرة لأصبح هذا الكتاب ضعف حجمه لأنه وكما أخبرني – دام عزه - قد أعدَّ العُدة لرصد الكلمات والاصطلاحات الواردة في اللهجة المحكية الكوفية وذِكر الأمثال الشعبية وغير ذلك ما له صلة بهذه المباحث، ولأضاف لكتابه هذا الصور الأصلية الدقيقة المعبّرة عن الأمور التي تطرق لذكرها في كتابه وبالطبع فأنه نجح في رصد عدد من الصور واللوحات الخاصة لكن ما يؤسفه أن معظمها يحتاج الى الدقّة الفنية المطلوبة، ويتمنى أن تُتاح له الفرصة مستقبلاً للنظر في كتابه مجدداً والإضافة اليه بما يتمناه، وبطبيعة الحال فإنَّ الكتاب الآن وكما تقدم بلغ من الإحاطة بالموضوع الغاية في رصد الملامح

الفولكلورية العامة التي عاشها في مدينته الأثيرة الكوفة، وهي الملامح نفسها أو ما يشابهها التي كانت سائدة في عامة المدن العراقية خلال الفترة التي درسها وبعضها موجود حتى يوم الناس هذا.

اننا إذ نُعبّر له نعبر لسعادته عن تقديرنا البالغ بهذا العمل الكبير، نسأله تعالى أن ينفع بجهود الأخ الكبير الأستاذ الدكتور الخليلي الطبية والأدبية والتراثية، طلابه والمعجبين به وسائر القراء، وأن يجزيه عن العلم وأهله خير الجزاء.

هولندا 12-5-2022م **محمد سعيد الطريحي**

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أدعي بأنني مؤرخاً أو خبيراً بالتراث، ولكني أسطر هنا ذكرياتي الشخصية عن الحياة الاجتماعية التي عشتها في مدينة الكوفة في نهاية أربعينيات وفي خمسينيات القرن الماضي. لا تختلف تلك الحياة في مدينة الكوفة عن الحياة التي عاشها أهلنا في بقية مدن العراق في تلك الفترة إلا ببعض التفاصيل الخاصة بكل مدينة. وثقت تلك الذكريات كي لا تندثر مع مرور الزمن. حاولت أن أرفق صورة معبرة لكل معلومة ذكرتها فيه، حيث قيل إن الصورة تغني عن ألف كلمة! جمعت تلك الصور من عدة مصادر، ومواقع على الانترنت: عراقية، عربية، وأجنبية.

شمل الكتاب "صور من الماضي القريب" جوانب من حياتنا العامة، الطقوس التي كانت تمارس، المهن التي اعتمد المجتمع عليها، كذلك ألعاب وأكَلات استمتعنا بها في طفولتنا حينذاك. ألحقت في نهاية الكتاب تذكر بعض الذوات من أهل المدينة كصورة لما كانت عليه أيام زمان وكذلك بعض الحكايات ذات العبرة التي كان والدي رحمه الله يحدثنا بها وأحداث أخرى مرت بي.

أرخ الحياة الاجتماعية في مدينة الكوفة مؤرخون أجلاء توسعوا بالتفاصيل التاريخية، الاجتماعية، الثقافية والسياسية. من هؤلاء الاساتذة كان: الدكتور محمد جواد الطريحي، محمد سعيد الطريحي، صباح راهي، كامل سلمان الجبوري، صبحي حسن الخياط وآخرين. كذلك نشر باحثون في مركز دراسات الكوفة في جامعة الكوفة وآخرون على موقع أهل الكوفة في الانترنت وفي مقدمتهم الشاعر كريم راهي والفاضل علي نعمان أمين والاستاذ باسم خضير وأحبة آخرون. وبالرغم من محاولتي تغطية ما كنا عليه في تلك الفترة، ولكن من المؤكد أن هناك مواد تراثية وثقافية غابت عني، راجياً العذر وداعيا أقراني إكمال هذا التوثيق لتكتمل الصورة بكل أبعادها.

لم تتعد طموحاتنا في الحياة ونحن أطفالا واقعنا ومحيطنا الذي عشناه في البيت والمدرسة والزقاق حيث لم تتوفر في فترة خمسينياتنا وسائل كثيرة للتواصل مع المحيط الخارجي. فمثلا لم يتوفر الراديو إلا في بعض البيوت ولم توجد دار للسينما وحتى التواصل عبر الهاتف مع المدن الأخرى لم يكن سهلا لشحة عدد خطوط الهاتف وعبر عامل البدالة. كانت مصادر المعلومات عن العالم الخارجي ما نسمعه من معلمينا أو من الكبار في مجالسهم أو ما نطلع عليه في الكتب التي نقرأها. بالرغم من بساطة تلك الحياة فقد كان لها نكهة خاصة وطعما لذيذا! كنا نعيش بسعادة تحقيق طموحاتنا البسيطة المحدودة.

أما أولادنا وجيلهم الحاضر فطموحهم ليس له حدود حيث ان حياتهم مليئة بالتغيرات الاجتماعية والتطور التكنولوجي المتسارع. فدائرة احلامهم وطموحاتهم تتفاقم وتتوسع وتتسارع. وأن أملهم بتحقيق الطموح يحتاج الى بذل الجهود والمثابرة المستمرة لصعوبة تحقيقه وإن بدا في الظاهر غير ذلك.

شمل الكتاب "صور من الماضي القريب" جوانب من حياتنا العامة، الطقوس التي كانت تمارس، المهن التي اعتمد المجتمع عليها، كذلك ألعاب وأكَلات استمتعنا بها في طفولتنا حينذاك.

حفظ الله أهلنا الطيبين في مدينتنا الخالدة وعراقنا العزيز وسلّم سبحانه وتعالى الوطن وأهله من كل سوء.

.....

شكر وامتنان: أتقدم بالشكر والعرفان للقائمين على موقع "أهل الكوفة" وللأكارم الذين نشروا فيه لما استعرت منهم بعض الصور.

المحتويات

مدينة الكوفة.....24

- تمهيد
- مسجد الكوفة
  - السير الى مسجد الكوفة
- البساتين المحيطة
  - الناعور
- تصميم البيوت
- الخانات

الحياة العامة.....38

- الحياة في الصيف
  - السباحة في شط الكوفة
    - السرداب
    - النوم على السطوح
    - سلة العشاء لحفظ الاكل في السطح
    - الوقاية من حرارة الصيف
      - غطاء الرأس
      - المهفّة
      - المروحة السقفية اليدوية
      - المروحة المنضدية

- **العاقول**
- **غسل ساحة البيت والشارع بالماء**
- **تبريد ماء الشرب**
- **الشربة**
- **الحاج إبراهيم والخفاش**
- **الجَحْلة**
- **المصخنة**
- **السقّا (السقاء)**
- **الحِبّ والناگوط (الناقوط)**
- **الثلج**
- **محلات بيع الثلج**
- **ثلاجة الماء**

- **التدفئة في الشتاء**
  - **في المدرسة**
  - **المنقلة**
  - **"الكرسي"**
  - **الصوبة**
- **النقل والسفر**
  - **الحمالون**
  - **النقل بواسطة الحيوانات**
  - **الربل**
  - **الدراجة**
  - **السفر بين الكوفة والنجف**
  - **التراموای**
  - **السفر بالسيارة**
  - **حافلات مصلحة نقل الركاب**

- النقل النهري للبضائع والنفط
- الجسر القديم
- الجسر الجديد
- السينما في الصيف
- السيرك في مدرسة البنات
- الإضاءة
  - اللمبة (السراج)
  - الفوانيس
  - و الگازة
  - "اللوكس"
- المذياع (الراديو)
- الوقاية من الحشرات
- عمل القهوة
- الكتابة

الطقوس والمناسبات.....78

- "مدرسة" شهر محرم الحرام
  - الاستعدادات
  - الاحتفال بزواج القاسم بن الحسن (ع)
  - تمثيل واقعة الطف
  - ليلة العاشر من محرم
  - التطبير
  - ليلة الحادي عشر من محرم
- شهر رمضان المبارك
  - الاستعداد
  - الإفطار

- **المجالس الحسينية في رمضان**
- **الماجينه**
- **استشهاد الامام علي عليه السلام وليالي القدر**
- **وداع شهر رمضان**

- **دعوة طعام السيد شبر السنوية**
- **مناسبات الأفراح**
  - **الأعياد**
    - **عيدي الفطر والأضحى**
    - **عيد الدخول**
  - **حفلات العقد والزواج**
  - **مناسبات المواليد الدينية**
  - **الختان وحسن صگر الفلوجي**
- **شرب الشاي**
  - **الطريقة**
  - **القنداغ**
  - **الشاي بلونين**
  - **شاي الدشلمة**
  - **شاي الحامض (النومي بصرة)**
  - **شاي الدارسين (القرفة)**
  - **شاي الزعفران**
  - **شاي كجرات (الگجرات)**
  - **شاي القنداغ**
- **طرد النحس**
  - **الحْجاب**
  - **رش الماء وراء المسافر**
  - **الحرمل**

- العْزَيْزَة
- الغراب
- االبومة

- طيور وديعة
  - السنونو" بنت السند والهند"
  - الفختاية (الفاختة)
  - اللقلق (الگلگ)
- علاجات شعبية
  - تكحيل عين الطفل
  - مسح "بلاعيم" الطفل
  - العُطّابة
  - الكمادة الحارة
  - الصداع والعصابة
  - اليرقان (ابو صفار)
  - الفوح (ماء التمن)
  - شوربة (حساء) الفروج
  - العصيدة
  - ماء الجبن

- خسوف القمر
- فقدان السن عند الاطفال
- ولادة البنت عند توقع الولد

المنزل.....119

- المطبخ
  - وسائل الطبخ
  - القدور

- ثرّامة اللحم
- خلاط اللبن
- التختة
- الهاون النحاسي
- الهاون الصخري
- الجاون
- الرحى (الرحّه)
- السفرطاس (طاسة السفر)
- المنخل (الغربال)

- الألبان
  - الحليب مباشرة من البقرة
  - الزبد واللبن والجبن
  - القيمر
- الخضروات
  - الخُبّاز مأكول الفقراء
  - تجفيف الخضروات
  - معجون الطماطة
- التجميل
  - العطور الرجالية
  - الكحل
  - الديرم
  - الحنة (الحناء)
  - طين خاوة
  - السبيداج قلاي
  - الحَجَر
  - الكيس
  - الليفة

- القبقاب
- المشط
- حمام البيت
- حمام السوق (العام)
- إزالة شعر الجسم
- الصابون
- المغسلة

- غسل الملابس
- صابون الشحم والريتة والشنان
- الچويت
- تجفيف الملابس

- الخياطة

المهن والحرف.....147

- الهاتف والبريد والبرق
- جهاز الهاتف
- البدالة
- ساعي البريد
- الرسائل المختومة بختم الشمع الأحمر
- البرق

- التصوير الفوتوغرافي
- مركب الاسنان
- الأوتچي (كوي الملابس)
- الحلاقين
- الزبال والكناس
  - طرفة

- **بائع الفرارات**
- **العرضحالچي (كاتب العرائض)**
- **"البرغش" المتجسس**
- **جني التمر**
- **كبس التمر**
- **المسابك**
- **التدخين والتتن (التبغ)**
  - **بيع التبغ**
  - **حالة اجتماعية نادرة**
  - **السجاير اللّف**
  - **قدح السيجارة**
  - **الثقاب**
- **"ابو النفط" بائع النفط**
- **الولّادة والقابلة**
- **الحارس الليلي (الوحّاش، چَرخچي)**
- **الزور خانة**
- **الدراويش**
- **النداف**
- **الصفار**
- **تبييض القدور النحاسية**
- **مصلح البريمزات**
- **الحداد**
- **صانع ادوات الزراعة وصيد السمك**
- **التنكچي**
- **الحائك**

- القندرچي والنعلچي والركّاع
- الرواف
- حداد (چراخ) سكاكين
- خياط فرفوري
- العطار
- النجار
- صناعات من سعف النخيل والقصب

رعاية الأطفال.....186

- القماط
- الفطام
- مص الاصابع
- ماء الغريب
- الترياك
- الحفاظات (الحضينة)
- الكاروك (المهد)
- بطل (قنينة) الحليب
- حليب الرضاعة
- الحجلة
- الخرخاشة

ألعاب الأطفال.....191

- مدرسة "الزقاق"
- المرصع (المصرع)
- الچعاب (الكعاب)
- اللعب بالكرة

- **الدعبل**
- **السيفون**
- **حرامية وحاحيش**
- **محلقو "التوكي"**
- **خريسة**
- **العربة البسيطة**
- **اللعب بالدواليب**
- **الجذع (الجدع)**
- **خمس حجارات**
- **حنجيلة**
- **"الوغواغة"**
- **الطيارات الورقية**
- **البرتقال والنوى**
- **الگرگري وأبو الفلسين.**
- **انا (انه) أدري**
- **الدُز.. المربعات الستة عشر أو الأربعة وستين**
- **طفيرك ياگمر (سمبيلة السمبيلة)**
- **الصگلة**
- **المحچال أو المعچال**
- **الگزوة (المصيادة)**
- **صندوق الولايات**
- **الصافرة من نواة المشمش**
- **نوى المشمش والحفرة**
- **عمي يا لتاجر (ايها التاجر)**
- **الهاتف!!**
- **حجنجلي بجنجلي**

- **الألعاب النارية**

الأكلات والحلويات.....214

- **الخبز**
- **خبز شكر**
- **خبز رگاگ (الرقاق)**
- **خبز لحم (خبز عروگ)**
- **خبز تفتوني**
- **خبز الطـابگ**
- **خبز شعير**
- **خبز العباس**
- **الهريسة**
- **الليمون دوزي**
- **حب رگي (رقي) والبطيخ**
- **حمص مْجُوهَرْ**
- **الشلغم**
- **لبلبي**
- **علچ ماي (علك ماء)**
- **علچ (علك) بستج**
- **الخُرَّيط**
- **الجمّار (اليمّار)**
- **العلچة (العلكة، العلوچة)**
- **حجي بادَم**
- **محلّبي وحريرة**
- **بيض اللگلگ "اللقلق"**
- **شعر بنات**

- **ملبس مسقول**
- **ملبس أبو الكزبرة**
- **ضروگ" الفار**
- **قيمقلي (الدوندرمة أو الآيسكريم)**
- **الزردة**
- **البالوته**
- **الگرگري**
- **العسالة (العسلية)**
- **مَنّ السما**
- **الدهين**
- **الساهون**
- **الشكرلمة**
- **حلاوة الحنطة وحلاوة الحليب**
- **الزلابية والبقلاوة**
- **السمسمية**
- **حلاوة راشية (شكرية)**
- **حلاوة جزر**
- **أبونَبات (سكر نبات)**
- **تمرية (المدكوكة)**
- **داطلي**
- **قمر الدين**
- **الديچ (الديك)**
- **االعصائر والشرابت**

أشخاص من مدينتي.....241

- **مقدمة**

- **الحاج محمد صالح الخليلي**
- **الاستاذ نعمان أمين**
- **الحاج اسماعيل صفر**
- **الحاج محمد حسين العطار**
- **الشيخ حسين والشيخ عزيز البصيرين**
- **الحاج محمد ابو البريسم**
- **عبد الرزاق الخفاجي**
- **السيد جاسم المؤذن**
- **زبالة كندي الكوفي**

الملحق.....253

- **الدراسة الابتدائية**
- **الدراسة المتوسطة**
- **طرائف وقصص حكمية**

مدينة الكوفة

تمهيد:

أسس مدينة الكوفة سعد بن أبي وقاص سنة 17 هـ (638 م) وصمم مخطط المدينة أبو الهياج عمرو بن مالك الاسدي. والكوفة هي ثاني مدينة بنيت في كنف الإسلام بعد البصرة بعامين. شرفها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأن جعلها مركز خلافة الاسلام وقد قيل عنها "الكوفة جمجمة العرب، ورمح الله وكنز الإيمان".

هناك عدة آراء حول تسمية مدينة الكوفة بهذا الاسم. فالكوفة أو الكوفان اسم أرض وبها سُمّيت الكوفة. كذلك تعني كلمة الكوفة الاستدارة، وبعضهم يسمّي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة. والتكوّف يعني الاجتماع.

تفخر الكوفة بتاريخها وبمن برز فيها من الأعلام. فقد عاش فيها وولد في أحيائها وتخومها فقهاء وفلاسفة وشعراء وعلماء وأطباء وكانت مشهدا فكريا وثقافيا ميَّزها بوصفها عاصمة تنوير ثقافي واستقطاب سياسي. عاش فيها من الفقهاء الامام جعفر الصادق عليه السلام والنعمان بن ثابت (ابو حنيفة) رضي الله عنه. أما في النحو فكان فيها أبو الاسود الدؤلي، علي بن حمزة الكسائي، والمفضل بن محمد. وتميز من شعرائها أبو الطيب المتنبي، الكميت بن زيد، الطرماح بن حكيم، دعبل الخزاعي، ابو العتاهية. في مجال العلوم والكيمياء هناك جابر بن حيان الكوفي عالم الكيمياء. وتربع على كرسي الطب أثير السكوني الذي عالج الامام علي عليه السلام عند إصابته بضربة سيف. كذلك تفخر المدينة بريادتها للخط العربي بتخصصها بالخط الكوفي الذي بدأ واستمر متميزاً حتى الوقت الحاضر ومنه تطورت باقي الخطوط العربية.

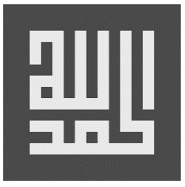

نموذج من الخط الكوفي

تقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط (شط الهندية القديم) شرق مدينة النجف بنحو 10 كم وجنوب غرب العاصمة بغداد بنحو 156 كم. يحدها من الشمال مدينة الكفل ومن الجنوب قضاء أبي صخير، وناحية الحيرة.

موقع الكوفة الجغرافي

بعد أن علا شأن مدينة الكوفة على مدى قرنين بعد إنشائها تدهور حالها عبر القرون اللاحقة. عاد الاهتمام بالمدينة في نهاية القرن التاسع عشر فبدأت تظهر تدريجيا كمدينة لها شأن تجاري لكونها تقع على النهر. تزايد عدد سكانها حتى بلغ سكانها وضواحيها في تسجيل 1957 اثنين وثلاثين ألف نسمة حينما كان سكان العراق ستة ملايين نسمة. اعتبرت الكوفة في ذلك الحين من أكبر نواحي العراق.

كان غالبية سكان المدينة من الشيعة. استمر ذلك الحال في القرن العشرين فقد كانت في الأربعينيات والخمسينيات عوائل سنية أكثرهم من موظفي الدولة. كذلك سكنت عوائل مسيحية ويهودية والجميع متحابون متآلفون. كان من السكان المسيحيين في الاربعينيات الطبيب اللبناني الياس ديب والذي كان جارٍ لنا. أتذكر من اليهود طالبا سبقني في الدراسة الابتدائية بعامين اسمه خْضوري علقت صورته في مخيلتي وكان محبوبا من زملائه.

شهدت مدينة الكوفة ساحة واسعة من مظاهر الحالة الثقافية وتنوعها ابتداءً من الكتاتيب والتعليم بالمساجد ثم تأسيس المدارس الحديثة. فقد أنشأت أول مدرسة ابتدائية عام 1922م بمبادرة وتبرعات وجهاء البلد بدأت بعنوان المدرسة الابتدائية ثم تغير اسمها إلى مدرسة ابن حيان. أعقب ذلك إنشاء مدرسة البنات عام 1932حيث رفضت النجف أن تنشأ فيها فقرر قائمقامها جعفر حمندي أن تبدأ في الكوفة. بعدها تعددت المدارس فكانت المدرسة العقيلي عام 1936 ثم المدرسة المختارية عام 1944. بعد ذلك افتتحت المدرسة المتوسطة والثانوية عام 1948. أغلقت المدرسة الثانوية بعد سنتين فوجب علينا الذهاب يومياً الى النجف للدوام في ثانوية النجف. التحق العديد من طلبة المدينة بالدراسة الجامعية والبعثات الى الخارج. تميز عدد كبير من الخريجين في مجالات الطب والعلوم، والأدب، والفن، والرياضة. تفخر الكوفة بأبنائها الأوفياء الذين توزّعوا في دول العالم ولا زالوا يرفدون بالعطاء العلمي، والثقافي والأدبي حيثما وجدوا.

اتصف جيل الخمسينيات بالعطاء الفكري الموروث من المجالس والمنتديات التي كانت تعقد في بيوت العلماء والفضلاء حيث توطن مدينة الكوفة منذ العشرينيات المراجع الدينية العليا كالسيد أبو الحسن وشيخ الشريعة والشيخ محمد رضا آل ياسين والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ثم السيد الحكيم والسيد الخوئي وغيرهم من بيوتات أعلام الدين والفضيلة والأدب كآل الشبيبي وآل الجزائري وآل السيد ياسين الصعبري وآل الخليلي وآل كمال الدين، وآل الطريحي، وآل البكاء، وغيرهم.

يحتفظ التاريخ بذكريات المجالس العلمية المنعقدة بدواوين تلك البيوت وبما كان يدور بها من مطارحات علمية وأدبية بما يمثل نشاطا فكريا بمستويات المكانة التي تتمثل بها الشخصيات التي تحضرها. كان من تلك المجالس مجلس الشيخ كاتب الطريحي، الميرزا الشيخ محمد الخليلي، قبل انتقاله الى النجف، مجلس الوالد محمد صالح الخليلي وغيرهم. من تلك الجلسات الادبية ما نشره الشيخ محمد الخليلي في سلسلة مقالات بعنوان (باجة في ندوة) في مجلة البيان النجفية العدد 40 و41 السنة الثانية 1367 – 1948. شارك في تلك الجلسة صفوة من علماء وادباء النجف: الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد حسين المظفر والشيخ محمد كاظم آل الشيخ راضي والشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي والسيد محمد جمال الدين الهاشمي وجعفر الخليلي وغيرهم.

نجحت هذه النخبة في "توريط" الوالد بإقامة وليمة لهم وقال أحدهم:

أين المفرّ من (العزيمة) - يا بعدها- خططاً حكيمة
نصبوا –أبا الهادي– الشباك وقد وقعت بها غنيمة
عجبي من القرم (الخليلي) كيف لم يقطع شكيمة
فيفرّ من وجه العدالة تاركاً فينا (رسومه)

أقيمت الدعوة في بيتنا وأنشد الوالد فيها قبيل تناولهم الطعام قصيدة منها:

الحمد لله على حسن الصدف إذ شرف الإخوان من أرض النجف
نخبة أهل الفضل إخوان الصفا ومن بهم مجلس أنسنا صفا
فهاكموها نعمت الوليمة وليمة والله ذات قيمة
هذا طبيخ الماش فيه اثنا عشر من الخضيري اللطيف المعتبر

مـطبـقا مكـشـمشــا مـزعـفـرا وحـولـه الـحـلـوى تـضـوع عـنـبـرا

تستمر الابيات الشعرية لتصف المائدة وطريقة الأكل وتبارى الحاضرون بالثناء والمديح له شعراً ونثراً. وتعطي هذه الجلسة المليئة بالأدب والشعر واللطائف صورة لما كانت عليه المجتمعات الثقافية في النجف والكوفة.

صاحبَ تلك الفترة وجود الدواوين العامرة التي كان يجتمع فيها أهل المدينة في مناسبات دينية وغيرها. من تلك الدواوين كان ديوان السيد إبراهيم البصراوي والحاج جعفر الشيخ علي والسيد شبر ومحمد صالح الخليلي وآل الفارس وآخرين. تعقد بعض تلك الدواوين منها يوميا ومنها أسبوعيا أو بمناسبات معينة بحضور نوعي من الرجال والشخصيات ومن إفاضات الخطباء المرموقين كالسيد صالح الحلي والشيخ جعفر قسام كالشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ علي البازي والشيخ احمد الوائلي والشيخ عبد الحميد الهلالي وغيرهم.

ساهم نادي المتنبي للموظفين في الكوفة بالحركة الثقافية حيث كانت تعقد الندوات باستضافة رموز الادب والثقافة من المنطقة وخارجها.

مسجد الكوفة:

مسجد الكوفة عام 1915

شيد مسجد الكوفة عام 19هـ - 739 م أي بعد سنتين من تأسيس مدينة الكوفة. تولى تخطيط المسجد ابو الهياج عمرو بن مالك الاسدي برمي أربعة أسهم باتجاه القبلة، والاتجاهات الأخرى فصارت هذه حدوداً للمسجد.

صمم المسجد مربع الشكل تقريبا حيث يبلغ طوله 110 أمتار، وعرضه 101متر، وتبلغ مساحته 11162 مترا، ويبلغ ارتفاع جدران السور حوالي "20 متراً"، ويدعم السور"28 برجاً" نصف دائري.

يحوي المسجد محراب إصابة أمير المؤمنين علي بن طالب (ع)، "سفينة نوح" وعدد من المقامات. أهم تلك المقامات: مقام النبي محمد (ص)، مقام آدم (ع)، مقام ابراهيم (ع) ومقامات أخرى. هناك في المسجد مراقد مسلم بن عقيل، هانئ بن عروة والمختار الثقفي. يجاور المسجد بيت الامام علي (ع) وكذلك دار الإمارة الذي كان مقر أمراء الكوفة.

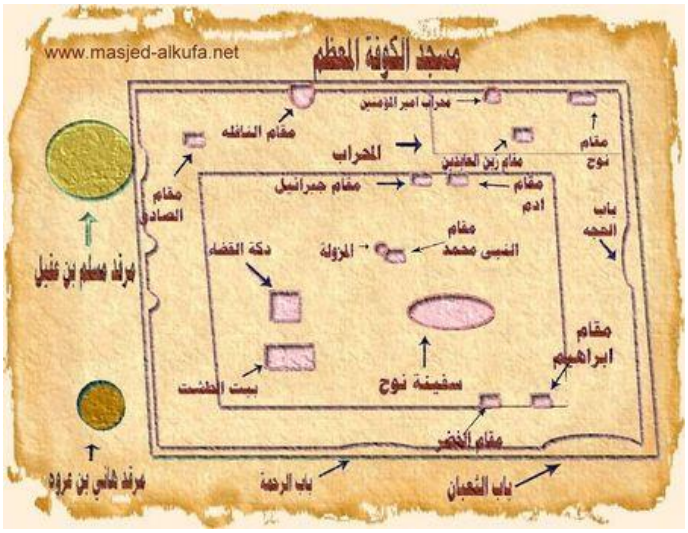

مخطط لمسجد الكوفة الحالي

السير الى مسجد الكوفة: كانت من أجمل الأوقات في طفولتنا السير على الأقدام الى مسجد الكوفة حيث تبلغ المسافة حوالي الكيلومتر بصحبة الوالد وصحبه. نذهب عند دخولنا المسجد الى إيوان الحاج عبد هاني المسؤول عن رعاية مرقد هاني بن عروة المدفون في الجانب الآخر من مرقد مسلم بن عقيل. يقع الإيوان الى يسار المدخل المؤدي الى المرقدين. بينما يقع الى الجانب الأيمن من المدخل مكتب سادن مرقد مسلم بين عقيل الشيخ طعمة. كان محمد ابن عبد هاني يفرش الحصران ويرش الأرض من حولها بالماء وتكون جلسة رائعة في الهواء الطلق وفي ذلك المكان المقدس. يستعد الجميع للصلاة وبعد اتمامها يبدأ حديث السمر. لم نستمر معهم في البقاء هناك، بل نذهب الى بيت عبد هاني خلف المرقد وهناك تستقبلنا السيدة ام محمد فتغرقنا بالحلوى وبلطفها. كنا نتلهف لتلك المسيرة الى المسجد لما يتخللها من متعة.

البساتين المحيطة بالمدينة:

تعتبر مدينة الكوفة من المدن المعتدلة الهواء بسبب ما يحيطها وما في داخلها من النخيل وأشجار الفواكه والخضار المتنوعة. أما عبر النهر في الجانب الآخر من المدينة فتقلّ البيوت وتكثر البساتين.

كنا نستمتع بجمال البساتين وهدوء الجو فيها ونقضي فيها ساعات وساعات للدراسة والتحضير خصوصا أيام الاستعداد للامتحانات النهائية والبكالوريا. كنا نستيقظ في الصباح الباكر متوجهين بمجاميع صغيرة من زملاء الدراسة الى النهر ومن ثم الى البساتين القريبة للدراسة ونعود بعد ساعات منتشين بدراسة جدية في جو هادىء وطبيعة خلابة.

النخيل والأشجار في أطراف المدينة حيث كنا ندرس استعدادا للامتحانات

الناعور:

يعود تاريخ الناعور الى العهود الأكدية والبابلية. وقد ذكر الناعور ابن بطوطة الذي وصفه بقوله "... تَحُفّها البساتين والجنات عليها النواعير كالأفلاك الدائرات". ويقال إن مصدر تسمية الناعور يعود إلى الصوت الصادر عنه عند دورانه، وهو صوت حزين خاص به. وكلمة ناعور كلمة عربية معروفة.

تختلف نواعير الكوفة عن تلك التي في مدن هيت وراوة والتي تدور بفعل قوة دفع ماء النهر. أما في الكوفة فالناعور يتكون من عتلتين كبيرتين متعامدتين تتصل الأفقية منهما بعمود يربط به حصان الناعور. وتتصل العتلة العمودية بعمود في نهايته سلسلة من الدلاء التي تمتلئ بالماء وبحركة الناعور تفرغ الماء في ساقية حيث يجري لسقي الأرض الزراعية. يدور الحصان بمسار دائري حول المركز. ولتفادي إصابته بحالات الدوار فقد وضعت على جانبي عينيه وسادة صغيرة تحجب عنه الرؤيا الجانبية حيث يكون تركيز نظره على الأمام وكأنه يسير بخط مستقيم.

وقد ضرب أهلنا مثلاً مستوحى من هذا الحصان **"مثل حصان الناعور"** حيث يوصف المرء الذي لا يرى الأمور إلا من خلال زاوية واحدة ويصر على رأيه ويرفض النظرة الشمولية أو آراء الآخرين.

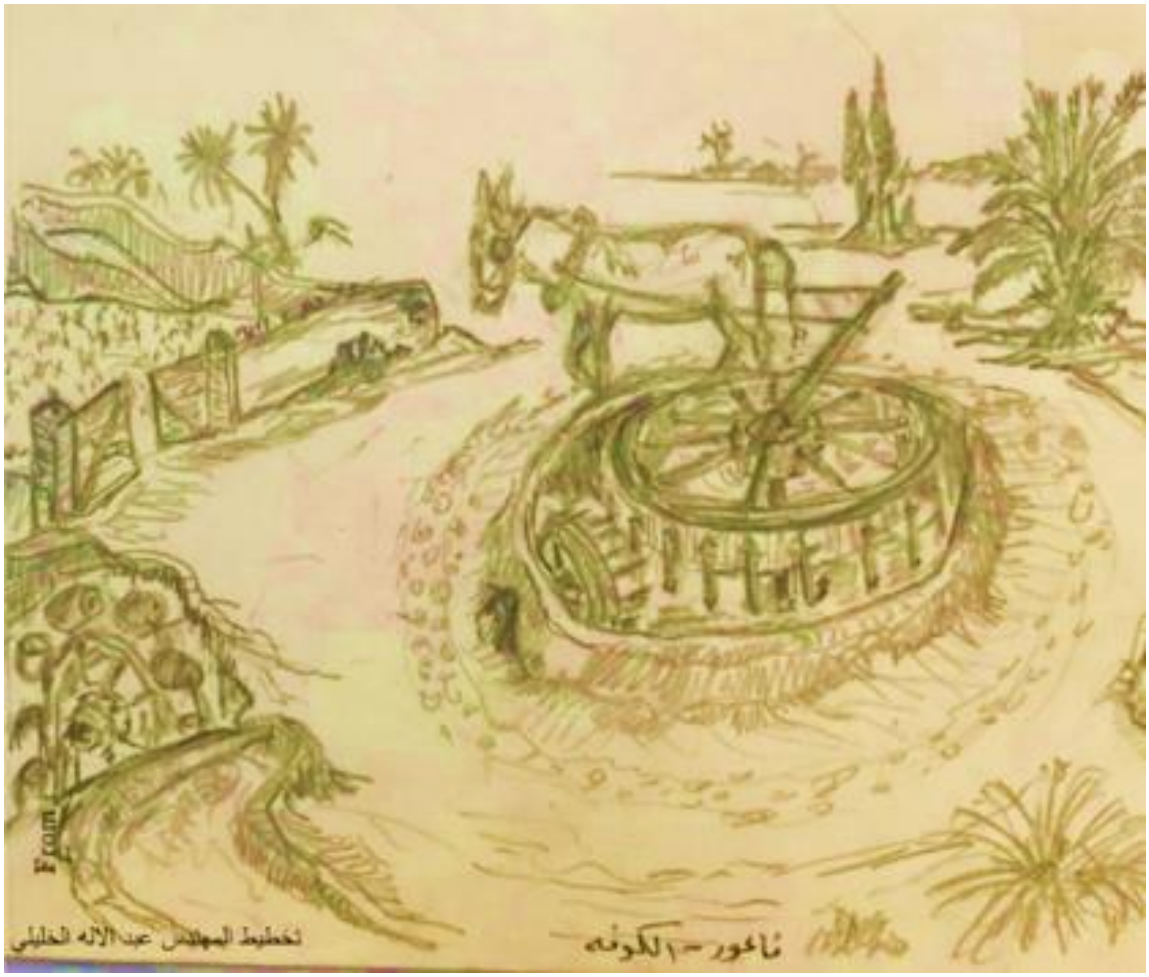

صورة تخطيطية مفصلة للناعور بريشة المهندس عبد الاله الخليلي

عشنا ساعات من أجمل ما نتذكره من أيامنا الماضية بالقرب من الناعور نستمتع بالهدوء بين الأشجار الذي يقطعه صوت خرير الماء المنسكب من أوعية وصوت صلصلة العتلات المستمر. كانت تلك من أجمل ساعات الترفيه والاستماع.

كانت في الكوفة مضخة ميكانيكية واحدة تعمل بالديزل تضخ الماء من النهر الى البساتين وتدعى "مكينة الأعسم" صاحبها الحاج مهدي الأعسم.

مضخة "الأعسم" التي تغذي بعض البساتين بالماء

تصميم البيوت

لم تختلف تصاميم بيوت مدينة الكوفة كثيرا عن باقي المدن العراقية. كانت بعضها أوسع من غيرها إذ تحوي قسمين "دخلاني" و"برّاني". عند اجتياز مدخل البيت تقابلك بابان تؤدي أحداهما الى الدخلاني حيث تقيم العائلة والآخرى الى البراني لاستضافة الوافدين من الأصدقاء من خارج المدينة وكذلك للمناسبات الاجتماعية.

أحيانا يكون للقسمين الدخلاني والبراني باب مستقل على الشارع. يحوي البيت في وسطه باحة غير مسقفة تدعى بالـ "حوش" تطل عليها غرف الدار بشبابيكها حيث تساعد على إضاءتها وتهويتها وتقليل حرارة الشمس الحارقة في فصل الصيف.

نموذج لبيت في تلك الفترة برسم المهندس عبد الاله الخليلي

توجد في بعض البيوت الكبيرة غرفة أو أكثر تدعى بـ "الأرسي" والتي فيها شباك أو شبابيك من الخشب المزخرف يطل على الشارع أو على ساحة البيت.

الى اليمين الارسي الذي يطل على الشارع والارسي الذي يطل على ساحة البيت الى اليسار

تبنى البيوت بالطابوق وتستخدم جذوع النخيل أو اخشاب الاشجار للسقوف أما الموسرين فيستخدمو الشيلمان الحديدي أو قطع من سكة حديد التراموای التي ألغيت. تسند الجدران أعمدة طولية وقواطع مستعرضة. تستخدم القواطع العرضية كرفوف لوضع الحاجيات عليها وتدعستخدم بالـ "الرازونة". وتكون الرازوانه كذلك كفجوة في جدار.

جدار البيت والاعمدة الطولية والقواطع العرضية (الرازونة) والرازونة الاخرى هي الفجوة في الخائط

يقع تحت الطابق الأرضي سرداب لا يزيد عمقه على عدة أقدام لوجود المياه الجوفية القريبة من السطح. ينزل إليه بسلم بعدة درجات وله نوافذ صغيرة تطل على صحن البيت. يأوي الى السرداب أفراد العائلة في فصل الصيف للقيلولة بعد وجبة الغداء. عند الاستيقاظ من القيلولة تجتمع العائلة لتستمتع بشرب الشاي. وحسب ما أظن كان شرب الشاي وفي ذات الوقت تقليد شائع بين كافة طبقات المجتمع وفي غالبية مناطق العراق.

تحوي البيوت بالاضافة الى السراديب السطوح التي ينام فيها الجميع في فصل الصيف وسيأتي ذكر البادگير تفاصيل لاحقا.

الخانات

عرفت مدينة الكوفة بكثرة الخانات التي بلغ العشرات ومنها خان الوالد الحاج محمد صالح الخليلي. تقع الخانات على شارع النهر أو بالقرب منه لتسهيل عملية نقل الغلة (الرز والحنطة والشعير والتمر) التي كانت تنقل عن طريق النهر أو بواسطة الحيوانات مثل الجمال والحمير. ينشأ الخان على أرض واسعة وله باب واسع كي تتمكن من الدخول من خلالها الحيوانات التي تحمل الغلة، الرز والحنطة والشعير والتمر. يؤدي الباب إلى ساحة كبيرة مبلطة بالقير تحيطها من جوانب ثلاث لواوين (إيوانات) تعد بالعشرات تخزن فيها الغلّة وتحفظ من المطر في الشتاء. تفرغ الغلة على الأرض ويعمل منها "هرماً". تغرز على قمة الهرم قطعة من الخشب مخروطية الشكل تثبت على نهايتها العريضة قطعة مربعة من "التنك" القصدير، يكتب عليها رقم الغلّة الذي يقابل ما مثبت في سجل خاص باسم مالك الهرم من تلك الغلة.

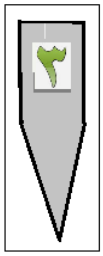

اللوحة التي توضع على قمة الغلّة

وعند بيع أي من "أهرام" الغلّة توزن بميزان يحوي زنبيلين من خوص سعف النخيل ومربوطة بكلّ من الزنبيلين ثلاثة حبال مثبتة في نهايتي عمود من الخشب فيصبح ميزاناً بكفتين. توضع في أحد الزنبيلين قطعاً من الطابوق القديم أو الحصى كوحدة للوزن متفق عليها، وتوضع الغلّة في الزنبيل الآخر. يحمل الميزان عامل قويّ البنية وهو "الوزّان" يحمله على أحد كتفيه. يبدأ الوزن الذي يمكن أن يستغرق ساعات وساعات عند وجود وفرة في الغلّة.

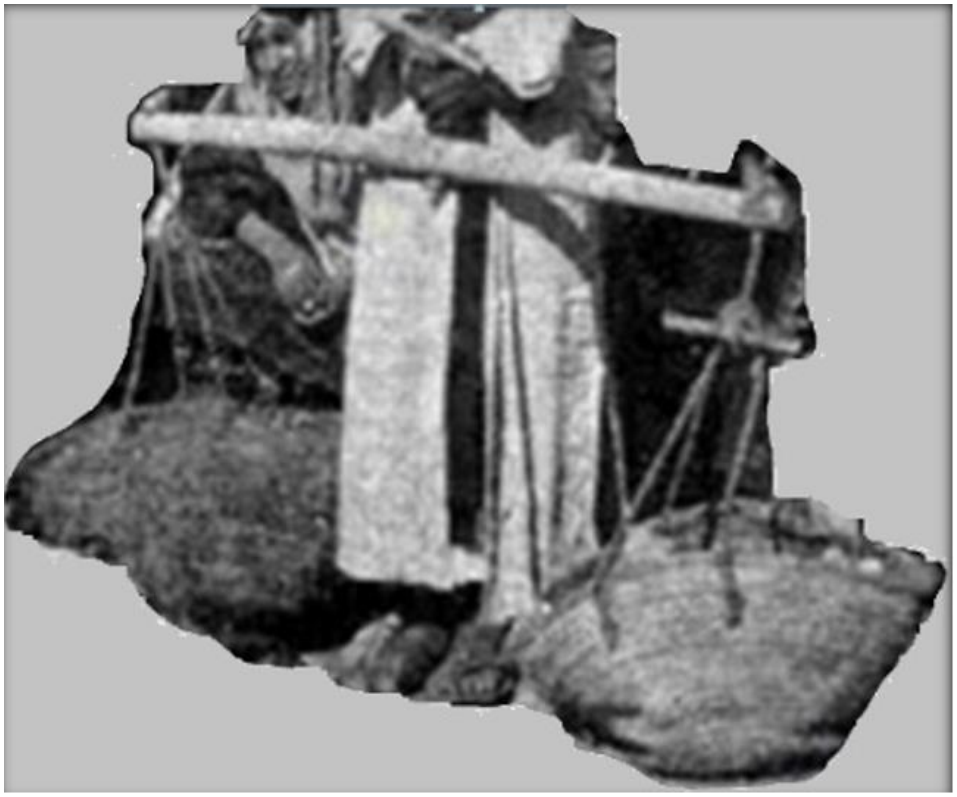

الميزان الذي يستخدم لوزن الغلّة

يقوم بمسؤولية مراقبة الوزن شخص آخر هو "العدّاد". يجلس العدّاد على الأرض قريباً من الوزّان. وتوافقاً مع ما ينطق به الوزان من عدد بصوت مسموع بعد كل وزنة، يضع العدّاد في إناء بجنبه قطعة "سيفون" واحدة. والسيفونة هي الغطاء المعدني الذي تغلق به قنينة شراب المرطبات مضغوطة من حافتها بحيث تكون على شكلّ مغزلي مدبب من نهايتيه. بعد انتهاء الوزن يتمّ وبإشراف صاحب الغلّة حساب عدد السيفون في الإناء لمعرفة الوزن النهائي.

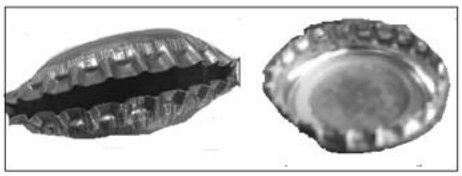

السيفونة قبل وبعد ضغطها

المثل الشعبي: ومن هنا جاء المثل الشعبي: "ض... ط وزّانهه وتاه الحساب". حيث إن الوزّان أثناء عملية الوزن وبسبب الجهد الثقيل يمكن أن يخرج منه "ريحاً" وبصوت مسموع يختلط ذلك الصوت على العدّاد فيعتقد أن هذه زنة أخرى فيضع سيفونة إضافية، وفي النهاية يكون الحساب غير صحيح " تاه الحساب". ويقال هذا المثل حينما يختلط الصح مع الغلط والحق مع الباطل على مستوى فرد أو مجتمع.

الحياة العامة

الحياة في الصيف

ترتفع درجات الحرارة في العراق عموماً ومنها مدينة الكوفة فتصل الى الخمسينات المئوية. فكر الأقدمون لتوقي الحرارة ببناء البيوت بجدران سميكة وبشبابيك صغيرة وأزقة ضيقة. كذلك شمل بناء أغلبية البيوت سرداباً تحت مستوى البيت. لم يكن هناك طريقا للحصول على الماء البارد غير الزير (الحِبّ)، وبعد ذلك الثلاجة البدائية والثلج. كان اللجوء الى النهر للسباحة أحد الوسائل التي ننتعش بها بي الصيف ونتعلم أصول السباحة.

السباحة في شط الكوفة

لا يمكن لشاب يسكن في مدينة تقع على نهر مثل مدينة الكوفة لا يعرف السباحة. ففي فصل الصيف يكون ماء النهر أفضل ملطف للجو وجامع لشمل الشباب. ولكني يا للأسف كنت أشاهد أقراني ولا ادخل معهم في الماء لعل السبب كان خوفا من الماء او الانشغال بالدراسة. على أية حال في يوم قررت فيه ان انزل معهم الى الماء بدا عليّ التردد وإذا بالصديق الأكبر سنا والبطل الرياضي عبد الرزاق الخفاجي يحملني ويرميني في الماء. كدت ان أغرق حسب اعتقادي، ولكنه كان هناك بجنبي يشجعني. استمريت بمرافقة الشلّة في الاستمرار على السباحة.

تعلم السباحة

استعملنا لتعلم السباحة كرب سعف النخلة (نهايتها العريضة) وأفضلها نخلة تمر البربن. تقطع الكربة في موقع اتصالها بجذع النخلة. تنظف الكربة وخصوصاً حوافها ثم تثقب بثقبين في منتصفها. يمرر حبل بين الثقوب وتجمع كربتين في ذلك الحبل ويترك من الحبل ما يكفي لأن يكون كالحزام حول صدر السابح. تعمل الكربتين على حمل جسم السابح كعمل سترة النجاة وبكل كفاءة حيث يطفو على سطح الماء وله حرية الحركة في استخدام أطرافه في السباحة. تعمل الكربتين.

أطفال يتمتعون بالسباحة في النهر

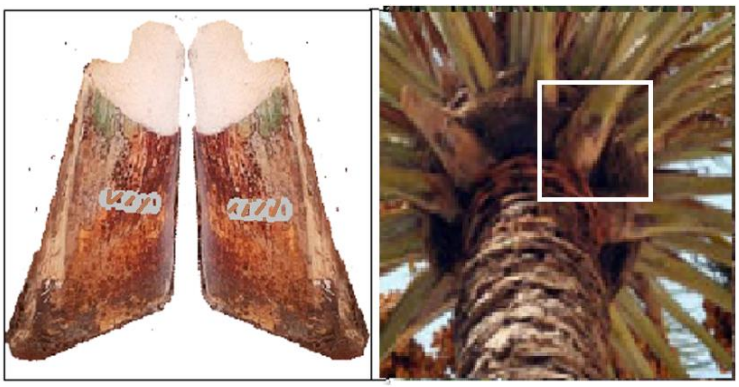

السعفة وقاعدتها المتصلة بجذع النخلة والى اليسار كربتان مثقوبتان ومن خلالهما يشاهد الحبل الذي يربط بالظهر

كذلك استعملنا أحياناً إطار السيارة الداخلي (الچوب) بعد نفخه بالهواء.

الإطار المطاطي الداخلي (الچوب)

صورتي على الجزرة (الجزيرة) في وسط النهر مع الاصدقاء الاعزاء الأستاذ الفنان محمد حسين جودي على يميني وعبد الحسين عيدان وبينهما محمد حسن غلام وخلفي أخيه جبار 1959.

السرداب

تجد في أكثر بيوت مدينة الكوفة سراديباً تنزل اليها بسلالم لا تتجاوز العشرة درجات بسبب تسرب المياه الجوفية في بعض أشهر السنة. يبنى أحد جدران البيت، الذي عادة ما يكون مواجها للشمال، بطبقتين يفصلهما فراغ. يعمل هذا التجويف كممر هوائي يسمى " البادگير" يتصل من السرداب وحتى سطح البيت. توجد في الجدار الداخلي للسرداب فتحة كبيرة في الجدار الداخلي بارتفاع ثلاثة اقدام تقريبا ينفذ من خلالها الهواء الحار الى أعلى. قد يصل الفرق الحراري بين داخل السرداب وخارجه أكثر من عشرة درجات مئوية. حيث يصعد بوساطته الهواء الحار إلى سطح الدار فالفضاء الخارجي فيلطف جو السرداب.

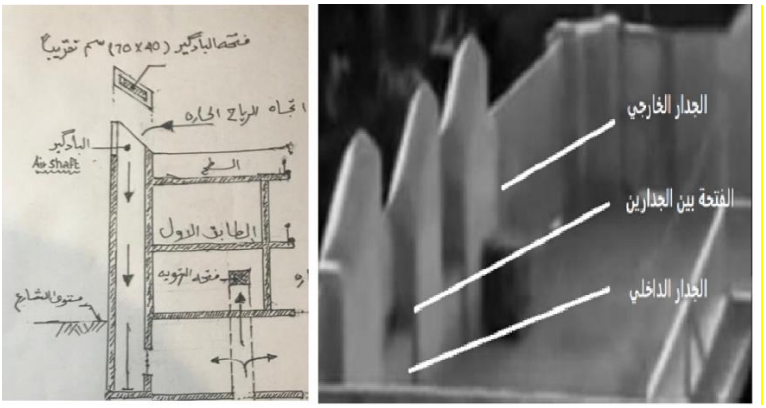

فتحة البادگير في سطح المنزل ومخطط لمسار الهواء فيه

ويزيد تلطيف جو السرداب في الصيف اللاهب استخدام المروحة المنضدية. أتذكر كم كانت تلك المروحة تساعد على الاستغراق في نوم القيلولة بنسمة هوائها وبالصوت الهادئ المميز الذي تحدثه وهي تدور من جانب الى آخر!

النوم على السطوح

حينما يحل فصل الصيف يبدأ أهل المدينة بالاستعداد لتهيئة متطلبات النوم على السطوح. تكنس السطوح وترش بالماء وتهيء الأسرة التي عادة تكون تصنع من سعف (جرّيد) النخيل أو الحديدية الصنع "قريولة" ، أو الفراش على الأرض.

السرير الحديدي (الجارباية) والسرير المصنوع من سعف النخل

ما أجملها من نومة على السطح حيث يكون النائم تحت السماء الصافية يستمتع بجمال النجوم والقمر. هناك تعلمنا عن بعض المجاميع النجمية مثل الدب الأكبر والأصغر والنجم القطبي. ومن تلك المجاميع مجموعة الـ "ثريا" المكتظة بالنجوم وكذلك مجموعة النجوم المنتشرة والتي تدعى بـ "بنات نعش". ومن هاتين المجموعتين الثريا وبنات نعش قال الشاعر متألماً لفرقة الأهل والإخوان

وكنا باجتماع كالثريا **** وصيّرنا الزمان بنات نعشِ

تطوى الأفرشة عند الاستيقاظ صباحاً وتفرش ثانية في اليوم التالي عند المغرب قبل موعد النوم لتكتسب برودة الجو بعد غروب الشمس.

النوم على الارض وعلى الأسرة في السطح

هناك أنواع من الأسرة فيها أربعة أعمدة في كل زاوية من السرير يثبت عموداً مستعرضا لتثبيت الناموسية "الكُلّة" عليها. والناموسية تصنع من القماش القطني الأبيض الخفيف ضرورية للوقاية من البعوض ولكنه يسمح بالهواء أن ينفذ بحرية.

الناموسية " الكُلّة"

سلة العشاء لحفظ الاكل في السطح

يحفظ المتبقي من أكل وجبة العشاء على السطح تحت السلة المصنوعة من أغصان الرمان والقصب الشجر وهي بقطر حوالي القدمين وارتفاعها قدمين. ويوضع فوق السلة ثقالة وغالبا ما تكون طابوقة كي لا تقلبها القطط! ما ألذ ذلك الطعام المتبقي من التمن والمرق حينما يحمى على الطاوة (المقلاة) ويقدم في الفطور في صباح اليوم التالي.

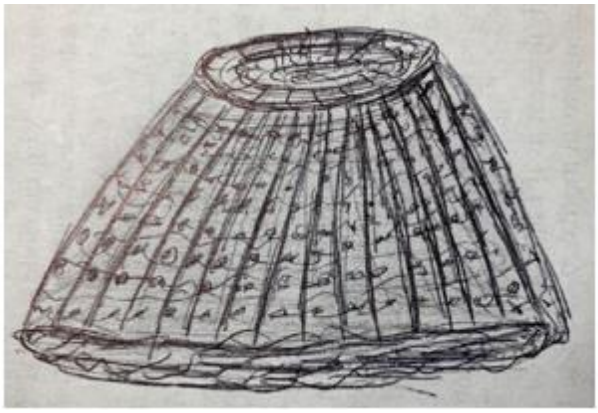

السلة كما تذكرتها وخططتها

استخدمنا نحن الأطفال تلك السلة لصيد الطيور من العصافير والحمام. كنا نضع عودا صغيرا بطول نصف قدم نثبته تحت حافة السلة نربطه بخيط سميك طويل ونضع حبوبا أو حبيبات الرز تحت السلة وخارجها. نجلس على بعد بحيث لا ترانا الطيور وبيدنا طرف الخيط. عندما يدخل الطير تحت السلة نسحب الخيط فتسقط السلة ويحبس الطير داخلها فنمد يدنا لمسكه وبعدها يمكن أن يكون طعاماً لذيذاً!

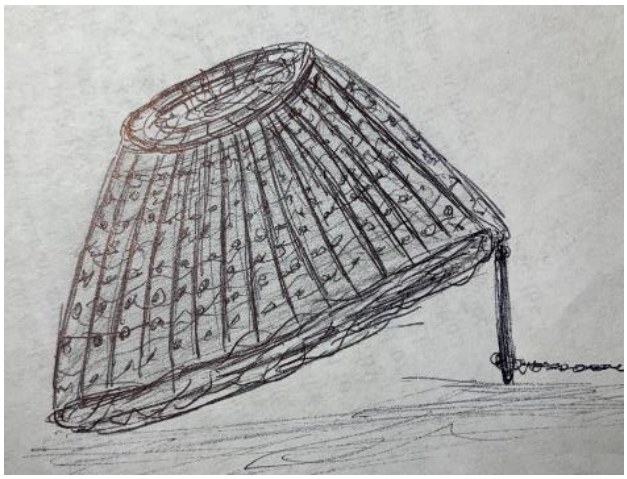

السلة مرفوعة بالعود الصغير المربوط بالخيط

الوقاية من حرارة الصيف

يبدأ الصيف عملياً في العراق منذ الشهر الرابع وحتى الشهر العاشر ويكون الحر في ذروته في شهري تموز وآب. وكانوا يطلقون على شهر تموز الحار تسمية (تموز ينشف الماء بالكوز) ويطلقون على شهر اب (آب

اللهاب يموّع، أي يذيب، المسمار بالباب). ابتكر العراقيون لترويح النفس من تلك الحرارة العالية وسائل مختلفة لتحقيق ذلك.

غطاء الرأس

لوقاية الرأس من الحرارة الشديدة في الصيف والبرد القارص في الشتاء استخدم السومريون غطاء للرأس وبأشكال مختلفة. استمر هذا الاستخدام عبر العصور وحتى وقت قريب تجد غطاء الرأس في كل انحاء العراق كل منطقة حسب تراثها الاجتماعي.

غطاء الرأس في الماضي والحاضر وفي كافة أنحاء العراق

المهفة

كانت المهفة سابقاً هي الوسيلة الوحيدة التي يستخدمها عامة الناس في فصل الصيف للتخفيف عن قيض حر الصيف. تُصْنَعُ المهفة من خوص سعف النخيل. ترى المهفة في يد رواد المجالس الخاصة والمقاهي وغيرها بهزوها يميناً وشمالاً. ويكون الهواء الذي تجلبه المهفة أطيب حينما يبلل الوجه بالماء.

المهفة اليدوية

المروحة السقفية اليدوية

مروحة سقفية تدار باليد من خلال عتلات تصل الى مستوى الجالس

لم تكن المراوح السقفية قد وصلت الى الكوفة في أربعينيات القرن الماضي. أتذكر "صالون" حلاقة، لعله صالون رحمة الحلاق، حيث كانت عتلة مثبتة على الجدار يديرها ولد وعند تدويرها تحرك عموداً يصل الى السقف ويتصل بعمود أفقي عند السقف يتصل بالمروحة وعند دورانها تجلب نسمة هواء للجلوس.

المروحة المنضدية كانت المراوح المنضدية المعروفة من نوع سنجر و كي دي كي وفاف. تستخدم المروحة المنضدية الغرف والسرداب كما ذكر سابقا.

مروحة أيام زمان

العاقول

تستخدم بعض الدوائر والبيوت لتلطيف الجو الحار الجاف داخل الغرف باستخدام طبقتين مشبكتين من نصل (جِرّيد) سعف النخيل يحشى بينهما العاقول وهو الاشواك البرية وتربط الطبقتين بخيوط لتثبيت العاقول بينهما وتدعى هذه في بعض المناطق بالـ"عمّارية". يرش هذا الحاجز بالماء من الخارج بين آونة وأخرى. أما في الدوائر الرسمية وبيوت بعض الموسرين فيثبت أنبوب ماء أفقياً فوق العاقول ويكون الأنبوب مثقبا بثقوب تبتعد عن بعضها بحوالي الانج يجري من خلالها الماء الى العاقول بصورة مستمرة. عندما تأتي الرياح الحارة (السموم) كما يسميها البعض، من الشارع وتمر من هذا الحاجز لتتحول الى هواء بارد منعش يدخل الى الغرف.

على اليسار العاقول على الشبابيك بدون أنبوب الماء العاقول وأنبوب الماء فوقه

غسل ساحة البيت والشارع بالماء

يلطف الجو في فصل الصيف رش الماء في صحن البيت وأمام البيت وأمام المحل في السوق. يقوم الأهل، أو صاحب المحل، بذلك لمرة أو مرتين خلال النهار.

رجل يرش الماء أمام محله

أما شوارع المدينة فتقوم سيارات البلدية (الصهاريج) المليئة بالماء برش الماء فيها.

عجلة صهريج الماء ترش الشارع من خلفها

تبريد ماء الشرب

لم تكن في زمننا أية وسيلة لتبريد ماء الشرب غير الطرق الطبيعية التي ليس للتكنولوجيا أية علاقة بها. فهناك الـشربة والجحلة والمصخنة. كذلك هناك الحِبّ والـ "ثلاجة".

التُنْكَة: وتدعى كذلك بالـ "الشَرْبة" وهي وعاء ماء مصنوعاً محلياً من الفخار. تكون الشربة في متناول الجميع لصغر حجمها وسهولة رفعها من المقبض على جانبيها. وتؤخذ الى السطح أيام الصيف وتوضع على حافة التشريفة (جدار السطح). وغالباً ما تُلف فوهتها بقطعة من قماش (المَلمَل) خوفاً من دخول الحشرات والأتربة إلى داخلها. عند شرب ماءها يصب الماء في طاسة من الفافون (الألمنيوم) أو الشرب مباشرة منها.

حينما تكسر الـ"التُنكَة" تتفتت الى قطع صغيرة تدعى كل منها بالـ"گحف". من ذلك جاء المثل الشعبي "مستقبل الُتنكَة گحف"! ومدلوله أن الانسان يجب أن يتواضع لأنه في النهاية يصبح لا شيء. كذلك المثل الشعبي الآخر "كل مِيَّة بگِحف ازرگ" والذي يرمز الى الشخص المتعالي الذي ينسى أن هناك المئات من مثله! والگحف الازرق هو ما يحصل عند تكسر البستوگه (الزير) وهي وعاء فخار مطلي باللون الازرق.

وإذا كانت رقبة الُتُنكَة مكسورة تسمى: "بربوگ" وهذه لن لن تغطس عند وضعها في النهر. جاء المثل "بربوگ ما يغرگ". يطلق المثل على الشخص الشاطر الذي له القدرة على التخلص من أي موقف صعب. تطلق في بعض الأحيان كلمة بربوگ على ثمرة القرع الكبيرة المحفورة من داخلها والتي تترك لتجف. وهذه لا يمكن أن تغرق في ماء النهر. يستخدم هذا الوعاء لخزن العسل أو الملح وغيره.

القرع الكبير المحفور واليابس

الشئ بالشيء يذكر: كانت في كتاب القراءة في المرحلة الابتدائية قصة رجل نائم في خيمته وفوق رأسه تدلت هذه القرعة اليابسة والمملوءة بالعسل. بدأ يحلم بين النوم واليقظة بأنه باع العسل واشترى بثمنه حملاً صغيراً

وبعد أن كبر وأصبح نعجة بدأت تدر الحليب وكسب من ذلك مالاً اشترى به أشياء أخرى وأخرى إلى أن تزوج وصار عنده ولد. كبر الولد ولكنه كان يشاكس والده وقرر الوالد أن يؤدبه بالعصا فرفع العصا الى أعلى بقوة ليهوي بها على الغلام وإذا بالعصا تصطدم بالوعاء فينكسر ويسكب العسل كله على رأسه ولحيته ويستيقظ من الحلم وقد فقد كل آماله! دلالة ذلك على من يعيش بعيداً عن واقعه فيلقى ما لا يحمد عقباه.

الحاج إبراهيم ومجاميع الخفاش

تباع كافة أنواع "المشارب" في محلتنا عند الحاج إبراهيم الذي يقع محله في سوق البو شمسة. عند شراء الشربة منه ينفخ الحاج إبراهيم في داخلها ليتأكد من عدم وجود ثقب فيها. فإذا وجد فيها ثقباً ينفذ منه الهواء عند النفخ يضع عليها عجينة كان قد هيأها مسبقاً وتدعى بالـ "صْلاح" وتعني الإصلاح، والأمل أن يسد الثقب عندما يجف.

كان محل الحاج إبراهيم (أبو جابر) كبيراً وذا سقف عالٍ وجدران نصف مهدمة. تعيش عند السقف المئات من الخفافيش والتي تسقط فضلاتها على الأرض حيث يجمعها في أكياس ويعرضها للبيع للمزارعين كسماد للنباتات. عند غروب الشمس تخرج أسراب الخفاش من المحل محلقة ومتوجهة الى الأمكنة الذي تحصل فيه على غذائها من الحشرات وغيرها ثم تعود الى سكنها.

الشربة بمقبضيها والجحلة الى اليسار

الجَحلة: تختلف الجحلة عن الشربة بكبر حجمها وبطول رقبتها وعدم وجود مقبض فيها.

المَصِخْنة: المصخنة (المشربة) هي وعاء نحاسي يصنع محلياً برقبة طويلة مع مقبض وجسم واسع. تستخدم في الغالب لنقل الماء على الكتف من النهر الى البيوت. تقوم بتلك المهمة النساء وربات البيوت.

المصخنة وامرأة سعيدة وهي تحمل المصخنة على كتفها وهي تتجه لبيتها!

السقّا (السقاء)

كان الماء يجلب الى البيوت بالـ "قِرْبَة" وهي كامل جلد الخروف بعد دباغته وإحكام غلق فتحات الأطراف الأربعة وترك فتحة الرقبة ما يجعلها صالحة لنقل الماء. يفرغ الماء الذي يحمله السقا في الحب داخل البيت. ولكثرة تردد السقا على نقل الماء للبيوت تبتل ملابسه فيكون نصف مؤخرة جسمه السفلي رطبا وباردا نوعا ما. وهنا جاء المثل الذي يربط تلك البرودة بالشخص الكسول والبطيء (بارد) الحركة بأنه "أبرد من ط...ز السقا"!! تستعمل القربة كذلك لاستخراج الزبد من اللبن وسيأتي ذكر ذلك لاحقاً.

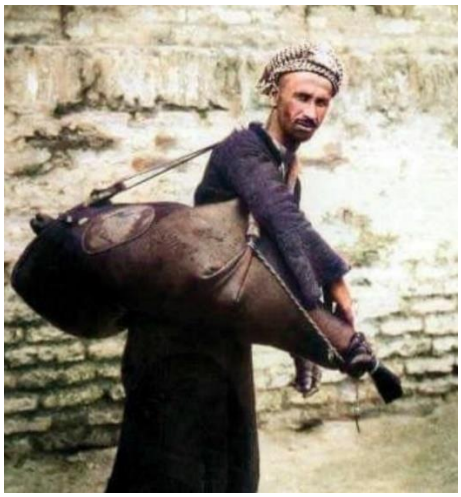

السقا وقِربته

تطورت طريقة جلب الماء الى البيوت وذلك يجلب الماء داخل صفيحتين من المعدن الخفيف معلقتين على طرفي قطعة خشبية اسطوانية مقوسة في منتصفها يضعها على رقبته وكتفيه.

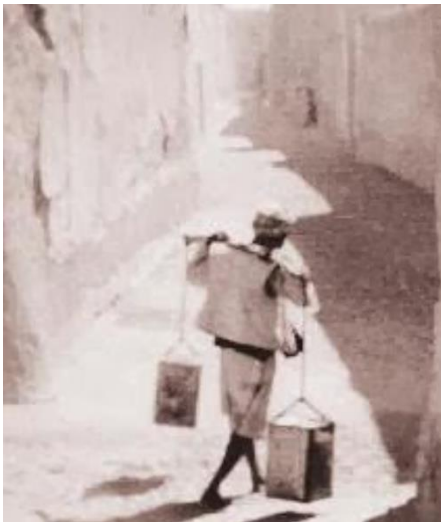

السقاء يحمل الصفائح

الحِبّ والناگوط (الناقوط)

يصنع الحب من الفخار وهو وعاء ضخم مخروطي بارتفاع ما يقارب ثلاثة أقدام، فوهته بعرض حوالي القدم والنصف وقاعدته أقل من قدم. يثبت على قاعدة خشبية أو معدنية بارتفاع حوالي القدم عن الأرض. يوضع غالباً تحت قاعدته وعاءًا فخارياً صغيراً يجمع الماء الذي ينضح ببطء من قاعدة الحب يدعى بالناقوط. والماء في الناقوط يكون ماءً زلالاً. يفضل عمل الشاي من ماء الناقوط لصفائه.

يغطى الحب بغطاء مصنوع من الخشب أو من خوص سعف النخيل للحفاظ عليه من دخول الأوساخ والحشرات. وتستخدم لشرب الماء منه طاسة أو "چمچه" اشبه بالطاسه مصنوعة من السعف وتطلى بالقير.

يُملأ الحب بالماء الخابط، أي الماء الذي يجلب من النهر، بدون تصفية ولتصفيته من الغرين ترمى على سطحه حبيبات الشب. يطفو الشب مكوناً طبقة تغطي سطح الماء بصورة كاملة وبثقلها وبطبيعتها الكيمياوية تترسب حاملة الغرين الى قعر الحب ليكون الماء صافٍ ومهيأ للشرب من ناحية الشوائب ولكن الكائنات الأحيائية والبكتريا تبقى عالقة ولكنها لا تظهر للعيان!

يحفظ الحب في مكان منزوٍ في البيت بحيث لا تصل اليه الشمس. وعادة ما توضع تحت الحب عدد من حبات الرقي والبطيخ والخضروات لتبريدها.

الى اليمين الحِب وتحته الناقوط والمغرفة والى اليسار غطاءه والطاسة وتحته الرقي والطماطة

لغرض الخدمة العامة ولطلب الثواب وضع بعض الناس الطيبين "حِبّاً" في المساجد ومكانات عامة لسقاية الناس بالماء مجاناً ولوجه الله. ولما هذه الخدمة لطف ونبل فإنها تسبب نقل الامراض لأفراد المجتمع باستعمال إناء واحد "طاسة" والذي في الغالب تثبت بخيط الى حافة الحب كي لا تغطس في قعر الحب.

الى اليمين الحب والاناء والخيط والى اليسار شرب الماء بالطاسة

الثلج

يستخدم الثلج لتبريد الماء الذي يصنع على هيئة قالب بطول يزيد على المتر ومقطع بضلع يبلغ 20 سم. يقع معمل الثلج الرئيس في الكوفة الذي يملكه الحاج ابو القاسم الكرماني على شارع النهر قرب الجسر القديم. كنا نقف قرب شباك المعمل المطل على الشارع لنستمتع بمشاهدة الأنابيب الحلزونية التي ترتفع من الأرض الى السقف وكذلك بصوت خرير الماء. تملأ القوالب المعدنية المصفوفة بالماء وتبرد تدريجيا حتى الانجماد بتأثير أنابيب التبريد الحلزونية التي تحيط بها. تفرغ الأوعية المعدنية من قوالب الثلج التي تنقل الى محلات بيع الثلج في الأسواق.

قوالب الثلج المعدنية التي يصب فيها الماء ليتجمد وقوالب الثلج المنتجة

محلات بيع الثلج تخصصت بعض المحلات ببيع الثلج أيام الصيف. تحوي المحلات على خزانات خشبية كبيرة تخزن فيها العشرات من قوالب الثلج. يشتري الناس قطعاً من قالب الثلج حسب حاجتهم حيث يقطع القالب بمنشار كبير ذا أسنان خشنة ويسمى منشار الثلج.

منشار الثلج

ثلاجة الماء

لتبريد ماء الشرب في البيوت أو المحلات والمؤسسات توجد ثلاجات لتبريد الماء وبأحجام مختلفة. تتكون الثلاجة التي تصنع محلياً من صندوق خشبي مبطن من الداخل بقطع من صفائح الـ "جينكو" وهي صفائح الحديد المغلون. ومن تلك الصفائح يصنع خزان للماء تخرج منه حنفية "صنبور" لتصب الماء البارد. يبرد الماء يوضع قطعة من قالب الثلج تقطع بطول الفراغ في تلك الثلاجة ويغلف بالكونية "جوت" لتقليل سرعة ذوبان الثلج وكذلك يرش عليه الملح لتأخير ذوبانه.

ثلاجة هيكلها الخشبي من الخارج وأخرى يظهر تغليفها من الداخل ووعاء الماء والصنبور

التدفئة في الشتاء

في المدرسة

كانت أصابع كفينا في بعض الايام تصطبغ باللون الازرق من شدة البرد حيث لم تكن هناك وسائل تدفئة في المدرسة ولا في الصف. يطلب الاستاذ من كل الطلبة في الاصطفاف الصباحي في تلك الايام الباردة أن يقوموا بفعاليات متنوعة من الرياضة السويدية ما يساعدنا على تدفئة أجسامنا وتمنحنا تلك الفعاليات كذلك فسحة إضافية للاستمتاع!

المَنْقلة

اقتصرت التدفئة على وسائل بسيطة تعتمد على الحرارة المنبعثة من النار عند حرق الفحم وقطع النباتات اليابسة. فالنار فاكهة الشتاء كما هو معروف، ومصدر النار هو المنقلة.

يجتمع أهل الدار حول المنقلة التي يوضع فيها الفحم ويسكب قليل من النفط عليه ثم تولع النار وعندما ينتهي صعود الدخان يتحول الفحم في المنقلة الى جمر أحمر تبعث الدفيء لما حولها.

النار فاكهة الشتاء في المنقلة المستطيلة

هناك أنواع من المناقل فمنها الحديدية المستطيلة والنحاسية المستطيلة أو المثمنة أو المستديرة وتكون باللون النحاسي أو الفضي المطلي.

منقلة نحاسية مطلية ذات ثمانية الأضلاع

"الكرسي"

كنا في الأيام الباردة نعمل الـ "كرسي" حيث توضع طاولة خشبية مرتفعة نوعما فوق المنقلة بعد ان تخمد النار ويبقى الجمر. تغطى الطاولة بلحاف تمتد أطرافه على السجادة المفروشة أرضاً ويجلس الجميع على الأرض حول الكرسي فتمتد سيقاننا تحت اللحاف ونستمتع بالدفء اللذيذ وأحاديث السمر.

الصوبة

والصوبة أساسها النفط الذي ينفذ الى فتيلة تشعل بالنار وتستمر بالاشتعال ونشر الدفيء في الغرف. أفضل الصوبات كانت ماركة علاء الدين ذات اللهب الازرق الـ "الساحر". تراها في بيوت من يتمكن من شرائها. تستخدم بالإضافة للتدفئة لعمل الشاي أيضا.

.

النقل والسفر

الحمالون

اعتمد نقل البضاعة أيام زمان على الحمالين. وهم رجال يتمتعون بقدرات بدنية عالية حيث يتمكن بعضهم أن يحمل على ظهره ما يقرب وزنه من المئة كيلوغرام (كيس تمن ذا الخط الازرق!).

حمال نشيط يحمل على ظهره ما لا يتمكن من حمله الشخص الاعتيادي

يرتدي الحمال قطعة مصنوعة تشبه السترة ولكن بدون أكمام تسمى "الجَنْدة" مصنوعة من الجوت ومحشاة بالقش لتحمي ظهره من الضغط المباشر من ثقل الأحمال.

"الجَنْدة" التي يلبسها الحمالون لحماية ظهرهم

يقوم الحمالون بنقل البضاعة من العنابر الى المحلات ومن المحلات الى بعضها وكذلك تفريغ البضاعة من السفن التجارية التي كانت ترسو على ضفة النهر. ويستعملوا كذلك "الشگبان" وهو عباءه سميكة يجعلها على هيئة كيس يمكن ان يحمل عليها ما وزنه 75 كيلوغرام من الحبوب والتمر وغيرها.

النقل بواسطة الحيوانات

استخدمت الحيوانات

كانت الحيوانات مثل الحمير والابل وسيلة تنقل الاشخاص وكذلك لنقل البضاعة والغلة مثل الحنطة والشعير والتمر في داخل المدينة من وإلى المحلات والخانات وحتى البيوت.

النقل بالعربة

النقل على الحمير

النقل على الإبل

الرَبَل

كانت العربة "الربل" وسيلة تنقل أساسية وللترفيه أحيانا! يجلس الحوذي أو العربنجي (سائق العربة) على اليمين والركاب في الخلف وكذلك بجنبه. وعجلات العربة مصنوعة من الحديد المغلف بطبقة مطاطية. عندما يضرب السائق الحصانين بالسوط يكون الراكب بجنبه في مأمن من السوط.

الربل

كنا نستمتع بتسلق العمود الخلفي الذي يصل في العجلتين الخلفيتين بدون ان يشعر الحوذي وأحيانا نسقط على الارض وننهض مع خدوش في الجلد، ولكن الاستمتاع يغطي على الام الخدوش!

العمود المستعرض الخلفي

الدراجة

استخدمنا الدراجة الهوائية بدون أية إضافات غير الجرس البسيط. تطور ذلك بتركيب "المولد الكهربائي" ملتصق بالعجلة الخلفية للدراجة ليضيء مصباحا مثبت على مقود الدراجة. كذلك وضعت خلف الدراجة أقراص حمراء تعكس الضوء. استخدم الدراجة بعض الناس لنقل بعض المواد البيتية وغيرها في سلة وضعت أمام الدراجة.

الدراجة والسلة في مقدمتها وعلى المقود الجرس والمصباح والمولد ملتصق بالعجلة الخلفية.

السفر بين الكوفة والنجف

السفر "بالترامواي"

هنالك في شارع السكة في منتصف المدينة محطة للترامواي التي تصل بين الكوفة والنجف. وكلمة ترامواي هي ترجمة من الانكليزية Tramway. يقتصر الترامواي على عربة واحدة بطابقين الطابق العلوي منهما مكشوف ومنصوب عليها مقاعد بكرسيين مثبتة على الجانبين. تجري العربة على سكتين متوازيتين كسكة

القطار يسحبها حصانين. في مخيلتي وميض من تجربة ركوب الترام في الطابق العلوي ولعل ذلك كان في نهاية وجود الترامواي في العام 1948. بقيت السكة الحديد بعد إلغاء الترامواي فترة ثم اقتلعت وبلط الشارع وأصبحت منطقة انطلاقه مركزا للمدينة وسميت بذات الاسم منطقة وشارع "السكة". يتجمع في تلك المنطقة أهالي المدينة في المناسبات الدينية والاجتماعية ومنها مثلا العرض السينمائي الذي كانت تقوم به المراكز الثقافية البريطانية والأمريكية وسأذكرها لاحقاً.

عربة الترامواي 1908-1948

السفر بالسيارة

بعد إلغاء الترامواي أصبحت واسطة النقل بين الكوفة والنجف تقتصر على السيارات الصالون القديمة والباصات "البَّسْات" التي كانت تصنع في النجف بتحوير اللوريات الصغيرة الى باص خشبي الجدران يحوي كراسي للركاب وللباص سطح المحاط بسياج حديد مشبك بارتفاع حوالي القدم. حينما يمتلئ الباص بالركاب يصعد الركاب الفائضون ليستقروا على السقف. بالرغم من ان المسافة بين الكوفة والنجف تبلغ 10 كيلومترات كانت السفرة محاطة بالصعوبات والحوادث لكون الشارع بين الكوفة والنجف رملي حيث كانت تغرز عجلات السيارة في الرمل وهو حدث متعارف عليه خصوصاً عندما تغمر عاصفة رملية معالم الطريق. وكم من مرة غرزت فينا السيارة مما يضطر الركاب الى النزول منها وتفريغ امتعتهم في أكثر الاحيان ويهبوا لدفع السيارة لإخراجها من الرمل. وإذا حدث ذلك في الليل يكون ذلك مخيفا. ولكن عند تبليط الشارع لم تعد هذا المخاوف قائمة. واعتقد ان تبليط الشارع كان في عهد المتصرف المتميز عباس البلداوي.

الباص (البَّسْ) الخشبي والركاب في الداخل والخارج!

الشيء بالشيء يذكر: وعلى ذكر الباص لا بأس من سرد قصة ابراهيم ابو الدگات، (صاحب المقالب)، نزيل سجن باب المعظم لتعدد جرائمه وكان قد زاره وحاوره الاستاذ جعفر الخليلي ونشر ذلك في كتابه كنت معهم في السجن. فقد كان ابراهيم أبو الدگات يعمل مساعدا لسائق بس (سِكِن) وفي سفرة من بغداد خلال فصل الشتاء حملوا فيها جنازة في تابوت خشبي لدفنها في النجف وبعد عودتهم وضعوا التابوت الفارغ على سطح الباص. امتلأ الباص بالمسافرين الجدد فاضطر ابراهيم للصعود الى سطح الباص حيث لم يبق له مكان يجلس فيه. ولما بدأ المطر ينهمر قرر ان يدخل في التابوت ويحتمي بغطائه. أثناء السفر توقف الباص لدقائق ليحمل ركابا أخرين لم يكن لهم مكانا الا السطح. جلسوا جنب التابوت واحتمى الجميع بعباءة أحدهم حيث فرشوها فوق رؤوسهم. وصاحبنا ابراهيم يتابع بسمعه ما يجري منذ صعودهم وحتى استقرارهم بجنبه ولم يبالوا بوجود "ميت" يجاورهم. أخرج أحدهم خبزا وخضروات وبدأ الجميع بالأكل والحديث فيما بينهم. هنا لعبت روح الفكاهة برأس ابراهيم وإذا به يرفع غطاء التابوت بهدوء ويخرج يده ويدفعها بعنف صوبهم قائلا الا تعطوا موتاكم بعض أكلكم، وإذا بالمساكين يقفزوا من على سطح السيارة بهلع بالغ ويسقطوا الى أرض الشارع والسيارة تسير بسرعة ما أدى الى موت البعض وجرح الاخرين. وقد حكم عليه بهذه الجريمة وغيرها من "الدگات"!

سيارات الحمل

القجمة هي من مخلفات المعسكرات البريطانية. كانت إحداها في محلتنا صاحبها ابن المختار!

حافلات مصلحة نقل الركاب

في العام 1955، كما أحتمل، عوضت حافلات مصلحة نقل الركاب من نوع مرسيدس عن الصعوبات التي كان يعاني منها المسافرون بين الكوفة والنجف. بدأت الحافلات بعدد قليل ولكن انبهر الجميع بصناعة الباص وسعته. كان العاملون من السواق والجبأة يلبسون بدلات خاصة أنيقة مع قبعة وكذا المفتشون الذين كانوا يفاجئوا العاملين والركاب حين يوقفوا الحافلة في اي مكان على مسارها ويستقلها للتأكد من سلامة اداء الجباة وعدم ركوب من لم يدفع أجرة الركوب. وبسبب تمادي المفتشين بالضغط على الجبأة في دقة اداء الواجب وحسب ما يراه الجباة من "ظلم" المفتشين فكانوا يكتبون في أماكن عامة "الحياة لنا نحن الجبأة والموت للمفتشين الطغاة". وللأسف فهكذا تعبير عن السخط الى اعتبار الموت هدف سهل المنال كان يتماشى مع ثقافة الشارع حينذاك حيث كان يردد الناشطون سياسياً "الحياة لنا نحن الأباة والموت للمجرمين الطغاة" .

حافلة مرسيدس لمصلحة نقل الركاب بين النجف والكوفة

النقل النهري للبضائع والنفط

كان شط الكوفة الذي ينساب من الشمال متفرعا من الفرات قرينا لشط الحلة يخترق المدينة، ولكن ليس بالتساوي. تقع المدينة بكافة معالمها على شاطئه الغربي وأغلب أطرافها والمزارع والعشائر على الجانب الشرقي منه. تمخر في نهر الكوفة السفن، لغزارة مياهه وعمقه، بين أعالي الفرات وحتى البصرة. كانت السفن إحدى وسائل النقل المهمة حيث تنقل الحبوب والأخشاب وكذلك النفط. عند اقتراب السفينة من الجسر الخشبي يفتح لها الجسر وينقطع العبور الى أن تمر السفينة وتبتعد عنه بأمان. كانت تلك الدقائق متعة لنا في مشاهدة فتح الجسر وإغلاقه.

تدعى السفن التي تسير بالدفع الميكانيكي (ماطورات) وهي بنظرنا الطفولي وكأنها بواخر عظيمة وهي ترسو على ساحل النهر. هناك مواقع خاصة لرسو السفن بالقرب من الخانات لتفريغ حمولتها أو لتحميلها الغلة من الحبوب الشلب (الرز الخام)، الحنطة والشعير او من التمور. تنصب لوحات الخشب الطويلة بين جرف النهر وحافة السفينة ليبدأ الحمالون لحمل الشحنة على ظهورهم.

مناظر للسفينة تمخر في الفرات وسطحها وتفريغ حمولتها

يبلغ طول السفينة حوالي 20 مترا وبطابقين؛ السطح والطابق الرئيس السفلي. وكان في مقدمة السفينة موقع النوخذة "الربان". تستمر سفرتهم اياما لذا يجب توفير طعامهم داخل السفينة طوال تلك المدة وأساس طعامهم الخبز الذي يخبز في تنور فخاري على سطح السفينة. أما سفينة الحاوية لنقل النفط وتدعى "الدوبة"، فهي وعاء ضخم ليس فيها قوة دفع تلقائية إذ تعتمد على أن تسحبها سفينة صغيرة ذات ماكنة ضخمة. تشبه تلك الحاوية الحاويات الفارغة التي يستند عليها الجسر الخشبي.

الحاوية الفارغة (الدوبة) تحت الجسر الخشبي

ترسو الدوبة قرب محطة البانزين الوحيدة التي يمتلكها الحاج محمد رشاد عجينة والتي تقع في شمال المدينة. عندما ترسو قرب محطة البانزين تربط الفتحات الخاصة في السفينة والأنابيب الثابتة على الارض في المحطة. تنقل كل المحتويات من النفط عن طريق مضخة يدوية يشغّلها عامل متخصص يقف منتصبا ماسكا نهاية عمود المضخة بكلتا يديه يحرك ذراع المضخة الى الجانبين وبمجال زاوية لا تزيد على ٩٠ درجة. تستمر هذه العملية لساعات حتى تفرغ كل الحمولة.

مضخة يدوية لتفريغ النفط من "الدوبة"

الجسر القديم:

كان الجسر القديم الذي يربط بين جانبي نهر الفرات جنوب المدينة مصنوعاً من الخشب ومثبتاً على حاويات نهرية كبيرة (نسمي المفردة بالدوبة) صفت عموديا على اتجاه مسار الجسر. ثبت الجسر من الجانبين بالحبال السميكة. كان الجسر بعرض لا يزيد كثيرا على عرض السيارة الواحدة وعلى جانبه ممر للمشاة بعرض متر واحد تقريبا. تغطي الجسر ألواح الخشب من بدايته الى نهايته. وبين ممر المشاة والسيارات حاجز بسيط من أعمدة الخشب ينفذ فيها ثلاثة حبال في اعلى ووسط وأسفل الأعمدة تستمر على طول الممر. وتمر السيارات بسيطرة مسؤولين اثنين كل على جانبي الجسر كانا يستخدمان الصافرة وبرموز صوتية متفق عليها للسماح بعبور السيارات من هذا الجانب او ذاك. ويلعن المشاة السيارات الكبيرة التي بسبب عبورها يتموج الجسر بشدة الى اعلى وأسفل مما يخيف الأطفال والكبار على السواء. وترى الجسر حافلا بمن يعبر عليه من البشر والبقر والحمير والجمال بالإضافة الى السيارات. وكان الجسر يقطع حينما تمر السفن مخترقة نهر الفرات من الشمال او من الجنوب حيث تفصل ثلاث دوبات وتركن الى الجانب لحين عبور السفن ويعاد الجسر الى ما كان عليه. كان المسؤول عن المرور في الجسر ورفع بوابته الحاج محمد الجسار. ومن طريف الأخبار ينقل أنه في أحد

الأيام تفاجأ الناس بفقدان جزء من الجسر فتعطل المرور عليه بعد ذلك تم العثور على ذلك الجزء على بعد نحو الجنوب وسحب الى مكانه وثبّت!!

الجسر القديم تحمله السفن المعدنية الضخمة (الدوبة) والجمال تعبر عليه

تعبر السيارات باتجاه واحد على الجسر ذا الممر الواحد

الجسر الجديد

بعد ان انتهى عهد الجسر القديم قرر مجلس الإعمار في العهد الملكي بناء جسر جديد للمدينة كي يسهل الحركة بين بغداد والنجف بالإضافة الى استفادة المدينة منه. نفذت شركة فيليب هولزمان الألمانية إنشاء الجسر. استمر الصخب يملأ أجواء المدينة لحوالي السنتين حينما بدأت المكائن تثبت أعمدة ارتكاز الجسر في عمق قاع النهر. أفتتح في عام 1955 فتغيرت حال المدينة بعد افتتاحه حيث انتعشت الحركة التجارية بزيادة حركة السير من الحلة/بغداد الى النجف وبالعكس.

رئيس الوزراء نوري السعيد ووزير الاعمار ضياء جعفر يفتتحان جسر الكوفة الجديد عام 1955

الجسر الجديد في الكوفة

السينما في الصيف

تشترك مدينة الكوفة مع المدن التي تشّرفت بمراقد الأئمة المعصومين وأولادهم لذا لم يسمح بإنشاء دور سينما كما كان لعدد من مدن أخرى في العراق. كان يزورنا في الكوفة صديق اسمه سليم الشكري الذي ينتسب لآل

الشكري الأكارم يسكن مدينة السماوة. كم يشوقنا بحديثه عن الأفلام السينمائية التي تعرضها دار السينما في السماوة. تعلمنا منه مثلاً تعبير "أهنزبك" (hands up) أي إرفع يديك الى أعلى مستسلما!!

أثناء فصل الصيف في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات كنا نترقب بلهفة العرض السينمائي الذي كانت تقوم به (النقطة الرابعة) الأميركية وكذلك السفارة البريطانية كل على انفراد في ساحة السكة في داخل المدينة. تعرض الأفلام مرة كل شهرين تقريبا إذ ينصبوا كاميراتهم على سقف سيارة خاصة وتنصب الشاشة المتنقلة الكبيرة على واجهة الساحة وكنا نحن الأطفال والكبار على السواء نجلس على الارض ماعدا المسؤولين الذين كانوا يجلسون على كراسي في المقدمة. تعرض على الشاشة العديد من الأفلام السياسية والعسكرية والاخبار العامة. والأفلام هذه كانت النافذة الوحيدة من نوعها لعقولنا الصغيرة المتطلعة لمعرفة ما يجري في العالم الخارجي.

سينما روكسي الصيفي في بغداد "مع الكراسي" والفرق بيننا وبينهم إنا كنا في الكوفة نجلس على الارض!!

السيرك في مدرسة البنات

لأول مرة في تاريخ الكوفة يأتي سيرك مصغر الى المدينة. كان ذلك في بداية الخمسينات ولا اذكر التاريخ بدقة. أقيم مهرجان السيرك في مدرسة الكوفة للبنات في محلة السراي. كان القائمون على السير أجانب بطبيعة الحال ومن الممكن انهم من إحدى الدول الآسيوية. والذي بقي في ذاكرتي منه هو اللعب المتوازن على لوحة خشبية تقف فوق أسطوانة معدنية بقطر يقل عن القدم الواحد وكان اللاعب يتأرجح يميناً وشمالا على تلك اللوحة مع المحافظة العجيبة على توازنه ويلعب خلال تلك الحركات بحاجات يقذفها من يده في الهواء ويتلقفاها بخفة بدون أن تسقط.

نموذج للقاعدة التي عليها كان يقوم اللعب بحركاته البهلوانية

قام أحد أفراد الطاقم بلعبة مدهشة للجميع حينما ادخل شخصا في صندوق خشبي كبير وبعد ان أقفل الصندوق عليه وأدخل سيوفا حقيقية ذات بريق مخيف واحدا بعد الاخر في كل جوانب الصندوق بحيث يبدو للجميع ان بعضها قد نفذ بالتأكيد خلال جسم ذلك الشخص. خيم على الجميع الخوف والرهبة مع كل حركة دخول سيف في الصندوق. بعد كل تلك الدقائق المرعبة يخرج ذلك الشخص منتصبا وضاحكا مشمرا بساعديه في الهواء. أن هكذا حيل يسهل فهمها الان ولكن في ذلك الوقت وفي تلك المدينة الصغيرة كان ذلك من الأحداث المبهرة في تاريخ المدينة!

الإضاءة

بالرغم من وجود الكهرباء الحكومي لمن يتمكن من دفع فاتورته، كانت وسائل الإضاءة الأخرى مصدر الإنارة في حال انقطاع الكهرباء. شملت وسائل الإضاءة التي تعتمد على احتراق النفط الابيض على الفوانيس بمختلف أنواعها واللوكس وغيرها.

اللمبة (السراج، النفطية)

تتكون اللمبة من علبة معدنية بسيطة يخرج من قاعدتها العليا انبوب معدني. تحوي العلبة في داخلها النفط الابيض وتمتد في داخل الانبوب "الفتيلة" الى قعر العلبة. والفتيلة تتكون من خيوط قطنية سميكة لفت على بعضها. تتشرب الفتيلة بالنفط لتحترق عند إشعالها لتضيء ما حولها. منها أنواع تتحكم بفتيلتها عتلة ترفعها وتخفضها وهناك نوع بسيط بدون تلك العتلة.

اللمبة بالعتلة وفتيلتها والغطاء الذي يطفيء اللعب

الفوانيس (الّلاله أو الگازة):

تحوي الفوانيس خزان النفط والفتيلة وهي شريط أبيض مصنوع من خيوط محبوكة ْيغطس جلها تحت مستوى النفط في خزان الفانوس ونهايتها العليا تدخل في رأس الفانوس حيث هناك عتلة تتحكم بمقدار ما يظهر من الفتيلة التي تشتعل لتضيء ما حولها. تنوعت الفوانيس فمنها التي تعلق على الجدار والأخرى توضع على المنضدة والثالثة توضع داخل صندوق زجاجي إما تعلق أو توضع على منضدة وأنواع أخرى مزخرفة وذات أشكال مختلفة. لكل من تلك الأنواع زجاج خاص بها تختلف أشكاله حسب تصميم الفانوس.

عدد من الفوانيس من أيام زمان والذي على اليسار رسم تخطيطي والفتيلة

"اللوكس"

النوع الآخر هو ما يدعى بالـ "لوكس" والذي تكون إضاءته أشد من الفانوس وتميل الى ما يشبه ضوء النهار. يعمل اللوكس بالهواء المضغوط واشتعال "الفتيلة". واللوكس يتكون من هيكل معدني حوله قطعة زجاج دائرية وفي قاعدته خزان يملأ بالنفط وفيه فتحتين الأولى لملئه بالنفط والثانية فتحة مكبس يضغط الهواء في الخزان فيندفع النفط الى أعلى اللوكس ليحترق. أما اللمبة فهي كيس أبيض جميل المنظر مصنوع من نسيج خاص مقاوم للاشتعال يثبت في نهاية أنبوب في أعلى اللوكس وتحته جفنة صغيرة تملأ بالكحول تشتعل بقدح عود الثقاب لتحترق اللمبة ويديم الاشتعال ضخ النفط الذي ينسكب على الجفنة من خلال الانبوب الذي ثبتت حوله اللمبة. وإذا خفت الضياء نضخ الهواء مجدداً بدفع المكبس عدة مرات.

اللوكس واللفتيلة

المذياع (الراديو)

لم يكن المذياع متوفراً في مدينة الكوفة بكثرة في أيام الطفولة في الاربعينيات. اقتنته بعض البيوت ولم يكن بيتنا من بينهم ربما كان بعض اسباب ذلك دينية! كان لدى أحد جيراننا راديو حيث نذهب لسماع صوت المذيعين والاغاني وننبهر بما نسمع وكانوا يتندرون علينا بأن الشخص المتحدث يقبع في داخل الراديو. بعدئذ جاء الراديو الى بيتنا وكان يعمل على اللمبة (صمام الفراغ) الذي يبعث حرارة عالية تخرج من خلف الراديو لذا كان ذلك الجانب مثقباً. لم يكن يعمل الراديو بدون أريل يتصل بالراديو ونهايته في سطح المنزل.

الراديو وفي أعلاه الأريل واللمبات في داخله

الوقاية من الحشرات

تسبب زيادة منسوب الماء في نهر الفرات ما يسبب تكّون مستنقعات عديدة في البساتين حول المدينة، وتسرب المياه الجوفية الى سراديب البيوت، الى كثرة أسراب البعوض والحشرات فيها. للتخلص من إزعاج البعوض، وخطورة بعض أنواعه في الاصابة بمرض الملاريا، تستخدم في البيوت المضخة اليدوية المشهورة باسم "الإمشي". يوضع فيها محلول "الفليت" الذي يضخ باتجاه الأماكن التي تكثر فيها تجمعات البعوض مثل تحت حب الماء حيث الرطوبة والسرداب.

المضخة ووعاء سائل الفليت

أما في الشارع فكانت الحكومة المحلية تقوم بتعفير الشوارع باستخدام مركبة خاصة فيها خزان مليء بمادة الدي دي تي تنفثها في كل الشوارع. كنا نستمتع كأطفال بتلك "المكينة أم الدخان" ونتبعها مهرولين بجنب غمامة الدخان.

"المكينة أم الدخان" والأطفال يهرولون بحنب الغاز الكثيف المنبعث منها

عمل القهوة

أقيمت في دارنا مجالس حسينية أسبوعية في بعض السنين وكذلك كان لقاءً لأصدقاء الوالد في بيتنا يومياً تقريباً. لتلك المناسبات كان للقهوة أهمية أساسية. في الأيام الأولى كنا نجلب حبوب القهوة الخضراء ونحمصها في إناء معدني مسطح نسبياً. بعد ذلك تطحن الحبوب التي تحولت الى لون بني غامق.

حبوب القهوة قبل وبعد تحميصها

توضع الحبوب في الهاون لتطحن وتتحول الى مسحوق ومنه تعمل القهوة. بعد ذلك استعملنا ماكينة طحن القهوة اليدوية. نضع في فوهتها حبوب القهوة ونحرك المقبض بحركة دائرية فتطحن الحبوب التي تجمع في جرار صغير في أسفل المطحنة.

مطحنة القهوة اليدوية وفي أسفلها الجرار الذي يجمع القهوة المطحونة

توضع الدلال في المنقلة التي يملأها الجمر المحمر. تتسلسل الدلال بالحجم من القمقم، الدلة الكبيرة، الى أصغر منها بمجمع ست دلال بأحجام متناقصة.

القمقم والدِلال الأصغر أمام منقلة الفحم

يبدأ عمل القهوة بالقمقم بتهيئة الشربت الذي هو مزيج القهوة المخفف. يصب الشربت في الدلة الأصغر حجماً ويضاف لها مسحوق قهوة إضافي. يتكرر ذلك حتى الوصول الى الدلة الأصغر وهي التي يتم توزيع القهوة منها وعندها تكون القهوة سميكة القوام لذيذة الطعم.

الكتابة

استخدم قلم الرصاص الخشبي في تلك الفترة كان كما هو في الحال الحاضر ما عدا كونه بدون تصاميم فنية على سطحه الخارجي أو أية أصباغ ما عدا اللون الاصفر. أما في الدوائر الرسمية فيستخدم قلم من نوع آخر هو قلم (القوبيه) الكوبيا Copy.

قلم الكوبيا

لا تؤثر الممحاة (المسّاحة) على ما يكتب بقلم القوبيه وهذا ما يساعد على حفظ متن الكتب الرسمية وعدم التلاعب بها. كذلك يستخدم هذا القلم في عمل نسخ إضافية للكتب الرسمية وغيرها. وذلك عند وضع طبقة كاربون بين ورقتين أو ثلاث وبالضغط بقوة على القلم أثناء الكتابة تظهر نسخ إضافية للكتاب. يحتاج القلم أحياناً الى أن تبلل نهايته بالماء وعند عدم توفره يبلل باللسان فيصطبغ اللسان عندئذ باللون البنفسجي.

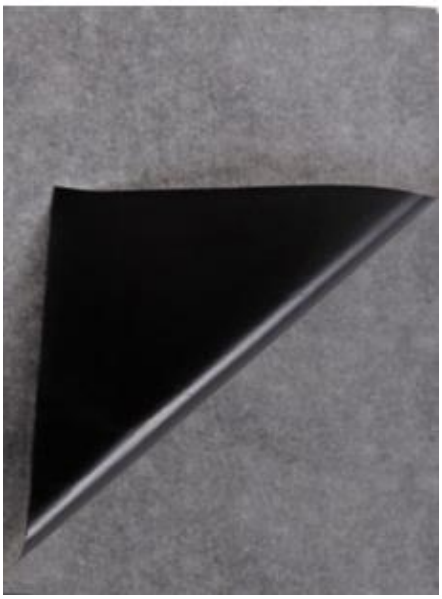

مجموعة من أوراق الكاربون وطويت إحداها

أما الكتابة بالحبر فكانت باستخدام قلم الحبر البدائي الذي يغمس بالحبر الذي يملأ "الدواية أوالمَحبرة" وهي قنينة الحبر. يصنع القلم من الخشب أو مواد أخرى وتثبت في نهايته ما يدعى بالـ "سلاّية" وهي صفيحة معدنية مقوسة ومدببة النهاية وفيها فتحة طولية تحتفظ بقليل من الحبر فيها حينما تغمس في قنينة الحبر. يمكن كتابة عدة جمل في الغمسة الواحدة وعند نفاذ الحبر منها تغمس ثانية وثالثة وحتى إكمال الكتابة المطلوبة.

القلم وفي نهايته السلاية ومعه الدواية (قنينة الحبر)

لتفادي انتشار الحبر خارج الكلمات التي تكتب واحتمال تلويث الورقة، يضطر الكاتب أن يتخلص من الحبر الفائض باستعمال قطعة خشبية أو معدنية مصنوعة لهذا الغرض تدعى بالنشافة مثبت في أسفلها ورقة تشبه ورقة الفلتر (الترشيح) لتمتص ذلك الفائض من الحبر وتأمين عدم تلوث الورقة.

النشافة المثبت في أسفلها ورقة الترشيح لامتصاص الحبر الفائض

تطورت الكتابة في استخدام قلم الحبر (الباندان) الذي يصنع من المعدن والبلاستك وفي داخله خزان من المطاط لخزن الحبر. كانت الشهرة لقلم الحبر باركر 21. تطورت الأنواع فكان باركر 75 وشيفرز ووترمان الخ.

قلم الحبر باركر 21 ومليء الخزان المطاطي والحبر كوينك "الشهير"

إكرام الجار الجديد

حينما يسكن جار جديد في الحي يكرمه الجيران القريبين والبعدين من أهل الحي بالتتناوب بأن يرسلوا الوجبات الشهية. تستمر تلك لحوالي الاسبوع ما يريح العائلة من مهام الطبخ والتفرغ لتنظيف وترتيب البيت. بعد ان يستقر بهم الحال يقوموا بدعوة الذين تفضلوا عليهم بالوجبات من الجيران الى دعوة عشاء كبيرة يحضرها الجميع تعبيراً لامتنان وشكر الجار الجديد وبذا تبدأ علاقة حميمة مع الجميع.

الطقوس والمناسبات

"مدرسة" شهر محرم الحرام

كان لشهر محرم الحرام طقوساً تختلف عن بقية الشهور. تعقد في هذا الشهر مجالس العزاء والتعبير بأساليب عدة بتذكر مصيبة الامام الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه. كانت تلك المجالس مدرسة ثقافية لنا في مرحلتي الطفولة والشباب؛ حيث كانت المنتدى الثقافي الذي نلتقي فيه بالآباء والمربين وننصت الى أحاديثهم ونتبادل فيما بيننا الأحاديث والتجارب التي مرت علينا بالإضافة الى ما نسمعه من خطباء المنبر الحسيني من الخطب التثقيفية والخالية من المبالغات.

الاستعدادات: تبدأ الاستعدادات لذلك الشهر قبل حلوله بأسابيع. ترى المساجد، مثل مسجد الكوفة وجامع بنت الملا وجامع النبي يونس وجوامع أخرى، والحسينيات والتكيات (مجلس تمارس فيه بعض الشعائر الحسينية وأصلها تركية أو فارسية) وحتى الاسواق وقد توشحت جدرانها بالأقمشة السود والآيات القرآنية. تهيئ في البيوت الدشاديش السوداء للكبار والصغار. يمتنع الناس في هذا الشهر وخصوصا العشرة الاولى منه عن "اللذائذ" مثل الاستماع الى الراديو والاغاني واللهو بأكل حب الرقي وغيره وحتى العلك.

تستعد مواكب العزاء ومجالس العزاء و "الفِرَق" التي عادة ما تتقدم المواكب بآلاتها التي تشمل البوق والطبل والـ "طوس" وهي صفيحتين معدنيتين بقطر قدم واحد تمسك من قطعة قماش في مركزها وعند طرقها ببعضها تحدث صوتا زنجاريا يتطابق مع الطبل والبوق.

"الطوس" والمقبض في وسطها

كان أكثر النشاط في محلتنا في شارع السراي يتم في التكية القريبة من بيتنا وهي تكية الخبازين والتي لا تفتح عادة الا في هذا الشهر. وكان الحاج نادي علي، صفار المهنة، محور النشاط فيها. وهو قصير القامة مربوع الجسد يلبس "الكشيدة" وتميز بخدمته للجميع وبابتسامته التي تعلو وجهه الأبيض السحنة. كان المسؤول عن عمل وتقديم القهوة والشاي فترى المنقلة ودلال القهوة على الجمر المستعر ويبقى كذلك لحين انتهاء مراسيم

العزاء. تغطى كافة جدران التكية بالقماش الأسود الذي نقشت عليه الآيات القرآنية والرموز الدينية والصور المعبرة، وفرشت الأرض بالسجاد.

تقوم غالبية المساجد والحسينيات الموزعة في مختلف أرجاء المدينة ومنها مسجد الخلخالي ومسجد أبو چبك وغيرها في محلة السراي وكذلك مسجدي الرشادية والجديدة، بالاستعداد بذات الهمة. تهيئ في المجالس بعض الكراسي والمصاطب (أريكة خشبية) ليجلس عليها الوجهاء والمسنين والباقي من الرواد يجلسون على الأرض المفروشة بالسجاد. تتوج نشاطاتها الخطب الحسينية التي يقوم بها خطباء المنبر الحسيني (روزخونية) مفردها (روزة خون). من اولئك الخطباء كان الشيخ النويني، الشيخ أحمد الوائلي، الشيخ جعفر الهلالي ووالده الشيخ عبد الحميد الهلالي وأحيانا السيد مهدي السيد ياسين (هو تاجر أقمشة ولكنه قادر على إعطاء المنبر الحسيني حقه). في بعض الأحيان يسبق الخطيب خطبة لخطيب شاب تحت التدريب يخطب لعدة دقائق قبل أستاذه. كانت تلك المجالس، كما ذكرت سابقا، مدرسة في التربية الاجتماعية والقيم العالية والثقافية للشباب في تلك المرحلة من العمر وليس فقط تذكر مصيبة الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

بعد انتهاء خطبة الروزخون يعتلي المنبر الرادود الحسيني الذي يردد أشعارا حسينية باللهجة العامية وبنغمة إنشادية متميزة. يبدأ الشباب والكهول للطم على الصدور على متناغمة مع ترديد الأشعار. يكون على الصدور فوق الدشداشة وعند الحماس يكشف صدر اللاطم ويكون اللطم على جلد الصدر مباشرة!! تستمر تلك المجالس لتسعة ليالي على نفس النسق ولكن الحالة تختلف في ليلة العاشر من محرم التي تصادف ليلة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، كما سيرد لاحقا.

المواكب الحسينية: تبدأ الاستعدادات للمواكب كما هو الحال في المجالس الحسينية، قبل أسابيع من حلول شهر محرم. كان من تلك المواكب موكب السيد ابو القاسم والسيد تقي الخلخالي وموكب الجديدة والرشادية وغيرها. تختلف في تهيئة مستلزمات المواكب من أعلام وملابس خاصة لها والتي يكون بعضها بفتحتين على جانبي الظهر لأولئك الذين يستخدموا "الزناجيل". لهذه المواكب طقوس تميزها عن بعضها بطريقتها. فهناك المواكب التي يتقدمها حامل الراية الكبيرة السوداء ثم فريق العزف بالطبل (الدمام) والطوس والبوق. يسير المعزون بخط واحد يتقدمهم شخص يقود المسيرة يحمل بيده اليمنى سيفا ويمسك بيده اليسرى وسط الشخص الثاني عند الحزام الذي يمسك بيده اليمنى سيفا وبنفس الطريقة يمسك الثاني والذي بعده وسط الشخص الذي يليه وهكذا. يخطو المعزون بخطوات على دقات مجموعة الموسيقى. والموسيقى الحماسية التي تعزف بنوتة خاصة "طوط طوط طوط" ويصيح الجميع "حيدر". يستعرض الموكب في أسواق وأزقة المدينة وينتهي بعد عدة ساعات في المسجد الذي انطلق منه.

هناك كذلك المواكب التي تسير بمجاميع يتقدمهم قارئ يقرأ أشعارا حزينة بصوت هادئ والجمع خلفه يردد تلك الاشعار والكل يلطم على الصدور لطما خفيفا. والموكب الآخر موكب "الزناجيل" وهنا يسير المشاركون بسماطين وبيد كل واحد زنجيلا وهو حزمة من الحلقات الحديدية المتصلة بمقبض يمسكه الفرد ويضرب به جانبي ظهره بالتعاقب في منطقة قد أزيل منها القماش بمساحة دائرية. وهناك موكب عزاء الذي يمسك كل معزٍ شمعة موقدة يدعى الموكب بـ "گنده گلو شمع علو" يسير الموكب في أزقة المدينة في موكب مهيب يردد الجميع أشعارا قصيرة حزينة.

الزنجيل والرداء الاسود

الاحتفال بزواج القاسم بن الحسن (ع): يصحب العزاء في اليوم السابع من محرم الى بعض من الفرح الذي يتزامن مع تذكر حفلة عرس القاسم بن الحسن عليه السلام التي يروى أنها أقيمت في ذلك اليوم في مخيم عمه الامام الحسين عليه السلام. كربلاء. تنصب عدد من المجالس غرفة من خشب ومغلفة بأجمل الأقمشة الملونة وفي داخلها زينة بأحلى معالمها المتوفرة. كانت غرفة عرس القاسم الذي يتبناها محبوب الجميع المدعو زبالة الكوفي، من أجمل الغرف. يجلب زبالة كل ما يقتنيه في بيته من التحف الخزفية القديمة النادرة والحديثة الغالية الثمن.

وترى هناك مسحة من الفرح المصحوب بالألم حيث يعلم الجميع ان بعد هذه الفرحة هناك القتال والاستشهاد بعد ثلاثة أيام.

مجموعة من مقتنيات السيد زبالة من التحفيات والشمعدانات الزجاجية والسيراميكية والكريستال المزخرفة والمصنوعة باليد في إيران وايطاليا وغيرها والتي تعرض في "حفل" عرس القاسم.

تمثيل واقعة الطف: تقام في الكوفة في اليوم الثامن من شهر محرم الحرام من كل عام اعادة مشهد ملحمة قتال العاشر من محرم عام 61 للهجرة بين الامام الحسين عليه السلام ومن معه وجيش بني أمية. تدعى تلك المسرحية بالـ "الشَبيه" دلالة على أن ما سيعرض هو شبيه للواقعة. كذلك تسمى بالـ "دائرة" نسبة الى دوران الاعداء حول مخيم ومعسكر الإمام أو لتجمع الناس حول الموقع على شكل دائرة. تقام واقعة الطف خارج قصبة الكوفة بين مسجدي الكوفة والسهلة وأحيانا على أرض مسجد الكوفة. يجتمع الناس بالمئات من الصباح الباكر حول الساحة ويجلسون على الأرض بشكل دائري حول ساحة التمثيل، مع ترك فجوة لدخول وخروج الممثلين والخيل التي يمتطونها.

يقوم بالتمثيل متطوعون من أهالي الكوفة لما يتطلبه الإخراج والديكور اللذان على درجة مقبولة جدا من الجميع. تقلد الممثلون شخصيات الإمام الحسين، وأخيه العباس، أولاد الحسين وأولاد الحسن عليهم السلام وبقية العترة النبوية من الشباب ومجموعة من أصحاب الحسين منهم الحر الرياحي الذي ترك معسكر يزيد ليلتحق بمعسكر الحسين وآخرون من الأصحاب منهم من هو فارس ومنهم الراجل متقلدين سيوفهم ودروعهم. نصبت خيمة في جانب من الموقع تأوي نساء الحسين وتابعيهم.

أما معسكر بني أمية فهناك عمر بن سعد قائد الجيش، شمر بن ذي الجوشن، وحرملة وعدد كبير من "الجنود".

مثّل الامام الحسين (عليه السلام) في كل الاعوام التي حضرتها السيد عبد الصليجي وهو سيد ابيض البشرة معتدل القامة حلو المعاني مهابا ومحترما من الجميع صاحب محل يكتسب منه معيشته (بعده قام بتمثيل دور

الحسين السيد مهدي السيد ياسين الرجل الفاضل الذي كان يبيع الاقمشة ويتحلى بثقافة عالية). يركب السيد عبد فرساً أبيضاً ويتعمم بعمامة خضراء ويتقلد السيف بوسطه مع الدرع. ويمثل العباس أخ الامام الحسين عليه السلام السيد طاهر الفحام وهو شخصية مهيبة وبجسم ممتلئ وأكتاف عريضة.

السيد عبد الصليجي الذي كان يمثل دور الامام الحسين (ع) في مرحلة من "الشبيه"

اما الشمر بن ذي االجوشن قاتل الحسين فكان يمثل دوره الحاج حاجم السعد، وهو جار لنا معروف بالطيبة والخلق العالي، يمتطي جواده وهو مدجج بالدرع وغطاء الرأس المعدني وبيده الرمح ومتقلدا السيف.

تبدأ التمثيلية بتقاليد معروفة بمحاولة الحسين (ع) إقناع معسكر ابن سعد وتذكيرهم بمكانته ونسبه لجده النبي الكريم (ص) ووالده الإمام علي (ع) والقرآن أملاً أن يثنيهم عما سيقترفونه من جريمة. يطلب قائد الجيش الاموي في المقابل من الحسين الانصياع والطاعة ليزيد بن معاوية الخليفة. حينما يرفض الطرفان تلك العروض يبدأ القتال بالنزال ومقابلة رجل برجل. يتقدم أولاً أصحاب الحسين تباعاً بعد الاستئذان من الإمام ويستشهدوا في منتصف الساحة لعدم تكافؤ العدد والعدة بين الفريقين.

مبارزة قتال بين أحد أتباع الحسين وآخر من جيش ابن سعد ويشاهد المتفرجون على البعد (في مسجد الكوفة)

أفراد جيش ابن سعد والمبارزة في الميدان

بعد أن يستشهد جميع أصحابه يتقدم ابن الحسين علي الأكبر ومن ثم القاسم بن الحسن وبقية العترة وكانت شهادتهم محسومة. وأخيراً يتقدم العباس ويستشهد وبعد ذلك تشتد الحرب وتقوم القيامة بمشاهدة خروج الامام الحسين للمبارزة وتنتهي باستشهاده. هنا يرتفع الصياح والعويل من المشاهدين وكأن ما يحدث أمامهم حقيقة واقعة. يأخذ الانفعال منهم مأخذا حيث يقوموا برمي الحجارة والاعتداء على مجموعة الممثلين من جيش يزيد وبالأخص (الحاج حاجم بن عباس السعد) الذي مثل الشمر انتقاما منه لقتله الامام!! ولله الحمد لم ينتج عن ذلك أذىً يذكر على أي من الذين أدوا تلك الأدوار.

ليلة العاشر من محرم: أما الليلة العاشرة التي كنا ندعوها بليلة الـ"الحِجّة"[1] فإنها ليلة لا تنسى حيث تطفأ الأنوار في المدينة ويسهر الجميع حتى الصباح مشاركين في المجالس الحسينية الحزينة ويقضي الكبار الليل، في المجالس أو في مسجد الكوفة، بالدعاء والصلاة. أما نحن الشباب فكنا نتنقل بين المجالس في المدينة بثيابنا السود حتى الصباح حيث تنتهي مراسيم العاشر من محرم صباحا بالتطبير.

التطبير: تكون قمة إظهار المشاعر الأليمة في صبيحة اليوم العاشر من محرم. تبدأ المواكب بالتوجه الى مسجد الكوفة يتقدمهم فريق العزف والذي يعزف بحماسة شديدة. يتشح المشاركون بالقماش الأبيض للدلالة على لبسهم الكفن. تكون مسيرتهم بخط واحد ماسكين باليسرى وسط من يليهم وباليمنى يحملون السيف أو "القامة"، وهي أقصر من السيف، ولكنها مستقيمة وأعرض منه. يحيط بالمواكب المئات من "المتفرجين" المتعاطفين.

عند وصول المواكب الى المسجد يتجهون الى صحن مسلم ابن عقيل ابن عم الامام الحسين (ع) حيث يبدأ "التطبير" بالضرب بالسيف أو القامة على قمة الرأس فتحدث جروحاً طوليةً في فروة الرأس ينزف منها الدم بغزارة ليسيل على جانبي الوجه. تندمج الأصوات المتعالية من المشاركين بصراخهم "يا حسين يا حسين"

بالضربات الشديدة على الطبول ويرتفع صوت الأبواق والطوس فتتهيج المشاعر وتعمل على ما يشبه بالتنويم المغناطيسي للمجموع.

الشيخ عباس ادريس وقد تهيأ للتطبير

هناك مجموعة أفراد "متميزين" بطريقة تطبيرهم، في طليعة أولئك الشيخ عباس إدريس الذي كان يركع على ركبتيه مواجها ضريح مسلم بن عقيل قابضا على سيف في يده اليمنى وآخر باليسرى ويضرب بقوة على فروة رأسه بهما بالتناوب وخوفاً على حياته يتقرب منه بعض الإخوان لإيقافه.

تنتهي تلك المراسيم وقد حققوا الراحة النفسية بما شاركوا فيه مصاب آل البيت بأن يذهب الجميع وهم مخضبون بالدماء الى الحمام العام للاستحمام وتوضع على جروح رؤوسهم كمية من الرماد. والرماد مادة خالية من الجراثيم ويعمل على الاسراع في تكوين خثرة الدم التي تعمل على ايقاف النزف حيث تسد الاوعية الدموية الممزقة.

هنا يجب أن أذكر بأن التطبير من الناحية الطبية ممكن أن يؤثر سلباً على صحة ممارسيه عند فقدان كمية كبيرة من الدم وكذلك عند حدوث التهابات في الجروح. وإضافة للضرر الصحي فقد أفتى عدد من المراجع بترك التطبير وبعضهم بحرمته.

ليلة الحادي عشر: بعد أن تنتهي الشعائر في اليوم العاشر من محرم تبدأ مراسيم حزينة حيث التذكير بما كان في ليلة الحادي عشر باستشهاد العترة الطاهرة. تطفأ كل الانوار في المدينة وتبقى بعض المصابيح التي تغطى باللون الاحمر. تبدأ المواكب بالتجول في أسواق المدينة وبعض أزقتها وهي تردد الادعية وأشعار

الحزن بلحن حزين وصوت خافت وبهدوء تام واللطم على الصدور الهادئ. تتقدم المواكب فرس تشبيها لفرس الحسين الوفية له التي عادت بدونه الى المخيم.

شهر رمضان المبارك

الاستعداد: تستقبل المدينة هذا الشهر الفضيل بكل اجلال وتقدير لفضله وبركاته كما هو الحال في كافة مدن العراق. يهرع الناس الى الاسواق لشراء ما يلزم من بعض المواد الغذائية المتعارف عليها في ذلك الشهر. يقوم به السيد جاسم المؤذن بإطلاق كلمات الترحيب بالشهر بعد أدائه أذان المغرب من أعلى مئذنة جامع النبي يونس (ع) المطل على النهر. ينشد بصوت رخيم وبنغمة فرحة مردداً:

مرحبا.. مرحبا بك يا شهر رمضان

مرحبا.. مرحبا.. بك يا شهر الطاعة والإيمان

مرحبا.. مرحبا.. يا شهر الطاعة والغفران

ويكرر ذلك عدة مرات.

تكسو المدينة في هذا الشهر مظاهر الخشوع والهدوء فتشعر وأنت في بيتك أو عندما تسير في الشارع أو تتجول في الاسواق أن هناك إجماع على أن أيام هذا الشهر شهر عبادة وبركة. تكون المحلات مغلقة أثناء النهار ما عدا بعض محلات تجهيز المواد الغذائية اللازمة. ولا ترى أي إنسان كبيرا كان أو صغيرا يتناول الطعام أو الشراب علناً. ولكن بعد الافطار تفتح الاسواق وتبدأ الحياة.

تنشط في رمضان دعوات الافطار بين الأصحاب والدعوات العامة. يتصدر التمر مائدة الإفطار الذي يتبارك به الصائمون "بكَسِر" صيامهم بتناوله. بعد ذلك يتناولون حساء العدس أو شربت التمر هند (خوشاب). بعد ذلك يبدأ التهام الوجبة التي تكون أغنى من بقية أيام السنة! تنتهي الوجبة بشرب الشاي الاعتيادي أو أحيانا الشاي الحامض (شاي النومي بصرة).

يجتمع بعد الافطار الأهل الأصحاب للصلاة وترتيل القران الكريم وقراءة الادعية بضمنها دعاء الافتتاح وتستمر الجلسة أحيانا حتى السحور.

تدب الحياة ثانية في محلات بيع الحلويات خصوصا الزلابية والبقلاوة وكذلك بائعي بعض الآكلات الخفيفة التي يصنعونها يوميا. أتذكر السيد رزاق أبو صادق (زميلي في الدراسة) والذي يبيع اللبن في الصيف أما في

رمضان فيبيع المحلبي والحريرة مناديا بصوت عال: "ماعون بأربع فلوس محلبي وحريرة". سيأتي ذكر ذلك لاحقاً.

لم تكن لعبة "المحيبس" شائعة في مدينتنا كما كانت في بغداد مثلا، ولكن كنا نحن الاطفال نلعبها في تجمع أطفال الجيران في الشارع.

السحور: يظهر في وقت السحور المسحراتي "أبو السحور الذي يحمل معه طبلا كبيرا يضرب عليه بصوت عالٍ مناديا: يالصايمين اگعدوا.. ساعة بالخمسة إلا ربع يالصايمين اگعدوا! ويكون التوقيت حسب فصل السنة. يتجول أبو السحور في أغلب الأزقة ثم تنتهي مهمته ليذهب الى بيته ليتناول هو وجبة السحور! ومن الجدير بالذكر إن وجبة السحور لا تخلو من الاكلات الدسمة والكثير من السوائل!

قبيل السحور يردد السيد جاسم المؤذن من على المنارة بعضاً من دعاء السحر للإمام الباقر (ع).

"اللهم إني أَسأَلُك مِن بهائِكَ بِأبهاه، وكل بهائكَ بهِي، اللهم إني أَسأَلُك بِبهائك كلهِ...".

قبل دقائق من وقت الإمساك يردد السيد جاسم:

إشرب الماء وعجِّل قبل أن يأتي الصباح
إشرب الماء هنيئاً إنه ماء مباح.

ومن ثم ينادي بصوت عالٍ تشعر كأن فيه نيرة نهر قائلاً: إمساك ويكررها عدة مرات كي يتوقف الصائم عن تناول أي طعام أو شراب.

المجالس الحسينية في رمضان تقام في بعض المساجد والبيوت مجالس حسينية تقرأ فيها الادعية وتقدم في بعضها وجبة أقطار. من المجالس المهمة كان مجلس الوجيهين السيد شبر السيد موسى والحاج حمد تويج وغيرهم. يجتمع عدد كبير من أهل المدينة في مجلس السيد شبر وبعد تقديم الافطار يبدأ الشيخ حسين البصير (الأعمى) والبالغ الذكاء بتجويد آي من الذكر الحكيم ومن ثم قراءة دعاء الافتتاح حيث يصمت الجميع ويرددوا الدعاء معه بصوت خافت أو بصمت.

طرفة: أتذكر مفارقة طريفة في ذلك السياق حدثت حينما كان الشيخ حسين يصل في دعائه الى جملة " اللهم وصلي على وليّ أمرك القائم" حيث يتوقف الشيخ للحظات لينهض خلالها كل من في المجلس واضعين

يدهم اليمنى فوق رؤوسهم إجلالاً لذكر الإمام الحجة المهدي المنتظر القائم (ع) طالبين من الله تعجيل الفرج. كان هناك رجل فاضل ظريف من آل خنده علي يتعمد أن يصل الى المجلس متأخراً ويقف خلف الباب حتى إذا بلغ الشيخ حسين في دعائه الى تلك الجملة يدخل الى المجلس قائلا السلام عليكم وحيث ان الكل ينهضون للإمام وإذا به يدعوهم بصوت عالٍ: أرجوكم استريحوا، وكأن المجلس كله قام إكراماً لشخصه، فيضفي على الجلسة بعض الطرافة بدون أن يلام على ذلك لاحترام الجميع له.

الماجينه: تصادف في منتصف شهر رمضان ولادة الإمام الحسن (ع) حيث جاء النبي (ص) وأصحابه الى بيت الإمام علي (ع) ليباركوا له بالولادة قائلين "لولا الحسن ما جئنا". ويقال إن جملة المباركة تلك هي أصل كلمة "ماجينه". يجتمع أطفال المحلة بمجاميع قد تبلغ العشرة أطفال ومعهم كيس من القماش ويجولوا في الأزقة طارقين أبواب البيوت بالتعاقب ومنشدين بصورة جماعية يتوقعون كرم أهل الدار بإكرامهم بالحلوى:

ماجينة ياماجينا
حِلّ الچيس (الكيس) ونطينا (اعطينا)
تطونة لو ننطيكم (تعطونا لو نعطيكم)
رب العالي يخليكم
بيت الله أنوديكم (في بعض المدن يقال بيت مكة)

وإذا ما تأخر الرد من أهل الدار يصيح الأطفال:
يأهل السطوح تطونا لو نروح

وللمبالغة في احراج أهل البيت لحثهم على العطاء كنا نتغنى باسم أكبر أولاد صاحب البيت وليكن اسمه محمد مثلا فننشد:

منهو أبو المحبس؟ هيه والله وهيه والله (محمد) أبو المحبس هيه والله وهيه والله
لابس زبون أطلس هيه والله وهيه والله، لبس الكباريّة هيه والله وهيه والله
فوگ الزول زوليّة هيه والله وهيه والله، فوگ المقعد بنيّة هيه والله وهيه والله

أو ينشد أحدنا ويردد من معه كلمة "يانايله":

عيني (محمد) ما حلالي بسمك يانايله
كل الأسامي تروح فدوة لاسمك يانايله
هاي عْروس منّي إلك يانايله
هذا قصر منّي إلك يانايله
شطّ الهنديّة ما بلّل گذلتك يانايله

وعند سماع حركة في البيت تدل على أمل الحصول على الحلوى يسود الهدوء ثم ننشد:

"جِسْ خالتي تِگرگعت (سمعنا صوت أقدامها)، مدري شعدهه طلّعت، طلْعت كليچاية، حلوة ومحشّاية"

عند تسلمهم الحلوى من أهل البيت يردد الأطفال:

الله يخلي راعي البيت...ويردد المجموع: آمين
بجاه الله وإسماعين (اسماعيل) آمين
وأحياناً ينشدوا: *ديمها...ديمها يا براهيم الخليل... ديم أبو(محمد) دي ديمة بجاه رب العالمين

عند ضجر بعض الناس من كثرة المترددين عليهم من الأطفال يرموا عليهم الماء من فوق السطح لإبعادهم، وحينها يلعلع صوت الأطفال قائلين:

چَبّوا (رموا) علينا الماي يا بيت الفگر (الفقر).

استشهاد الامام علي عليه السلام وليالي القدر

تبدأ مراسيم إحياء ذكرى إصابة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) من ليلة التاسع عشر من رمضان وحتى ليلة استشهاده في الواحد والعشرين من الشهر. تأخذ هذه الليالي مظاهر عديدة حيث ترفع الاعلام السوداء في المدينة واللافتات للتعبير عن الحزن وتقام المآتم في ليلة الاستشهاد. يصادف في يوم الحادي والعشرين كذلك اليوم الثاني لليلة القدر المباركة التي لها شعائرها الخاصة بالصلوات والادعية. وهنا أذكر بأني كتبت بحثاً عول إصابة ووفاة الإمام علي (ع) في مجالي الجراحة العصبية والطب العدلي نشرته العتبة الكاظمية المقدسة وكذلك ضمنته في الجزء الرابع من مذكراتي "رحلتي في الطب والحياة".

وداع شهر رمضان

في أواخر الأيام من الشهر الفضيل يصعد السيد جاسم المؤذن المنارة
مردداً:

اوداع... الوداع ... يا شهر رمضان

الوداع... الوداع ... يا شهر الطاعة والإيمان

يرددها مرات عديدة منادياً بنغمة فيها ألم وحسرة وأحيانا تحسبه يبكي بصوت خافت.

دعوة طعام السيد شبر السنوية في شهر صفر

لهذا اليوم السابع من شهر صفر الذي يصادف وفاة الامام الحسن المجتبى (ع) أهمية خاصة في مدينة الكوفة. توزع في هذه المناسبة بيوت عديدة الطعام تيمناً بالمناسبة. من أشهر تلك البيوتات كان بيت الوجيه السيد شبر السيد موسى (من اسرة آل شبر الموسوية وشقيق السيد هادي والد الطبيب المعروف كاظم شبر) الذي يقيم دعوة غداء عامة سنوية كبيرة.

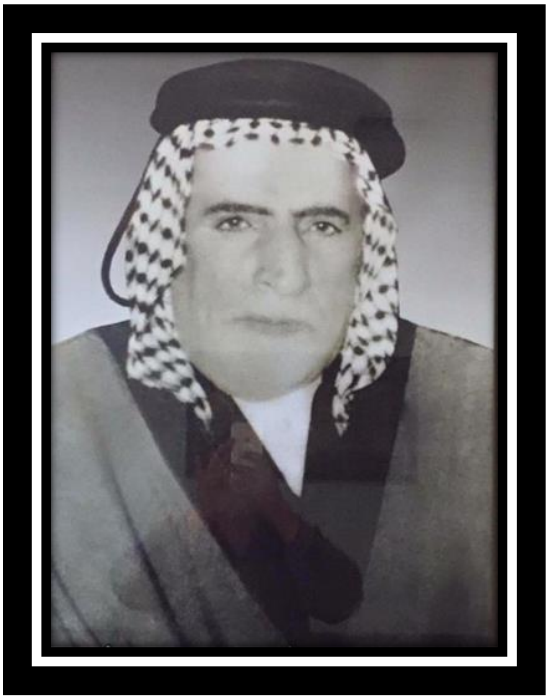

السيد شبر السيد موسى

تقتصر وجبة الغداء على التمن والقيمة (الرز ومرق الحمص باللحم). يقوم بالتحضير والطبخ العديد من متطوعي أهل المدينة تيمناً بتلك الذكرى الدينية. يهيأ اللحم بذبح بقرتين يضاف له عدد كبير من الخرافً قد يبلغ العشر خراف. أما الرز فهو من العنبر الفاخر الذي يجلب منه عشرة أكياس التمن ذات المئة كيلوغرام فيكون المجموع طناً من الرز. هناك مئات الكيلوغرامات من الحمص وما يحتاج له طبخ المرق من إضافات من البهارات وغيرها. يطبخ الرز بأكثر من عشرة قدور كبيرة الحجم ومرق القيمة بخمسة قدور أصغر حجما. يبلغ قطر قدر الرز حوالي الاربعة أقدام وبعمق حوالي الثلاثة أقدام..

تخلط مكونات قدر مرق القيمة من المساء وحتى الصباح وعلى ذلك يتنافس المتطوعون بالخلط باستخدام قطع خشبية طويلة. كان والدي، الحاج محمد صالح الخليلي، في مقدمة المتطوعين في كل عام. عند الفجر وبعد الخلط وحتى يكون مرق القيمة ذا نكهة خاصة توضع عجينة الحنطة حول حافة القدر وبعدها تغطيته بلوح من الحديد السميك وتوضع عشرات الطابوقات عليه لتمنع تحرك غطاء القدر فيجعل الطبخ ما يشبه الطبخ في قدر الضغط.

القدور وواحد منها قد أغلق ووضعت الطابوقات فوق الغطاء والاخر تخلط محتوياته

يدعى لتلك الوجبة اللذيذة والمتميزة كافة طبقات المجتمع حيث يتناول المدعوون تلك الوجبة في داخل دار السيد شبر. أما الاخرين ومنهم فقراء المدينة حيث يبلغ الازدحام أشده عند الباب وكل يحمل إناء ليحصل على وجبة من التمن والقيمة. كان البعض يرددوا شاكرين للسيد" شُبّرهَ عَنّبرهً" وترمز الى السيد شبر والرز العنبر وآخرون يرددون وهم في الشارع "دلّونه دلّونه" وغدّونه غدّونه بالقيمة غدّونه".

كان بعض الحمقى من الشباب يستغلون ذلك التجمع ليقوموا بمقالب حيث يصعدوا الى السطح المطل على الباب عند تجمع الناس ومن السطح يدلّوا خيطا في نهايته شص (سنارة)، كالذي يستعمل لصيد الأسماك بالنهر، حتى

"يصيد" عقالا من على رأس أحد الرجال في ذلك الازدحام ويسحبه الى اعلى. يتفاجأ ذلك المسكين بفقدان عقاله ثم يكتشف بأنه قد طار في الهواء ولا يستطيع ان يعمل شيئا!!

مناسبات الأفراح

هناك مناسبات عديدة مفرحة منها الأعياد الدينية (عيدي الفطر والأضحى)، عيد الدخول، مناسبات العقد والزفاف، الختان، وهناك الاحتفال بالعودة من حج بيت الله ومناسبات أخرى.

الأعياد:

الاستعداد للعيد: يبدأ الأهل بغزو الاسواق لشراء الملابس الجديدة للأطفال والكبار. عند حلول العيد يفتح الناس الموسرين والذوات المعروفين بيوتهم للزائرين من أهل المدينة حيث تديم العصائر والحلويات وتبادل التهنئة بالعيد السعيد. تلك الأيام تكون فرصة ننتظرها لننطلق نحن الاطفال للاستمتاع باللعب بحرية.

عيدَي الفطر والأضحى المباركين: لا تختلف احتفالات العيدين عن بعضهما كثيراً مع إن هناك بعض الخصوصيات لكل منهما. يلبس الأطفال الملابس (الدشاديش) الملونة الجديدة وبعد أن يأخذوا العيدية من الوالد يذهب الجميع الى مجمع الألعاب حيث دولاب الهوه (الهواء) والمراجيح وغيرها وما بين هذي وتلك يتواجد باعة الحلويات المختلفة. تكون هذه الألعاب مصنوعة محلياً. يندر أن يصاب الأطفال بأذى من جراء السقوط منها لأن تلك الالعاب محدودة بحركتها.

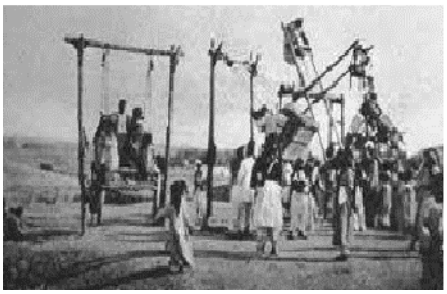

أنواع الألعاب في الأعياد في الكوفة

في صباح أول يوم عيد الفطر يتجول "أبو السحور" بين بيوت المحلة للمطالبة بعيديته والتي تكون في العادة هدية نقدية.

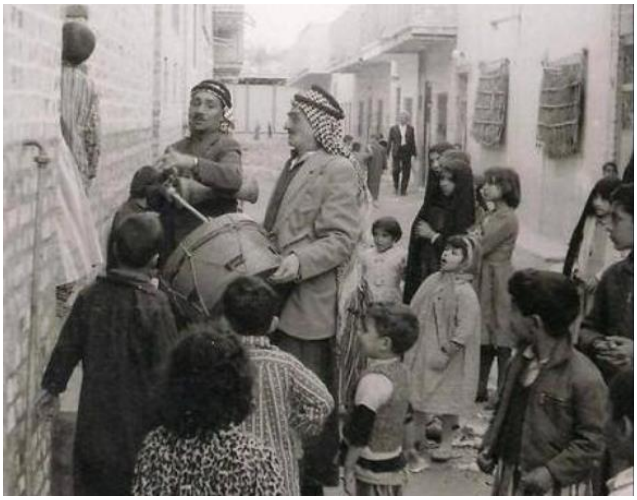

"الجوق" الموسيقي يستلم "عيديته" صباح يوم العيد "الجوق" الموسيقي يستلم "عيديته" صباح يوم العيد، وانظر على جهة اليمين من الصورة الى صفائح العاقول المثبتة على شبابيك الدور والتي وصفناها في كتابنا وكان الناس يضعونها لأجل تبريد المنازل أيام القيظ الحارة

يستثمر الناس العيدين للتزاور بين الأهل والجيران والاصدقاء وتعتبر تلك الايام أيام جمع شمل ومصالحة بين من كانوا متخاصمين من الأهل والاصدقاء. جرت العادة عند أصحاب المصالح التجارية والطبقة المتعلمة إرسال بطاقات التهنئة بالعيد عن طريق البريد. كانت تطبع البطاقات بطريقة فنية وبخط جميل وترسل داخل مظروف طبعت عليه صورة كفين متصافحين.

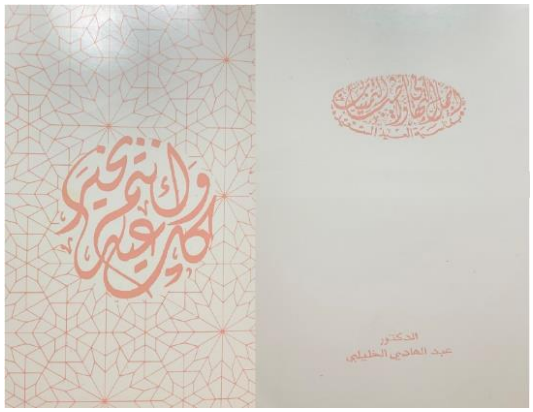

نموذجا لبطاقة المعايدة الشخصية التي استمرت لسنوات عدة

عيد الدخول (دخول السنة)

كانت غالبية المدن العراقية تحتفل في الحادي والعشرين من شهر آذار بعيد يدعى عيد الدخول. نستعد قبل شهر من موعد الدخول بزرع حنطة (أو نبات الرشاد) حيث توضع البذور في قطعة قماش خفيفة وتلف حول وعاء إبريق ماء فخاري للأولاد أما للبنات فتستخدم جرّة من فخار (تُنكة)!! تنمو البذور الى نبات مخضر في يوم الدخول ليستمتع به الجميع. كذلك كان المعتقد أن الارض التي ترتكز على أحد قرني الثور تنتقل الى القرن الاخر في ذلك اليوم!!

الابريق والوعاء

من الطقوس البيتية في هذا العيد كان وضع صينية فيها بيضة لكل فرد من أفراد العائلة، كذلك توضع شمعة والتي ترمز للنور ومعها ما يدعى السبع سينات وهذه تشمل السماق، سبزي، سمسم، سلك، سمك، ساهون وسيلان (دبس). تمسك ام البيت مرآة صغيرة تدل على الرؤية الجديدة يأخذها الاطفال منها ويتداولونها بالتعاقب. تحضر الأم خيطا برتقالي اللون لكل طفل بطول عدة أقدام يعقد من نهايتيه ويوضع على الرقبة ويتدلى منها ويسمى "خيط السنة". بعد اسبوعين من العيد يخرج الناس الى البساتين للاستمتاع بالخضرة والماء في الربيع.

بالمناسبة أصبح يوم عيد الدخول عيدا رسميا بعد عام 1958وأعطي اسم عيد الربيع.

حفلات العقد والزواج: بالرغم من التباين الطبقي في المجتمع فإن حفلات العقد والزواج متشابهة الى حدّ ما. تبدأ المراسيم بعد أن يتم تعيين الفتاة المناسبة للشاب الذي يزمع على الزواج منها. بعد ذلك يجتمع أقارب وأصدقاء والد الشاب وحضور بعض الوجهاء او العلماء خاصة السادة منهم ويذهبون الى دار أهل البنت حيث يكون في استقبالهم والد الفتاة وأقاربه وأصدقاءه. يقوم من يمثل والد الفتى ليخطب في المجموع ذاكرا صفات

الولد وأهله ويمتدح أهل الفتاة ويعلن رغبته في المصاهرة. غالباً ما تكون النتيجة مفرحة بالقبول حيث تم ذلك قبل الموافقة من قبل على زيارة مجموعة والد الفتى لبيت العروس.

طرفة: طلب مني مرة أحد الأصدقاء أن أكون المتحدث باسمه في جلسة الخطوبة التي اجتمع فيها عدد من أصدقاء أهل الخطيب وأصدقاء أهل الخطيبة. ختمت "خطبتي" بتذكر ما قاله شيخ جليل من آل الشبيبي ولعله الشيخ محمد جواد الشبيبي. كان ما قاله والذي أعدته في تلك الجلسة مخاطبا أهل الخطيبة "إن وافقتم على خطبتنا فشَربِتونا (أي اسقونا شربت الرضا)، وإن لم توافقوا فشَربِتونا!" وهذه الاخيرة مقرونة بحركة اليد التي تعني اطردونا!! والشربتَ الذي يقدم في العادة عصير فاكهة طازج.

بعد إكمال مراسيم عقد القران الشرعي الذي يتم عادة في بيت الخطيبة ترسل بطاقات دعوة لأصدقاء أهل الفتى وأهل الفتاة من الذكور لحضور حفل عقد القران الذي يعقد في قاعة أو في بيت الفتى أو أهل الفتاة. يقف أهل الفتى في استقبال المهنئين وأحيانا يتواجد أهل الفتاة. يوزع في الحفل منديلاً أبيضاً مطوياً ومربوطاً بشريط لماع وبداخله حلوى الملبس والمصقول. يستمتع المدعوون والحضور بسكب قطرات من ماء الورد من قنينته على راحة أيديهم يمسحوا بها وجوههم ليعم على الجميع عطر الورد الفواح ليضفي بهجة وسروراً على الجميع. بطبيعة الحال بعد إجراء العقد الشرعي قبل تلك الحفلة فقد أصبحا بحكم الزوجين. بعد ذلك يلتقي الزوجان ليسكنوا في بيت والد الفتى أو في بيت منفصل اعتمادا على الحالة المادية للعائلتين.

قنينة ماء الورد

مناسبات المواليد الدينية: تحتفل المدينة بمناسبات مولد النبي الكريم (ص) ومواليد الأئمة (ع) في احتفالات بهيجة توزع فيها الحلويات والمرطبات. يحضر هذه الاحتفالات الكبار والصغار ويستمتعوا بها. بعد تذكر صاحب الذكرى وإحياء مناقبه يحيي الحفل أشخاص يلقون النكات والشعر الشعبي بلحن موسيقي يشاركه

فيها الأطفال بالترنيم والتصفيق. غالباً ما يحيي تلك المناسبات الحاج صادق القندرچي من النجف المعروف بقدراته في النكتة وإضحاك الحضور. والحاج صادق قصير القامة نحيف البنية ويرتدي الكشيدة على رأسه..

صادق القندرچي وهو يحيي حفل فرح

الختان وحسن صگر **الفلوجي**

يعتبر الختان حدث مهم مفرح في حياة الولد وأهله اذ انه يقارب فرحة الزواج. يكون الختان في الغالب في عمر مبكر ولكن اذا كان للولد اخوة او اولاد عم او مقربين فيكون حفل الختان للمجموع مرة واحدة. يدعى الأهل والأصدقاء الى حفل الختان ببطاقات ترسل عن طريق البريد او توزع شخصيا. يشمل الاحتفال توزيع الحلوى من الشربت والملبس وغيرهما وتقديم وجبة طعام.

يعرف الحاج حسن صگر الفلوجي في المدينة في المدينة بقيامه بعملية ختان الأولاد "الفني" كما كتب في لوحة محله. كنا أنا وأخوتي ممن شملنا فنه وكفاءته! كان الحاج حسن مربوع الجسم ابيض البشرة مستدير الوجه ذا ابتسامة مريحة! وقد شد على رأسه يشماغ بطريقة البغداديين (چراوية). يدعى الختّان كذلك بالزعرتي والمطهرچي.

يجلب الحاج حسن معه حقيبة تحوي آلات الختان المتكونة من "الميل" قضيب معدني دقيق، يدخله في فتحة الاحليل الخارجية ليدفع به الحشفة إلى داخل لحمايتها من الأذى ثم يقرص نهاية الجلد الخارجي للقضيب بآلة جراحية تستعمل لقطع العظام ولعله كان يحصل عليها من المستشفى بعد ان تستغني عنها حينما تفقد حافتها

الحادة وهو ما يطلبه بان تكون حافة الآلة غير حادة. وحينما يمسك بالجلد بقوة يقطع الجلد المتدلي خارج الالة الجراحية بمقدار ما سيكشف الحشفة بسكين حاد وبخفة فنية ومن ثم يلف الجرح بقطعة شاش.

تدعى في الغالب فرقة موسيقية محلية بآلاتها الطبل والدمبك وكذلك " المطبگة " وهي آلة موسيقية هوائية تصنع من القصب تشبه الناي مصنوعة من القصب وتكون مزدوجة اي قصبتين ملتصقتين ببعضهما.

الزمارة الدنبك

يلبس الولد الدشداشة البيضاء (الثوب) الفضفاضة ويجلب الى محل الختان في ساحة البيت وفي الغالب يتظاهر بالشجاعة وبانه غير مبال للحدث ولكنه في داخله مرعوبا لأنه يعلم بما سيصيبه من الألم بما سمعه ممن مرّ بهذه المرحلة. يجلس الولد على وسادة عادة ما يتبرع بعض الحاضرين من الاقارب او الأصدقاء ممن له القدرة على السيطرة على الطفل حتى لا يتحرك ويحضنه ويفتح ساقيه ويتقدم الى حافة الوسادة بحيث يكون ذكره حرا طليقا بعيدا عن الساقين وعن الوسادة. يجلس الحاج حسن بمواجهة الطفل ويبدأ بتحضير آلاته وهنا يبدأ المحتفلون حوله بترديد جملة "صلوا على محمد" مرات ومرات بصوت عال مصحوبا بالموسيقى والهدف هو تعويض التخدير الجراحي بتحويل تركيز الطفل من عملية الختان وآلامها الى التركيز على آلتهاليل والموسيقى.

بعد الانتهاء من عملية الختان يحمل الطفل الى فراش معد له ودموعه تنهمر ويبارك الجميع للأهل وينفضّ الجمع. ويجب بعد ذلك على الطفل ان يحذر من أن "ينلچم الجرح" وهو التصاق الدشداشة بالجرح ما يطيل فترة التئام الجرح، لذا على الطفل مسك دشداشته بعيدا عن جسمه.

الطفل بعد الختان يمسك بدشداشته بعيدا عن جسمه

يسمح للطفل بعد يوم او يومين بان يتجول في البيت او في خارجه قرب باب الدار ويفضل ان تصنع له ما "تمنع" تلوث الجرح وهي قطعة من غصن شجرة او سعف النخيل بطول أربع انجات تقريبا وتلف على نصفها قطعة قماش وتغمس نهايتها بالنفط الأسود، يمسكها الطفل بيده ويشمها وكأنه يشم زهرة عطرة!

من الطرائف التي تحكى عن ختان الأستاذ الدكتور يوسف النعمان

ما يذكر عن حفل ختان شهير في المجتمع الطبي العراقي والذي لم أشهده لبعده الزمني عني ولكني سمعت به وهو ان المرحوم الاستاذ الدكتور يوسف النعمان جراح القلب المعروف، قرر ان يبدل انتمائه الديني من المسيحية الى الاسلام وذلك حينما كان طبيبا مقيما في المستشفى الملكي في بغداد. يتوجب عليه في ذلك عملية الختان وبطبيعة الحال لا يقوم بذلك الختان حسن صگر او أمثاله، بل يقوم بعملية الختان جراح قدير وبتخدير موضعي وبإجراءات التعقيم المتعارف عليها. وحرصا على عدم معرفة زملائه وأصدقاءه فقد كتم الخبر عن الجميع وكان سراً لا يعلم به الا الجراح والمخدر ونفر من المقربين جداً. ولكن "الخبثاء!" من محبيه علموا بذلك الحدث وجلبوا الفرق الموسيقية الى ممر صالة العمليات وتفاجئ المسكين عند خروجه من قاعة العمليات بالصخب والموسيقى وشيوع عملية ختانه فكان ذلك حدثا بهيجاً في تاريخ الأطباء المقيمين في المستشفى.

شرب الشاي

التقليد: يعتبر شرب الشاي من المعالم الثابتة للحياة الاجتماعية العائلية في العراق من شماله الى جنوبه وكذلك لإكرام الضيوف في البيوت والمقاهي والمحلات والمكاتب.

يقدم الشاي وبطريقة متعارف عليها من الجميع.

تشارك في ذلك التقليد كافة طبقات المجتمع العراقي فقيرها وموسرها من شمال الوطن الى جنوبه مع فارق في نوعية متطلبات صنعه وتقديمه. الوقت التقليدي لشرب الشاي عند الصباح ضمن الفطور كذلك بعد وجبة الغداء وبعد الاستيقاظ من نوم القيلولة بعد الظهر.

الطريقة

يصنع الشاي بوضع وريقات الشاي في القوري ويصب عليه الماء الحار من الكتلي ثم يوضع القوري على الكتلي بعد رفع غطاءه.

القوري فوق الكتلي على الطباخ

تستخدم بعض المجتمعات المرفهة السماور فيغلى الماء في داخله ويوضع القوري على فوهته بعد أن يضاف الماء الحار الى وريقات الشاي في داخله.

السماور والقوري والاستكانات

يقدم الشاي بالاستكان وليس غيره في ذلك الزمن. يشرب الشاي في العادة مركّزاً "سنگين" مع السكر الذي يضاف "بكرم بالغ!". ويضيف بعض محبي الشاي الهيل فيدعى بالشاي المهَيّل ولا يضاف له أي شيء آخر. أما الان فترى من يشربه بالكوب أو بإناء آخر ويخلط البعض معه الحليب.

استكان الشاي وتشاهد كمية السكر المعتدلة فيه!!

من النادر جداً ان يشرب الشاي بدون سكر إلا في حالة الاصابة بأمراض مثل مرض السكر أو تنزيل الوزن.

ما يؤسف له أن ذلك التقليد التراثي لشرب الشاي وخصوصاً بعد القيلولة قد اندثر وكذلك فإن شرب الشاي لم يقتصر على الاستكان الاعتيادي بل دخل عليه الاستكان بالمقبض والكوب بدل الاستكان الاعتيادي فتبدد ذلك التقليد الذي مثلته أغنية خدري الشاي خدري التي بسماعها تتمثل أمامك تلك الصورة التراثية الجميلة.

هنالك من يرغب في شرب الشاي بطرق مختلفة ومنها:

الشاي بلونين

تعمل الامهات على تحبيب شرب الشاي للأطفال فتشوقهم بالشاي ذي اللونين. تصب أولا الماء الحار في الاستكان وتسكب فيه كمية من السكر أكثر من الاعتيادي وتخلطه وتزيد من السكر تدريجيا فيكون شبه مستحلب. بعد ذلك تصب في الشاي بلطف بالغ وبهدوء وبسبب التركيز العالي في الماء (الضغط الأزموزي) يطفو الشاي بدون ان يختلط بالماء!

شاي بلونين لإسعاد الاطفال

شاي الدشلمة

يرغب بعض الناس بشرب الشاي بدون سكر بطريقة الدشلمة! وذلك بوضع قطعة قند مكعبة في فم شارب الشاي وعندما يرشفه يختلط الشاي وسكر القند في الفم. يقطع سكر المكعبات من كلّة القند المخروطية والتي بارتفاع حوالي الثمان إنشات وبقاعدة بقطر يقرب الثلاث إنشات.

كلّة القند مغلفة ومكشوفة

مكعبات القند

شاي الحامض (النومي بصرة)

إن نومي البصرة هو أحد أنواع الليمون الذي يزرع في الهند وعُمان وتكون حامضيته أعلى من النومى الحامض المتعارف عليه. أطلق عليه اسم نومي بصرة لأنه دخل الى العراق عن طريق البصرة ومنها كان يوزع الى بقية المدن. يعمل شاي نومي البصرة بنوعين الداكن اللون والفاتح اللون. يكون الشاي داكناً أو فاتحاً تبعا لنوع النومى. يغلي النومى بصرة بعد فلقه وإزالة النوى منه. يقدم مع السكر ويقال انه مفيد لتخفيف العطش خصوصا في وجبة الفطور في شهر رمضان المبارك. بالرغم من تسميته بالشاي فليس فيه أي وريقة شاي!

النومى بصرة الداكن اللون والشاي الحامض الداكن اللون

النومى بصرة الفاتح اللون الداكن والشاي الحامض والشاي الحامض الفاتح اللون

<u>شاي الدارسين</u> <u>(القرفة)</u>

يؤخذ الدارسين من لحاء شجرة تزرع في المناطق الاستوائية. يصنع منه شاي يسمى بشاي الدارسين. يقدم في المناسبات الاجتماعية التي غالبا ما تكون مناسبات غير المفرحة. يقدم الشراب بفناجين كبيرة وليس في استكان الشاي ويخلط مع السكر. يستعمل مسحوق الدارسين كذلك في أكلات مختلفة حيث يرش على الهريسة والزردة مثلا.

قدح الدارسين واللحاء وحبيباته

شاي الزعفران

الزعفران يستورد عادة من ايران حيث يزرع في مدينة مشهد. يحصل عليه من مياسم أزهار نبتة الزعفران. لغلاء سعره يباع بكميات قليلة. يصنع منه ما يسمى بشاي الزعفران حيث يقدم شراب الزعفران المخلوط بقليل من السكر بأقداح صغيرة في المناسبات المفرحة. يدخل في بعض الأكلات العراقية مثل "الزردة" وغيرها.

قدح الزعفران وزهرة النبتة وعشبتها

شاي كجرات (الگجرات)

أصل **التسمية نسبة لولاية <u>گجرات</u> غربي الهند، حيث كان التجار يستوردونه منها أول الامر.** يصنع شاي الگجرات من الأوراق اليابسة لنبتة من أنواع "الخبيزة" التي تزرع في الجزيرة العربية ومصر وكذلك في العراق. يكون الشاي بلون أحمر قاني اللون في طعمه حموضة ظاهرة. لم نكن نشربه كثيرا الا في مناسبات عند مجيء الضيوف أو أوقات السمر. يقدم الشراب حارا (وأحياناً بارداً) بأقداح زجاجية. ويُتهم هذا الشراب طبيا بتكوين خثرة وريدية في الكبد عند الإكثار منه.

قدح شاي الگجرات ووريقات الازهار

شاي "القنداغ"

أما "القنداغ" فهو ملئ الاستكان بالماء الحار وإضافة سكر بدون أي قطرة شاي. يوصف ذلك للمرضى المصابين بالسعال أو حرقة البلعوم!

<u>طرد النحس</u>

"الِحْجاب"

يعتقد الناس أن الحسد يمكن ان يقتل الانفس ويزل النعم فيحذروا من عين الحسود فإنها تهدم البيوت وتقتل النفوس وتفرق الأحبة والخشية أن تقع عين الحاسد على الأطفال والشباب، والعرائس وكل جديد وجميل. للتوقي من تلك اللعنة يستعملون الحجاب. والحجاب في الوسط الشعبي يشمل عددا من الاشكال التي تعلّق على خارج الباب الرئيس للدار أو في مدخل البيت. يشمل الحجاب حذوة الفرس، النعال القديم، العين المصنوعة من الفخار التركوازي، الكف وفي داخلها عين وما يدعى بالسبع عيون.

النعال القديم وحذوة الفرس على باب البيت

أم سبع عيون والعين لوحدها وأخرى في وسط الكف

رش الماء وراء المسافر

شاعت في المجتمع عادة رش الماء وراء المسافر، تفاؤلا بسهولة السفر والحظ السعيد وعودته سالما إلى داره.

الأم ترش الماء خلف ولدها العسكري عند مغادرته الدار

الحرمل

ترش بذور الحرمل على جمرات في إناء صغير في البيت فتحدث فرقعات طفيفة ثم بخارا ذا رائحة متميزة. وبسبب هذه الفرقعات تسمى يعتقد أن الحرمل يبعد الارواح الشريرة. يفضل عمل ذلك عند غياب الشمس. أما لماذا وقت المغرب؟ فأظن إنها تتعلق بالاعتقاد بأن تلك الأرواح تأوي إلى البيوت مع غياب الشمس! تعمد بعض الأمهات في حالة مرض ابنها فجأة إلى أن "نطكله حرمل" اعتقادا" منها بأن الروح الشريرة ستهرب منه إذا ما شمت رائحة الحرمل. أو أن المحسود سيذهب عنه شرّ حاسده يستعمل الحرمل.

سيدة ترش الحرمل على الجمر

العْزَيْزَة

وتلفظ بفتح الزاي وسكون العين وهي عظمة صغيرة من عظام المشط بين عظمي الكعبرة والزند في ساق الخروف أو المعزى. والعزيزة عظمة صغيرة بحجم الزيتونة المتوسطة الحجم لها سطح أملس يرسم عليه وجه وعيون وانف وفيها حزّ بالخلف. تلف بقطعة قماش ويشد عليها بخيط وترمى في داخل المبيت المقصود إيذاء أهله.

"يتهم" هذا العظم بأنه يجلب النحس للعائلة أذا حل في بيتهم. إذا حصل نزاع بين عائلتين تطلب العائلة المعتدية من أحد الصبية الصغار برميه في داخل الدار المعتدى عليه أملاً أن تنشب المشاجرات والمشاكل بين أفراده. يحاول أهل البيت البحث عن (العزيزة) حتى إذا وجدت رميت خارجا ليهدأ البيت وتسكن النفوس!!

الغراب

يُتّهم الغراب بأنه نذير شؤم ونعيقه مكروه مع ان الغراب من أذكى الطيور وقد ذكره سبحانه وتعالي حين علّم قابيل دفن اخيه هابيل.. عندما يمر محلقا وهو ينعق كنا نسمع العجائز تردد (خير.. خير.. خير) والمقصود انه يحمل خبرا سيئا. يقال للشخص المشؤوم انه مثل غراب البين، والبين يعني البعد والفراق والشؤم.

البومة

يذكر أن من موروثات الجاهلية التشاؤم من البومة. كان الاعتقاد بأنها إذا حطّت على منزل أو طارت فوقه فإن واحدا من أهله سيصيبه مرض أو نازلة من نوازل الدهر أو يتسبب بكارثة على أهل المنزل ! يبدأ الكل بترديد: "سچينة وملح" بمعنى إذا مسكناك فلك السكين ثم تملحين ونتخلص من شؤمك!

بعكس ذلك ما نجده في الثقافة الغربية إذ ترمز البومة للحكمة وحسن التصرف. فمثلا جعلت مدينة ليدز البريطانية المهمة شعارها بومتين للدلالة على حكمة أهل المدينة.

شعار مدينة ليدز البريطانية ذا البومتين

طيور وديعة

السنونو "بنت السند والهند"

من الطيور المهاجرة التي كانت كثيرة الظهور في المدينة ما يسمى بطيور بنت السند والهند وهو الخطاف والسنونو.

طير بنت السند والهند

تبني هذه الطيور اعشاشها أحيانا في داخل غرف البيوت الآهلة بالسكان أو في جدران البيوت الخارجية. تتمتع بزقزقتها بصوت جميل وتتابع لدقيقة أو أقل ثم تصمت للحظات لتعيد الغناء، وللتندر كنا نقف امامها ونقلد غناءها.

لا تخش تلك الطيور من الاطفال أو الكبار حيث لم نمسها بسوء اذ كنا نسمع التحذيرات الكثيرة من الاهل بأن الذين يتعرضون لهذه الطيور بشيء من الاذى يصابون بشرّ!! أتذكر كان في إحدى غرف بيتنا عشاً يفدن اليه كل سنة ويشعرن بالاطمئنان والأمان.

الفختاية (الفاختة)

هي من أنواع الحمام يتصف بالوداعة وبلونها الرمادي ولها طوق في رقبتها. كنا نطرب لسماع هديلها.

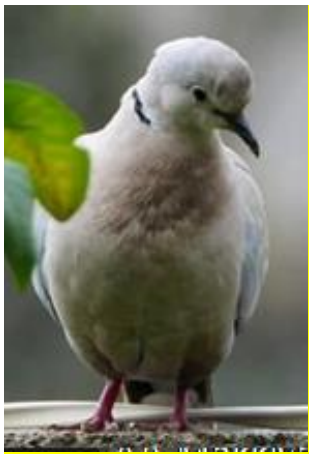

الفختاية

نجيب على غنائها بكوكوختي!!:

كوكوختي وين أُختي؟؟

بالحلة وش تاكل؟

باگلة (باقلاء) والبعض يقول گوگ الله)

وش تشرب؟ ماي الله

وين تنام؟ بأرض الله

نبات گـوگ الله

وهذا النبات ينمو تلقائيا ويتوفر بدون ثمن وله طعم حامضي لذيذ. كانت النساء القرويات لجمع صاحباتهن على وجية شهية فيرددن:

يبنيات دلتمن (تجمّعن) گوگ الله وخبز تمن

اللقلق (الگلگ)

طائر من الطيور المهاجرة كبيرة الحجم ذا أرجل طويلة يبني أعشاشه فوق المآذن والكنائس وأبراج الخطوط الكهربائية وقمم الأشجار العالية. تقتات اللقالق على الحشرات والضفادع والفئران الصغيرة وأفراخ الأفاعي. كانت منارة النبي يونس على شاطئ نهر الكوفة من الاماكن العالية المحببة للقلق لبناء عشه هناك.

ذكر وانثى اللقلق يعتلون برجهما

طرفة يروى إن احد هذه اللقالق محب للعزلة والتفرد اختار برج كنيسة ليبني عشه فوقه، مما سبب ازعاجاً مستديماً لشماس الكنيسة فأشتكى امره للقس، إذ إنه كلما كان يقرع ناقوس الكنيسة يتساقط عليه القش والذرق (الذروك) المتيبس ، فأوصاه القس بأن يأخذ قطعة من كبد جمل، المحرم لدى اليهود، ويملحها بصورة حسنة كيما يعطش، ويضع بجواره كاس خمر معتق، المحرمة على المسلمين. يتوقع أن اللقلق حينما يأكل اللقلق كبد الجمل يعطش، فيضطر لشرب شيء فليس له إلا كاس الخمر فيسكر ويصبح ثقيل الحركة وغير قادر على الطيران. حينئذ يتمكن الشماس من الامساك به. اتبع الشماس التعليمات تماما وتحقق ما توقعه. امسكه الشماس

من رقبته وسحب السكين وسأله:: إذا كنت يهودي ...أشلون تاكل كبد جمل؟ مسلم ... أشلون تشرب الخمر؟ نصراني ... أشلون اتذررك عل الناقوس ؟ فهّمني انت من يا ملّة؟؟

علاجات شعبية

تكحيل عين الطفل

جرت العادة عند بعض العوائل أن تكحل عيون الطفل بالكحل أملا أن يمنع ذلك التهاب العين مثل مرض التراخوما.

مسح "بلاعيم" الطفل

تخلط حبوب البارهنك والزبد في صحن وتضع الام أو الحبوبة، القابلة، اصبعها في هذا الخليط وتمسح بلعوم الطفل في اربع مكانات أملا أن لا تلتهب بلاعيمه (اللوزتين) في المستقبل!!

العُطّابة

هذه إحدى الطرق القديمة لعلاج الدمامل (الدنابل) والتقرحات في الجلد. تصنع العطابة بلفّ قطعة قماش سميك قديم و "تحزّم" من وسطها كي تبقى على هيئتها وتكون مشابهة للسيجارة في طولها وحجمها. تولع نهايتها وبعد أن يحمر القماش يوضع بخفة على الدملة لتكوى، بعد أن يُجبر المصاب على إبعاد نظره عن موقع الكوي. تساعد هذه العملية البدائية على إتلاف النسيج الملتهب أملا في الشفاء الذي يستغرق فترة ليست بالقصيرة.

العطابة

وهنا أتذكر وأنا طفل ما ذكره والدي رحمه الله حول ما كانت تعالج به قرحة الجمرة الخبيثة (الأنثراكس) التي تصيب الوجه أو الاطراف. يمكن أن تتوسع القرحة وتدخل في عمق الانسجة إذا لم تعالج. كانت قرحة الاطراف تعالج بطريقة أكثر "قساوة" من العلاج بالعطابة. يشمل العلاج غلي الدهن الحيواني الى درجة الغليان ويعجن طحين ويوضع العجين حول القرحة حيث يكون على شكل حوض بارتفاع نصف انش وتكون القرحة في وسطه. ثم يسكب الدهن المغلي بخفة في داخل الحوض وأثناء ذلك يمسك المريض عدة أشخاص اشدة الألم الذي يتعرض له المصاب.

قرحة الجمرة الخبيثة وتمثيل للعجين الذي يوضع حولها

"الكمادة" الحارة:

كانت الكمادة الحارة تستخدم لعلاج أوجاع الظهر والأطراف. والكمادة هي طابوقة قديمة من نوع الـ"الفرشي". توضع على مصدر حراري حتى تصبح حارة جداً. تلف الطابوقة بمنشفة لحماية الجلد من حرارة الطابوقة العالية. توضع الكمادة على مكان الألم حتى تفقد حرارتها.

الصداع والِعْصابة

العصابة البرسيم السوداء تغطي الرأس حتى أسفل الجبهة

ترتدي المرأة في العراق لباس للرأس الذي يشمل العصابة التي تلفها حول رأسها. والعصابة قماش أسود مصنوع من البريسم (الحرير). تستخدم العصابة في علاج الصداع الشديد وذلك بلفها على رأس المصدوع بشدة. وقد يفيد ذلك ويخفف من الصداع بدون شك. وتفسير ذلك أن خيوط العصابة البريسم خيوطها ليس فيها مطاطية إذ لا ترتخي بالشد لذا تبقى على قوة شدها. وتأثيرها على الصداع يكون بتقليل كمية الدم التي تسري في الشرايين التي تغذي جلد (فروة) الرأس والتي تنتفخ وتزداد كمية الدم فيها وتسبب الصداع، خصوصا في حالات الصداع النصفي.

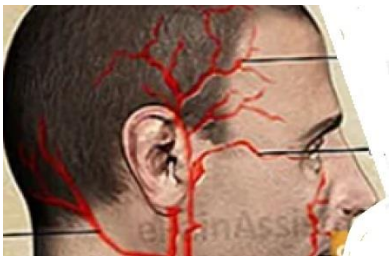

الشرايين التي تنتفخ عند الصداع وتضغط عليها العصابة

اليرقان (ابو صفار)

يحصل في أحيان كثيرة إصابة الطفل الوليد بحالة أبو صفار (اليرقان) والذي في أغلب الحالات يشفى تلقائيا. وفي حالات قليلة يستمر في الشدة ويسبب أمراض عصبية شديدة في المستقبل. كانت النساء "يعالجن" أبو صفار بوضع خرزة أو حجر الكهرب تحت وسادة الطفل اعتقادا انها ستخلصه من تلك الحالة.

حجر الكهرب

الفُوح (ماء التمن)

جرت العادة أيام زمان أن يبزل ماء التمن أثناء طبخه وغالبا ما يسكب بدون الاستفادة منه. جرى الاعتقاد بانه غني بما يفيد المريض بتحسين جهازه الهضمي ويمكن أن يعطى كذلك للطفل الرضيع

الفوح (ماء التمن)

شوربة (حساء) الفروج

الفروج هو صغار الدجاج ويكن جسمه طرياً ويفضل على الدجاج الكبير. ينصح إعطاء حساء الفروج الذي لا يحتاج الى هضم ويقدم دافئاً للمريض المصاب بضعف عام والمصاب بنزلات البرد.

العَصيدة

أكلة خاصة تقدم للمرأة التي ولدت حديثاً بعد ولادتها بعدة ايام لكونها غنية بالسعرات الحرارية وسهولة هضمها. تصنع العصيدة من الطحين والدهن والسكر مع إضافة الهيل. يكون لونها بني وقوامها سميك.

العصيدة

ماء الجبن

يعتقد ان ماء الجبن الذي يحصل عند تصفية الجبن في مرحلة انتاجه الاخيرة ذا فائدة للمريض المصاب بالضعف العام. يسقى ماء الجبن للمريض لسهولة هضمه وغنى مادته الغذائية.

خسوف القمر

عند الخسوف يخرج الجميع في الأزقة ليشاهدوا هذه الظاهرة "المقدسة". في فصل الصيف يتجمعوا على سطوح المنازل. يهدف الناس الى إخافة الحوته التي "بلعت" القمر. حين يبدأ القمر بالاختفاء يشارك الكبار والصغار بإثارة الضجيج والصخب بالطرق على التنكات والچفاچير (الكفكير) والمغارف والقدور النحاسية والصواني والطبول. تكون عيونهم شاخصة على القمر يتعاطفون معه وهم يرددون اغنيتهم الشعبية التي يهددون بها هذه الحوتة المنحوسة بالويل والثبور :

ياحوته يامنحوتة **هدي گمرنة** العالي

هذا **گمرنة** انريده هو علينا غالي

وأن كان متهدينه ندگلج بصينية

لوحة ياحوتة يا منحوتة بريشة الفنان عبد الرزاق الزبيدي

.....

بعد أن يطلع القمر ويصخ الجميع: الحوتة زاعت القمر. وهنا تنطلق الزغاريد والهلاهل ويشعر الناس بالسعادة لأنهم أنقذوا القمر!!

فقدان السن عند الاطفال

عند فقدان السن اللبني عند الطفل يقول له الأهل للحصول على السن الجديد بدله يجب عليك في النهار أن تمسك السن بين سبابتك وإبهامك وترميه "الى الشمس" وتقول وأنت ترميه بعيداً: يا شمس أعطيك سن الحمار وأعطيني سن الغزال!!

بعض ما يتردد من أهازيج وأناشيد على أفواه الاطفال

لعبة الخطبة عند البنات الصغار

تنقسم المجموعة الى صفين متقابلين وتمسك إحداهن الاخرى. تتجه بنات الصف الاول باتجاه المجموعة الاخرى منشدين:

الله يصبحكم بالخير	يل عمارة العمارة
الله يمسيكم بالخير	يل عمارة العمارة
ما تنطونة بنتكم بنتكم	يل عمارة العمارة

تعود المجموعة الى الخلف وتتوجه نحوهم المجموعة الثانية بإنشاد:

والله ما ننطيها إلا بألف ومِية

وبشدة الألماس دَوار الصينية

وتتجه المحموعة الاولى ثانية وهن يهددن بإنشاد:

تره نجي لبابكم ونكَسِر إعتابكُم

والشمِع دَواركم عروستنة هِية

والأخرى

غزالة غزلوكي بالماي دعبلوكي

گاعدة على الشط گاعدة تمشط

اجاها نومي گللها گومي

كالتلة ما گوم هذا حصاني

أشده واركب على السكركب

سكركب البرية لتبجين عليه

ابجي على حجولك حجولي باربعمية

الا تنطيني احجولي راح اشتكي لخوية

*****

هيله يارمانه هيله يمه

منو هيه الزعلانه هيلا يمه

سعدية زعلانه هيلا يمه

ابوهه يراضيه هيلا يمه

صايغ تراجيه هيلا يمه

محبس گردانه هيلا يمه

ولادة الولد

يمه يمه يمه الحلو وين اضُمة

اضُمة بالخزاين يجي الحرامي يعاين

اضمة بالبستوگة يجي الحرامي يبوگه

أو:

بزرال الگعده وبزر الشيب لودللته ماكوعيب

عند ولادة البنت حين توقع الولد

بنيتنا مهجة روحي وهية التداوي جروحي

واحنه الولد شلنا بيه من أذكره تلعب روحي

تلوم الأم بنتها المولودة قائلة:

ليش ما جيتي وِلَد يمهناية جنت أهلهل صوت وأعلك راية

فتجيب البنت!!:

يمه مو بيدي بيد رب المشترف

هسّه أكبر واربي لي زلف

وامي تنطيني للچبير ولاية

والاخرى تقول

يبنيات يبنيات عشرة واكول كليلات (قليلات)

يا وردة منين محيوشة وخيعونه اليحطچ بحوشة

يورده وشمحلاها كصايبها وراها

إجه الخطاب يخطبها وأبوها ما نطاها

المنزل

المطبخ

كان المطبخ صغيراً نسبياً لكنه يحوي كل ما تحتاجه الوالدة من أدوات ومواد الطبخ. تشمل الأدوات وسائل الطبخ، والقدور، والأواني، وغيرها.

وسائل الطبخ

أكثر وسائل الطبخ استعمالا ماكنة "أم الفتايل" والتي تحوي على فتيلتين أو ثلاثة فتايل. تعمل بالنفط الذي يخزن في أسفلها.

المكينة أم الفتايل

كذلك يستخدم البريمز (الاسم الإنكليزي Primus) الذي يعمل النفط ولكن بدفع الهواء المضغوط بدفع المكبس المكبس المثبت في الخزان.

البريمز

كم من حوادث الحريق تحدث من البريمز حينما يستمر ضغط الهواء فيها ما يسبب انفجاره فتتطاير شظايا معدنية منه لتدمر وجه من هو قريب عليها. وأحياناً يستمر ضغط الهواء فيه والنار مشتعلة مما قد يسبب زيادة في شعلة النار ويحدث الحريق.

يستعمل للطبخ كذلك الطباخ "المتطور" الذي ينتزع خزانه ليملأ بالنفط وهناك عدة أنواع منه.

الطباخ الذي يعمل بالنفط بعين واحدة وبثلاث عيون

الطبخ خارج المطبخ: للطبخ خارج المطبخ تستخدم السيبابة (ثلاثة أرجل) وهي قاعدة يستقر عليها القدر وتحته الحطب المشتعل. والسيبابة هي لوحة حديد تشبه نعل الفرس ولها ثلاثة مساند. أتذكر هنا حكمة جاءت من الثنائي القدر والسيبابة! يقول المثل أن القدر يعيب على السيبابة سواد لونها من ترسبات الفحم. تجيب السيبابة قائلة صلوات صلوات شوف (انظر) من المتكلم؟ ألا ترى أنت أن كل أجزاءك سوداء؟ يضرب هذا المثل على من يرى عيوب غيره وينسى أو يتناسى عيوبه.

مخطط السيبابة والى اليسار القدر المسود فوقها والحطب المشتعل تحتها

القدور

كانت القدور المعروفة تلك التي تصنع من النحاس أو الالمنيوم (الفافون). تطلى قدور النحاس بين سنة وأخرى بطلاء يمنع تأكسدها واحتمال تأثيرها على الصحة!

ثرامة اللحم

تثبت الثرامة على حافة منضدة في المطبخ ويتوضع قطع اللم في فتحتها بتدار عتلتها باليد ليخرج اللحم مثروما. بالرغم من بساطة تركيب الثرامة فإنها لم تخل من خطورة. فقد حدثت حالات تضرر أصابع السيدة بوضع أصابعها في داخل آلة الثرم لدفع اللحم أو إن أطفالاً يدخلوا أصابعهم فيها بدافع الفضول عندما تغفل الام عنهم.

ثرامة اللحم اليدوية

خلاط اللبن

يستعمل خلاط اللبن (چرخ اللبن) اليدوي المعدني لخلط وتخفيف اللبن وأكلات أخرى.

چراخ اللبن

التختة

مصنوعة من الخشب تقطع عليها اللحوم والخضروات. تجلس المرأة على الأرض وتضع التختة أمامها لاستخدامها. ومن كثرة الاستخدام تفقد من سمكها في الوسط.

التختة تغير سمكها في الوسط

الهاون النحاسي

من أهم مستلزمات المطبخ لطحن أنواع من النباتات والحبوب مثل الهيل والجوز ونومي البصرة وحبوب القهوة وغيرها. وللهاون قطعتين الحوض والمطرقة النحاسيين. كنا نتندر فيما بيننا حين نسأل عن الشيء الذي يعنيه بيت الشعر التالي وهو الهاون:

وأصْفرٌ مدورٌ أكبرُ ما فيه فمَهْ وابنهُ يضربه في بطنه لا يرحمهْ

وأتذكر مثلاً من ثقافة المضايف حيث يقال إن الذي ينام على صوت رنين (دق) الهاون يستيقظ عند توقفه. ولهذا المثل دلالته في الحياة.

الهاون النحاسي ومطرقته

الهاون الصخري

الهاون الصخري يشبه الهاون النحاسي إلا انه مصنوع من الصخر الجلد. ربما يعود تاريخه الى العهد السومري. أفضل ما يستخدم هذا الهاون هو لسحق حب الرمان المجفف الذي هو أساس عمل أكلة الفسنجون المعروفة محلياً وهي مرقة سوداء داكنة! كذلك يستخدم لسق بعض الحبوب.

الهاون الصخري

الجاون

شاهدت الجاون في بداية الطفولة ولكنه اختفى بعد ذلك لعدم الحاجة لاستخدامه. يصنع الجاون من جذع شجرة يحفر داخلها ليصنع منها ما يشبه الإناءً بارتفاع قدم ونصف وبقطر حوالي القدم. وللجاون مطرقة بطول يقرب من خمسة أقدام مصنوعة من غصن شجرة مستقيم في نهايتها مقبض عمودي صغير. يستخدم الجاون للـ"الهبش" الرز وهو فصل الغلاف الدهني للرز (السحالة) من البذرة. والسحالة غنية بالمواد الغذائية وتعتبر غذاءً مهماً للحيوانات.

الجاون والمطرقة

الرحى (الرحّه)

تصنع الرحى من صخرتين دائريتين بسمك الإنجين وبقطر حوالي القدم. تحفر سطحيهما وتثقب الطبقتين في الوسط بقطر حوالي الإنجين. يثبت في ثقب الطبقة السفلى وتد خشبي يظهر من خلال ثقب الطبقة العليا الذي يكون أوسعاً من ثقب الطبقة السفلى. تثقب الطبقة العليا ثقباً إضافياً الى الجانب يثبت بداخله وتد خشبي آخر لمسكه باليد وتدوير الطبقة العليا على السفلى. تستخدم الرحى لطحن الحبوب من الحنطة والشعير والتي تدخل من ثقب الطبقة العليا لتطحن ما بين الطبقتين وكذلك تستخدم لتكسير بعض الحبوب مثل الحمص والماش.

يقول الدارمي:

ما أطحن الحِنطات أطحن بهَمّكْ

إگعِد ودوّر الروح تلگاهه يمك

الرحى

السفرطاس (طاسة السفر)

لم يكن من المتعارف أن يذهب أصحاب الحرف الى بيوتهم خلال موعد الغداء حيث يعتمدوا في تجهيزهم بوجبة الغداء على ما ترسله الزوجة من أكل متنوع في السفرطاس. يستخدم السفرطاس في فصل الشتاء حيث الجو باردا ويقل استخدامه في الصيف حيث غالبا ما يعود الرجال ظهرا الى البيت. يتكون السفرطاس المصنوع من الفافون من ثلاثة أو أربعة أواني تركب فوق بعضها البعض وتثبت في جوانبها بامتداد المقبض الذي يحمل منه السفرطاس. توضع في كل إناء ما لذ وطاب من التمن والمرق والزلاطة والفاكهة.

السفرطاس ذي الثلاثة أواني

المنخل (الغربال)

يستعمل المنخل في ذلك الزمن لغربلة الحبوب وغيرها من الشوائب والحصى الصغيرة في المواد الغذائية وما أكثرها!

المنخل جانبه من الخشب وقاعدته طبقة معدنية مشبكة

وهنا يحضرني بيت الشعر الذي يخص الاصدقاء حيث يقول:

ولو إنني غربلت صحبي كلهم لم يبق لي منهم سوى الغربال

الألبان

كان مصدر الألبان الوحيد في تلك السنين هو ما تجلبه النساء القرويات من الحليب ومنتجاته من القرية الى سوق في المدينة لبيعها. يخزن الحليب بقدور كبيرة فيتوجه المشتري بوعائه الى حيث تواجد القرويات بما يحمله من أوعية لملئها بالحليب والزبد. تربي بعض نساء المدينة بقرة في بيتها فكنا نذهب الى ذلك البيت لجلب الحليب الطازج. يغلى الحليب في البيت قبل تقديمه على المائدة أو إرضاع الطفل منه. كنا نتسارع فيما بيننا للحصول على الـ "گشوة" وهي الطبقة الدهنية الكثيفة التي تطفو على سطح إناء الحليب. نخلطها مع السكر ونحصل على طعم لذيذ يستحق الصراع مع الإخوة للحصول على الكمية الاكبر!!

الحليب مباشرة من البقرة!

كنت في مرحلة الطفولة أزور بيت خالتي في مدينة النجف وأمكث عندهم لعدة أيام. أتذكر أن الحصول على الحليب حينئذ كان مباشرة من ثدي البقرة التي تسير بها صاحبتها في الأزقة ويخرج سكان الزقاق بأوانيهم للحصول على حليب "طازج".

الزبد واللبن والجبن

تتنوع منتجات الألبان لتشمل الزبد، الروبة (اللبن الرائب)، والجبن والقيمر. يستخرج الزبد من الحليب. يترك الحليب مكشوفاً ليوم كامل فيصبح لبناً حامض الطعم بتأثير البكتريا في الجو. يوضع اللبن في القِربَة التي تصنع من جلد الخروف المدبّغ بكامله وتغلق فتحات الأطراف الأربعة وتبقى فتحة الرقبة لصب الحليب بداخلها وتفريغه عن طريقها. تبدأ المرأة بخض القربة لساعات لينفصل الزبد عن اللبن ويطفو على سطحه فتجمعه في وعاء لتنقله الى السوق.

إناء اللبن والزبد على السطح

تجلب القرويات منتجات الألبان وخصوصا الروبة من الريف بطبق فيه عدد من الأواني الصغيرة المليئة بالروبة والقيمر. يجلسن بمجاميع في مكان معلوم في المدينة يدعى بالـ "وگفة". والوگفة مساحة واسعة من الأرض محاطة بجدران يجلب الفلاحون كل ما يجنوه من خضار وفواكه وتمور وبيض طازج ودجاج حي ليعرضوه للبيع. تجلس بعض بائعات الروبة في زقاق في داخل المدينة وتجلب بعضهن أرغفة الخبز الذي يخبزنه في الريف بالتنور.

بائعات الألبان

القيمر

يصنع القيمر من الحليب الغني جداً بالدهن وهو حليب الجاموس المتواجد في أطراف الكوفة حيث الماء الذي ينتعش به الجاموس لساعات طويلة أثناء النهار. يضاف الى ذلك الحليب قليلا من النشا. مع إن قيمر الكوفة ذا طعم لذيذ ولكن لقيمر مدينة الحلة شهرة واسعة بصناعته. يجلب القيمر في أواني مسطحة كبيرة تباع قطع منها في محلات البقالة بالوزن. يؤكل القيمر مع الدبس أو العسل محاطا بالخبز وما ألذه من فطور في الصباح.

إناء القيمر والجاموس في النهر

الخضروات

الخُبّاز مأكول الفقراء

ينمو نبات الخباز (Mallow) بصورة طبيعية في المناطق الزراعية والصحراوية أو حواشي الطرقات الزراعية ويتكاثر بسرعة وهو مبذول بدون ثمن. استفاد منه الفقراء بجنيه وطبخه لتغذية عوائلهم. وهنا يذكر المثل الدارج "يتعب (أو يركض) والعشة (العشاء) خُباز". يضرب للشخص الذي يكد ويتعب طول اليوم ولكنه لا يحصل إلا على النزر القليل من المردود مقابل تعبه.

نبات الخباز

تجفيف الخضروات

لعدم وجود ما يساعد على خزن الخضروات في الفصلين الشتاء والصيف تضطر العوائل لتخزينها عند توفرها وحفظها لطبخها في فصول شحتها. إن كل الخضروات فصلية حيث تكثر وبسعر زهيد في فصلها وتشح في الفصول الاخرى. يشمل التجفيف البامية، الباذنجان الطماطة، الباقلاء وغيرها.

طريقة تجفيف البامية يكون بقطع نهايتها العريضة وتعمل منها "قلائد" بخيوط وتشَرْ في الهواء حتى تجف. أما الباذنجان فيقطع طوليا ويملح ويعلق على الحبل في الفضاء. كذلك تجفف الطماطم بتقطيعها ورش الملح عليها ثم وضعها في صينية تحت أشعة الشمس حتى تجف. أما الباقلاء فتنزع قشرتها وتترك البذور تحت أشعة الشمس لحين الجفاف. تحفظ تلك الخضروات بعد جفافها في أواني لحين استعمالها في أوقات ندرتها.

الباذنجان المجفف

البامية المجففة

الطماطم المجففة

معجون الطماطة

عندما يحين موسم جني الطماطة في الصيف تتدنى أسعارها فيشتري الناس كمية كبيرة منها لعمل معجون الطماطة. تجتمع النساء والاطفال ليعصروا أكداس من الطماطة ويضعوا العصير في أواني وتخلط بكمية من الملح ثم يحملونها الى السطح ليفرغوها في صواني معدنية مسطحة كبيرة بحيث لا يزيد عمق العصير في الصينية على الانج. بعد أسابيع يصبح سائل الطماطة سميك القوام بتبخر الماء وعند ذلك المعجون في زير وتغلق فتحته بإحكام لحين استخدامه في الطبخ.

معجون الطماطة في الصواني على السطح يتعرض للشمس

التجميل

العطور الرجالية

ترد من الهند عطور معبئة بقناني المنيوم تباع في قوارير صغيرة. أغلب العطور في ذلك الزمن أساس صنعها ماء الورود. من المعامل الوطنية كانت معامل عطور المسقطي التي ساهمت مع معامل الشبراويشي في مصر.

قناني عطور الشبراويشي المصرية

توفرت كذلك في الاسواق عطورا اجنبية مثل كولونيا 4711 الالمانية وعطر الريفدور.

كولونيا 4711 والريفدور

الكُحُل

يستخرج الكحل من حجر الأثمد الذي يوجد بوفرة في بلاد الحجاز والمغرب العربي وبلاد الشام.

حجر الأثمد

يسحق الحجر ويحول الى مسحوق يوضع في المكحلة. تصنع المكحلة من النحاس نهاية دقيقة في داخلها وهي وعاء خاص بارتفاع انجين يدخل في تجويفه المرود (الميل) وهو قضيب معدني دقيق تكون في نهايته العليا زخارف من نفس المعدن. تملأ المكحلة بالكحل وحينما يسحب الميل من داخلها يكون مغطى بالكحل ويمسح به أهداب الجفنين فتصطبغ الأهداب باللون الأسود.

المكحلة وبداخلها وعلى جنبها الميل (المرود) وطريقة تكحيل العين

الديرم

وهو لحاء شجرة الجوز يباع على شكل قطع صغيرة يابسة تستعمله المرأة في صبغ الشفاه وفرك الاسنان بعد تنقيعه في الماء او في لعاب الفم. تضع المرأة قطعة الديرم اليابسة بين شفتيها فتترطب باللعاب وبعد دقائق تتلون الشفاه بلون بني غامق جذاب.

الديرم

سيدة تظهر شفتيها مصبوغة بالديرم

الحنة (الحناء)

عرفت نبتة الحناء من قديم الزمان وتستعمل لأغراض عديدة منها الطبية ومنها الطقوسية. لكن استعمالها الذي له علاقة بالنساء هو استخدامها لصبع أكف الأيدي وأحينا الأقدام بلون بني غامق.

تيبس أوراق نبتة الحناء وتسحق لتصبح مسحوقاً فيخلط المسحوق بالماء تصبح عجينة توضع داخل كف وتلف الكف بقماش لتبقى العجينة من المساء وحتى الصباح وعندما تغسل تتلون اليد والأصابع باللون الغامق الجذاب. من التقاليد المتبعة في المجتمع كانت ليلة الحناء التي تسبق ليلة زفاف العروس حيث يجتمع الأهل وتعم الفرحة على الجميع وتحنّى العروس والفتيات من حولها بصبغ الكفين بالحناء. تستعمل الحناء أحيانا في اليدين في ليلة العيد أو مناسبات مفرحة أخرى.

ورق ومسحوق الحناء

الكفين بعد صبغهما بالحناء

تستعمل الحناء كذلك لخضاب الشعر الأبيض للرجال والنساء وكذلك خضاب للحية الرجال. أحياناً يضاف لها الوسمة التي تضفي على اللون البرتقالي بعض السواد. من المعلوم أن الوسمة لا تعمل لوحدها بل بعد صبغ الشعر بالحناء.

طين خاوة (طين الرأس)

تراب ناعم جدا ناتج من ترسبات نهرية أو بركانية بعد تحويله الى عجينة لتوضع على الرأس لتنعيم الشعر وكذلك لترطيب البشرة.

حجر الطين خاوة والعجينة

السبيداج قلاي

السبيداج قلاي هو حجر شديد البياض موجود في المناطق الجبلية. يخلط مع الماء أو ماء الورد ويعمل منه خليط سميك القوام. يوضع على بشرة الوجه لعدة دقائق لإزالة الدهون المتراكمة على الجلد فيعمل على تصفية وتبييض الوجه.

حجر السبيداج

الحَجَر

هو حجر بركاني صخري أسود خفيف جدا خشن الملمس يحتوي على مسامات يطفو على سطح الماء. يستعمل للتخلص من البشرة المتراكمة على كف القدم بحكها بقوة أثناء الغسل بالحمام.

الحجر

الكيس

يستخدم الكيس في الحمام وهو مصنوع من قماش أسود ويخاط على طوله بخيط قطني ابيض على هيئة خطوط طولية متقاربة لتجعل سطحه الخارجي. يستخدم بإدخال كف اليد في داخله ويحك الجلد للتخلص من الدهون المتراكمة على سطح الجلد.

الكيس

الليفة

نبتة الليف من النباتات المتسلقة تشبه نبات الخيار وتعرف بنبات الليف. تستخرج الليفة من ثمرة النبتة بعد تجفيفها. تصبح نبتة الليفة عند جفافها كشبكة متراصة وخفيفة الوزن. تستخدم لتدليك الجسم في الحمام لإزالة الاوساخ في تنظيف الجلد وفتح مساماته.

نبتة الليف وثمرتها ونزع القشرة الخارجية والليفة بعد أن تجف

ويشتهر المجتمع الكردي بصنع الليفة الجيدة والمصنوعة من ألياف نبتة الليف نفسها أو من القطن. فتكون التي من الليف خشنة والأخرى تكون ناعمة.

ليفة الاكراد المتميزة

القبقاب

من متطلبات الدخول الى الحمام والخروج منه لبس القبقاب المصنوع من الخشب إن كان الحمام عمومياً أو في البيت. والقبقاب يتكون من قاعدة خشبية مصقولة تستقر عليها القدم وقد ثبت في مقدمة القاعدة شريط جلدي لمسك القدم. للقبقاب صدى "ينعش" الأذن حينما يطرق الأرض وخصوصا على الأرض المبلطة بالبلاط المرمري الصقيل! يعمل القبقاب على التوقي من التزحلق في الحمام وكذلك يحمي القدمين من حرارة أرض الحمام.

القبقاب الخشبي

المشط

كان المشط يصنع من الخشب المستورد من الهند مثل خشب الصندل، والابنوس وغيره. تصنع بعض الامشاط من الخشب المحلي مثل خشب (النارنج، والمشمش، والسرو). لبعضها رائحة زكية وطيبة وخاصة المصنوع من خشب الصندل.

المشط الخشب

حمام البيت

يوجد في بيوت العديد من أهالي المدينة حمام يستخدم للاستحمام في الصيف والشتاء. ليست هناك مشكلة كبيرة في الصيف ما عدا كون ماء الصنبور الذي يصب فوق الرأس حاراً بسبب حرارة الجو المرتفعة التي تصل درجات الخمسينات المئوية.

وفي العديد من البيوت لا توجد وسيلة إحماء الماء، ولكن توضع في داخل الحمام بريمز أو صوبة وفوقها قدر ماء. ويشكل ذلك خطورة صحية بسبب الغازات المنبعثة.

قدر ماء متحته البريمز

في البيوت الاحدث فقد صمم الحمام بحيث يوضع في عمق أرضه خزان ماء تحته انبوب يغذي شعلته خزان نفط خارجي. ننتظر لدقائق حتى ترتفع حرارة الماء ويمتلئ جو الحمام ببخار الماء ثم ندخل في داخله. يخلط الماء الحار مع البارد في سطل ومنه يصب على المستحم على جسمه.

حمام السوق (العام)

توجد في المدينة عدة حمامات عامة للرجال وحمام واحد للنساء. يهيئ صاحب الحمام الذي يجلس في مدخله ويعطى للمستحم الوزرة والمنشفة والقبقاب. والوزرة قطعة قماش غالبا ما يطغي عليها اللون الاحمر يغطي بها المستحم جسمه من البطن الى الساقين. يعمل في حمام الرجال "المدلكچي" الذي يقوم بتدليك الجسم بالليفة والكيس الاسود وحك القدين بالحجر. بعد التدليك يغطس المغتسلون في "الخـْزانه" وهي حوض كبير بعمق ثلاث أو أربع اقدام تملأ بالماء الحار.

"الوزرة" على الكتف وحول الخصر أما في حمام النسوان "النساء" فتأخذ النسوة معهن البقچة، وهي قطعة قماش مربعة مطرزة توضع عليها كل الاشياء وتعقد من زواياها الاربع.

بقچة معقودة تحملها السيدة على رأسها

تحوي البقجة الملابس والعدّة المطلوبة مثل الصابون والحجر والليفة والمناشف. يأخذن معهن النومى الحلو والرمان لأكلها أثناء الاستراحة وتبادل الاحاديث بعد الاستحمام. وهناك المثل الذي يصف صخب الحمام عند الاستراحة والحديث فيما بينهم "مثل حمام النسوان" للدلالة على صخب المكان الذي تدخل فيه كقاعة أو مجلس.

إزالة شعر الجسم

المعروف يفضل الكثير من الناس إزالة الشعر من بعض مناطق الجسم في الغالب لأسباب صحية.

يستعمل البعض مادة الشيرة لإزالة الشعر. تصنع الشيرة من السكر والماء وقليل من مسحوق الليمون دوزي. تفرش الشيرة على قطعة قماش وتلصق بالمنطقة المراد إزالة الشعر منها فتلتصق الشعر وعند سحبها ينتزع الشعر من الجلد.

هناك طريقة أخرى للتخلص من شعر الجلد باستخدام خليط النورة والزرنيخ. فالنورة هي المسحوق الأبيض الناتج من عملية حرق حجر الجير (كربونات الكالسيوم) أما الزرنيخ فهو المادة المعروفة بسميتها الشديدة عند دخولها الى الداخل الجسم وكانت تستعمل في عمليات الإجرام في قتل الأشخاص والتاريخ مليء بالقصص عن حوادث القتل بسم الزرنيخ. تخلط المادتين بالماء في إناء معدني بكل حذر حتى يتم الامتزاج ويسمى المزيج بـ"دَوَة حمام". يلبخ الخليط على مناطق الجسم المراد إزالة الشعر، لا يوضع الخليط على شعر الرأس أو الوجه، باستخدام ملعقة أو ما شابه. يترك الخليط للحظات ثم يغسل بالماء بغزارة والتأكد أن لا تبقى أية آثار للخليط على الجسم. يزول كل الشعر من المنطقة التي وضع عليها الخليط.

الصيت (الشهرة) للنورة والعمل للزرنيخ هذا مثل معروف وهو من وحي هذا الخليط والذي يعني أن المشهور هو الفعل للنورة والحقيقة ان العمل كان للزرنيخ. يطلق هذا المثل على الشخص الذي ينال الشهرة والمديح لعمل قام به غيره بجد وعناء لضعف في موقفه أو أن الشخص المستفيد أعلى منه مقاما.

الصابون

يستخدم الصابون لغسل الجسم في الحمام وغسل الوجه واليدين. كان الغالب هو صابون الرقي (صابون الغار) والذي يصنع من زيت الزيتون النقي. يكون لون الصابونة بني غامق واللون الأخضر في داخلها ولها رائحة متميزة زكية.

الصابون الرقي من الخارج واللون الأخضر في داخلها

ورق شجر السدر: أتذكر في طفولتي استخدام أوراق شجرة السدر (النبق) بعد سحقها وتنقيعها لغسل اليدين والجسم. تصدر منها رائحة طيبة وفقاعات تشبه فقاعات الصابون.

غسل اليدين: تغسل الأيدي والوجه في مغسلة عليها صنبور واحد والذي يدعى في المدينة (شير ولولة ومزملة). وغالبا ما تكون المغسلة من السيراميك أو حوض مبني من الطابوق على الارض في ساحة البيت المفتوحة. يكون الماء فيها حاراً في الصيف وباردا جدا في الشتاء القارص.

حوض غسل الايدي

غسل اليدين للضيوف: تكريماً للضيوف تجلب لهم لغسل أيديهم بعد تناول الطعام ما يستخدموه بدون الذهاب الى الصنبور. يجلب لهم الابريق والحوض و"اِلّلگن" أو السلبچة المصنوعين من النحاس. كنا نجلب الابريق مليئاً بالماء الدافئ في الشتاء الذي يغلى ويضاف اليه الماء البارد أما في الصيف فيكفي الماء البارد. نقدم الحوض وعليه الصابونة والمنشفة على كتفنا فنصب الماء على يدي الضيف لغسلها وبعدها تقدم المنشفة لتجفيف يديه. بعد أن يمتلئ الحوض نأخذه الى داخل البيت لتفريغه والعودة لإكمال الواجب مع بقية الضيوف.

الى اليمين الحوض (الِلّگن) ثم الابريق و(الِلّگن) بشكلين

غسل الملابس

تغسل بعض النساء ملابس أهل بيتها في ماء النهر حيث تحمل الملابس الى حافة النهر ويتم الغسل هناك وتنقل مبتلة الى البيت..

غسل الملابس في النهر

أما في البيت فتقوم سيدة البيت بغسل الملابس يدويا في العادة مرة بالأسبوع باستخدام الطشت. تجمع كافة الملابس وتعزل البياضات عن بقية الملابس لتلافي تأثرها بألوان الملابس الأخرى. تبدأ عملية الغسل بتحضير الماء الحار وخلطه مع الماء البارد.

الطشت أثناء غسل الملابس

صابون الشحم والريتة والشنان: يستخدم لغسل الملابس صابون "الشحم" وهو مصنوع من الدهن الحيواني. تضاف له **الريتة** وهي قشور حبيبات نبتة تشبه البندق ولكنها أصغر منها. يستخدم كذلك الشنان وهو بقايا نباتات مالحة تنبت في الصحراء. وأحيانا يضاف **الشنان** وهو رماد قلوي ينتج عن حرق نبتة القلي يكثر في سوريا يساعد في تبييض الملابس.

صابون الشحم الأبيض والبني

الچويت

مسحوق ناعم يستخلص من ورق نبات النيل الذي يكثر في مصر والشام ويعرف بالنيلة. يباع بقوالب زرقاء تستخدم في غسل الملابس البيضاء والشراشف والأغطية وتعطيها لونا فيه زرقه خفيفة جدا (بنفسجيا) ويعتقد البعض انها تعقم الملابس والأغطية.

تجفيف الملابس: تنشر الملابس على الحبال فوق السطح أو في فسحة خلف البيت فتثبت بالقراصات الخشبية منعا لها من السقوط.

نشر الملابس على السطوح وتثبيتها بالقرّاصات الخشبية

دخلت في بعض البيوت في نهاية الخمسينيات الغسالات الكهربائية وكذلك مساحيق الغسيل وكان اشهرها مسحوق "امواج"!!

الخياطة

قبل دخول مكائن الخياطة اقتصرت الخياطة في البيوت على شغل الإبرة. تسبب الابرة أحيانا وخز الاصبع أو يصعب نفاذها من خلال طبقات القماش السميكة عندها يستخدم "الكشتبان" لدفع الابرة مع الخيط لتنفذ في طبقات القماش وكذلك لحماية اصبع الخياطة.

الكشتبان

هناك مثل دارج يصف المرأة التي تعطي الانطباع بانها تعمل بنشاط وفي الحقيقة هي تتظاهر بذلك فقط.

بصناعچ معلگ ابرة وكشتبان أبد ما بيچ هدّة بس لبگ اللسان

مكائن الخياطة: تطورت الخياطة باستخدام ماكنة الخياطة التي تدار باليد من مقبض مثبت على عجلة صغيرة في مقدمة الماكنة. تسبب تلك الماكنة التعب والارهاق لسيدة البيت بطبيعة الحال.

ماكنة الخياطة اليدوية

بعد ذلك جاءت الماكنة التي تدار بالقدمين ما سهّل على أم البيت استخدام يديها خلال عملية الخياطة. سادت السوق في ذلك الزمن ماكنات سنجر البريطانية.

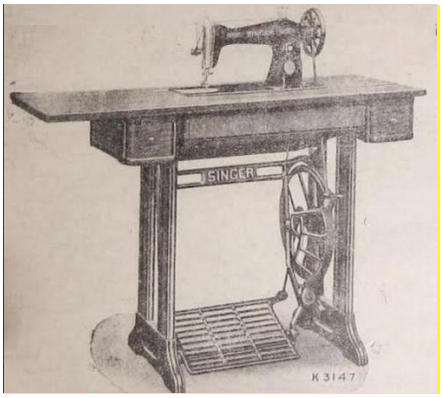

ماكنة الخياطة التي تدار بالقدمين

أدخلت بعد ذلك المولدات الكهربائية التي تربط بالماكنة اليدوية وكان ذلك انتصارا لسيدة البيت.

بسبب الاحتكاك بين عتلات الماكنة كانت الحاجة الى استخدام "الروغدان". وهو وعاء بقاعدة عريضة ونهاية مدببة يملأ بالدهن ويقطر الزيت من نهايته المدببة على أجزاء الماكنة التي تحتك ببعضها.

الروغدان (الياغدان)

المهن والحرف

الهاتف والبريد والبرق

اجتمعت دوائر الهاتف والبريد والبرق تحت مظلة رسمية واحدة. هناك تكون أجهزة البدالة الهاتفية، ويعنى البريد بالرسائل المرسلة والواردة أما البرق فبالبرقيات الصادرة والواردة. تقع تلك الدائرة في منطقة السكة وسط البلد. كان عند الباب خارج البناية صندوق أحمر ترمى في داخله الرسائل بعد لصق الطابع عليها.

صندوق الرسائل

جهاز الهاتف: كانت الهواتف في زماننا بدائية ومحدودة العدد في المدينة لم تتجاوز المئة خط. حمل هاتف الخان التجاري للوالد الرقم 41. وحصلنا على فرع بنفس الرقم الى بيتنا. بعد حين أضيفت مائتي رقم جديدة للبدالة وحصلنا على الرقم 221 للبيت.

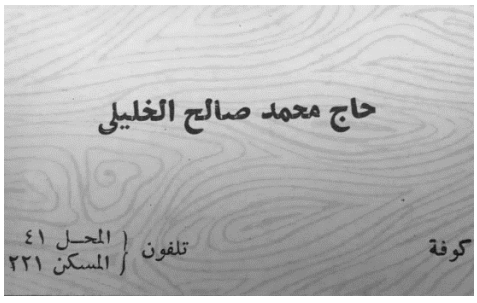

هواتفنا في المحل (الخان) والمسكن

لم تكن الهواتف في ذلك الحين متطورة فقد كان جهاز الهاتف بدون قرص الأرقام وفي جانبه مثبت مقبض دوار. يتصل الهاتف بسلكين ببطارية تنصب بقربه قاعدة بطول ثلاث إنجات بثلاث وارتفاع حوالي الست إنجات. يصل السلكين من الهاتف الى قطبي البطارية (الموجب والسالب) في اعلى البطارية. هناك في الزاوية المقابلة سدادة تفتح لملئ خزان البطارية بالماء المقطر. يتجمع الملح في ايام الشتاء الباردة على مدخل السلك الموجب على سطح البطارية مما يمنع الاتصال فكنا نصب الماء الحار عليها ليذيب الملح ويعود الاتصال سليما.

الهاتف بمقبضه الجانبي والبطارية التي تجهزه بالطاقة الكهربائية

حينما تود الاتصال تدير المقبض عدة دورات فيجيبك عامل البدالة ليلبي طلبك بربط مكالمتك بمن تود في داخل المدينة أما المكالمة مع شخص المدن القريبة فتستغرق اوقاتا طويلة أما المكالمة الى بغداد فكانت تتم بعد ساعات!

تطور ذلك الهاتف حيث لم تعد حاجة لأن تدير العتلة اليدوية حيث سيرد عليك عامل البدالة بمجرد رفعك سماعة الهاتف ملبيا طلبك بالاتصال باي شخص تروم.

الهاتف بدون المقبض الدوار

البدالة

كانت البدالة بدائية وعدد خطوط الهاتف محدودة وكان لنا خطان كما ذكرت سابقاً. يجلس عامل البدالة أمام لوحة فيها ثقوب توازي في عددها عدد الخطوط الموزعة في المدينة. في أعلى اللوحة وفوق كل ثقب غطاء صغير يخفي الثقب. فعندما يطلب مشترك من عامل البدالة الاتصال برقم هاتف معين تفتح الغطاء ليظهر الثقب المخفي فيربط عامل البدالة نهاية سلك بذلك الثقب ليتكلم مع المتصل وعندها يبدأ الشخصان بالتواصل بينهما. ولعامل البدالة "الحق" في قطع اتصالهما أو التنصت لحديثهما متى شاء!!

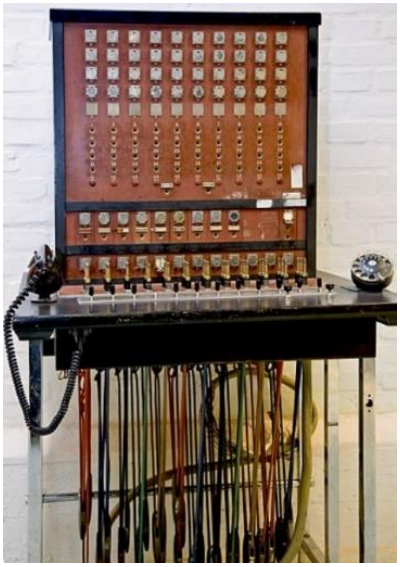

لوحة البدالة والثقوب الظاهرة والمخفية

وهنا اود ان اذكر عامل البدالة في مستشفى ردهيل في جنوب إنكلترا حيث عملت لفترة قصيرة في اختصاص طب العيون عام 1972. كان عامل البدالة أعمى منذ الولادة ولكنه يتمتع ببصيرة منحها الله له حيث يمكنه التعرف مباشرة على من هو الطالب على الهاتف بالتحسس السمعي لصوت فتح غطاء الثقب الخاص بذلك

الرقم ويأخذ بالسلك المعين ليدخله في الثقب العائد لذلك الرقم وكذا يربط الطالب بالمطلوب. وكت اقضي أوقات الفراغ استمتع بالتطلع الى حركات يده وإجاباتها الدقيقة على الطالبين. فسبحان الله الذي وهبه بقدرة السمع الفريدة بالتفريق بين صوت فتح الصناديق المائة الموجودة على لوحة البدالة أمامه.

ساعي البريد

لإرسال الرسائل كان يجب علينا إيصالها الى دائرة البريد لشراء الطابع ووضعها في صندوق البريد في الدائرة. أما الرسائل المستلمة فيوصلها ساعي البريد على دراجته الهوائية والذي يعلق عليه كيس جمع الرسائل.

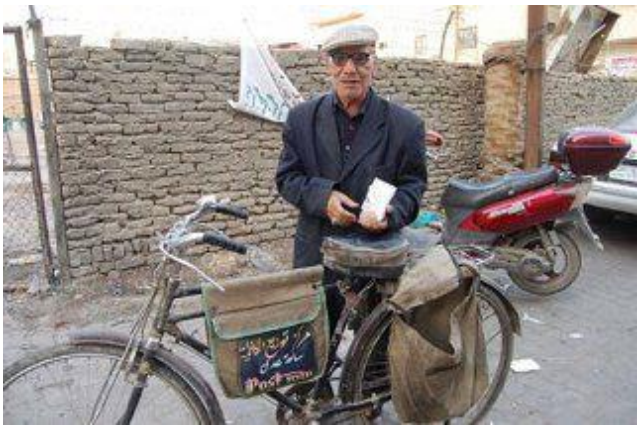

ساعي الريد ودراجته وكيسي الرسائل والرزم

أما عناوين الأشخاص المرسل لهم ففي الغالب تكون بدلالة محل معلوم أو جامع أو أي دلالة أخرى، حيث لم توجد حينذاك أية أرقام للبيوت ولا للمحلات ولا للشوارع والأزقة. لم يجد ساعي البريد أية صعوبة في إيصال الرسائل الى أصحابها لمعرفته أبناء البلدة ومحلاتها. كان مظروف الرسائل داخل العراق تكون بيضاء أما الرسائل الدولية فيجب أن تكون ذات تصميم خاص بها تكون حافته معلمة باللونين الازرق والاحمر.

الرسائل المختومة بختم الشمع الأحمر

ضماناً لعدم فتح الرسائل المهمة والرسمية من متطفلين والاطلاع على محتواها فقد استخدم ختم الشمع الأحمر ليضمن ذلك. يصنع ختم الشمع الأحمر على شكل قطع مضلعة بطول الإنجين تقريبا وتكون صلبة القوام. توثق الرسائل المطلوب ختمها بخط متين يلف حولها عدة مرات وتعقد نهايتيه بحيث تكون العقدة في منتصف الرسالة. تشعل نهاية قطعة الشمع الأحمر بحيث تظهر لهبا يذيب الشمع فتسقط قطرات منه تتجمع على العقدة بحيث تغطيها بصورة كاملة. بعد ذلك يختم على الشمع قبل أن يجِفّ بختم الدائرة الرسمية. يتصلب الشمع مباشرة بحيث لا يمكن فك العقدة مطلقاً. يفتحها المستلم الحقيقي بقطع الخيط.

رسالة مختومة بالختم الخاص بالشمع الأحمر وقطعة الشمع وفي نهايتها اللهب

البرق

للتواصل السريع بين المدن في داخل وخارج العراق استخدم جهاز مورس الذي اخترعه صموئيل مورس في نهاية القرن التاسع عشر.

بدالة مورس لإرسال البرقيات

كنا نذهب الى البريد ومعنا مسودة لرسالة "برقية" نود إرسالها الى شخص في مدينة أو دولة أخرى فنسلم تلك المسودة الى عامل البرق ليقوم بإرسالها. تصل البرقيات المرسلة الى المستلم مكتوبة من عامل البرق بعد تحويل رموز المورس التي يستلمها العامل المختص الى كلمات وتوصل الى البيت.

التصوير الفوتوغرافي

كان التصوير الفوتوغرافي بدائيا والصورة تسمى "عَكِس". فالكاميرا ضخمة ومثبتة على قاعدة ثلاثية وفي قاعدتها الخلفية قطعة كبيرة من القماش الأسود على شكل أنبوب يدخل المصور رأسه ونصف جسمه داخله الى ان يصل الى الكاميرا من خلال تلك الظلمة التامة داخله. تتكون الكاميرا من عدسة مثبتة على قطعة خشب مربعة خلفها طيات من الجلد يمكن أن تطوى أو تمدد تشبه آلة الموسيقى الأكورديون. تتصل نهايتها بصندوق خشبي فيه فتحة من الأعلى يضع فيها المصور الفلم الفوتوغرافي الذي تطبع عليه الصورة. يجلس الشخص الضي يود تصويره على كرسي وخلفه قطعة قماش مربعة كبيرة سوداء.

الكاميرا الى اليسار ورأس المصور داخل غطاء الكاميرا والشخص الذي يجلس أمام قطعة القماش ثم المصور يرفع غطاء العدسة

عند تثبيت وضوح صورة ذلك الشخص عند النظر من خلال الكاميرا عندها يضع المصور غطاءً على العدسة من الخارج بعد ذلك يضع الفلم في موضعه ثم يرفع غطاء العدسة للحظات ثم يعيد الغطاء ليغلق العدسة. بعد ذلك يسحب الفلم من موضعه وبعد أن يغسله بماء ومادة كيمياوية لتظهر الصورة سوداء غير واضحة المعالم. يصبغ المصور الصورة باللون الأحمر ليثبتها، بصورة معاكسة الاعلى الى أسفل، على لوحة خشبية تصله بصندوق الكاميرا بذراع بطول حوالي النصف متر. يضع المصور فلماً جديداً في الصندوق ثم يرفع غطاء العدسة للحظات بعدها يخرج الفلم ليحمضه ويحصل على الصورة النهائية الواضحة.

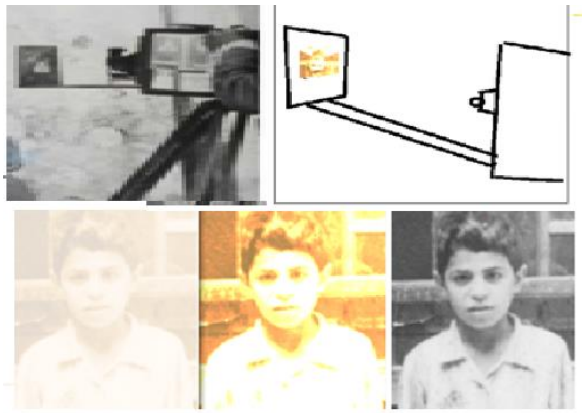

في الاعلى اللوحة التي تثبت أمام الكاميرا وتحتها وتسلسل الصور
الأولى والمصبوغة بالأحمر والصورة النهائية

بسبب كون الصورة النهائية هي عكس الصورة الأولى لذلك تدعى الصورة النهائية شعبياً في مطقتنا بالـ "العَكِس". فيقول الشخص إني ذاهب لأخذ عَكِس ويقصد آخذ صورة فوتوغرافية.

مركب الاسنان

قام بمهنة قلع وتركيب الاسنان في الكوفة الحاج هادي عبود. تقع "عيادته" في منتصف السوق في طابق أعلى من بناية صغيرة. كان هادي قصير القامة مربوع الجسد صاحب نكتة وثقافة. يشمل عمله قلع الاسنان وأحيانا عمل حشوة للسن وكذلك عمل طقم اسنان صناعية. يستخدم مركب الاسنان ماكنة تدار بالقدم لتدير العتلات والمثقب الذي يثقب السن المنخور لتحشيته.

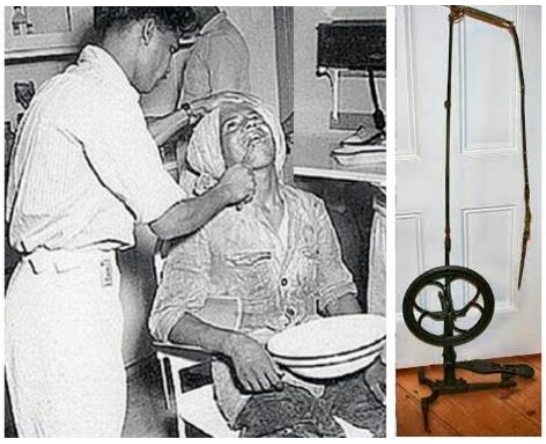

الى اليمين الماكنة التي يحفر بها السن والصورة لعملية قلع سن

الأوتچي (كوي الملابس)

لم يكن كوي الملابس ضرورياً جداً في مجتمعنا، ولكن كنا نأخذ بعضها من القمصان والبدلات لكويها.

في البداية كان الأوتي (المكواة) قطعة من الحديد لها مقبض من الأعلى ويكون سطحها الأسفل أملساً. توضع المكواة على النار والتي في الغالب تكون البريمز وعندما تصبح حارة يبدأ بالكوي بعد أن يرش الماء على الملابس ثم يضعها على قاعدة خاصة ما بين حركاته للكي.

تطورت المكواة فأصبح لها غطاء من حديد وفي داخلها فراغ يملأ بالفحم ويشعل حتى يتحول الفحم الى جمر. عندها تكون المكواة حارة فيبدأ المكوچي بكوي الملابس بعد رشها بالماء.

المكواة البدائية وبعدها مع قاعدتها ثم مكواة الفحم

الحلاقين

يعمل في المدينة عدد كبير من الحلاقين. كانت أدوات بسيطة لا تتجاوز المقص والمشط والموس والماكنة اليدوية. عند حلاقة الشعر بكامله بالموسى تحدث جروح في فروة الرأس فكانت طريقة إيقاف النزف منها وضع قطعة من القطن على مكان النزف فترى أحيانا عدد من قطع القطن على رأس الزبون.

أحد الحلاقين من أيام زمان

بعض أدوات الحلاقة ايام زمان

الزبال والكناس

تكفل في تنظيف الشوارع الكناسين والزبالين وهم يتبعون إدارياً لبلدية المدينة. يقوم الزبال بكنس الشارع والزقاق ليجمع الأوساخ في مكان معين ليأتي الزبال لجمع الأوساخ ويضعها في وعاء من سعف النخيل وضع على ظهر حمار له ثم ترمى خارج المدينة.

لهؤلاء الزبالين والكناسين ثقافة خاصة بهم فالعامل يبدأ كناساً لعدة سنين ثم يترقى الى مرتبة زبال. يحصل الزبال على حمار ويكون الحمار معه وبعهدته ويركنه أمام بيته في الليل وهو مسؤول عن رعايته. هناك تعاون بينهما في توقيتات العمل بحيث لا يتقاطع عملهما.

طرفة: الطريف في تلك الثقافة هو أن الزبال "أرقى" من الكناس. كنا نتندر بحادثة تتداول فيما بيننا وهي إن عدد من الكناسين كانوا في استراحة بعد عناء العمل يجلسون على قارعة الطريق ويمر عليهم الزبال "متبخترا" بحماره معه وإذا بالكناسين يهمسون فيما بينهم متمتمين: الدنيا حظوظ، بالأمس كان معنا كناساً واليوم وفقه الله ليصبح زبالاً ليتبختر علينا.

بائع الفرارات

الرارة لعبة من لعب الاطفال مصنوعة من ورق ملون تشبه المروحة يتجول بائع الفرارات في الطرقات والأزقة حاملا على كتفه عمودا من القصب ربط في نهايته كمية من اعواد الحلفه غرز فيها مجموعة من الفرارات ذات الالوان الخلابة. يتجمع الاطفال حوله لشراء الفرارات.

بائع الفرارات والفرارات الملونة

والفرارة هي لعبة تشبه المروحة تدور مع مرور نسمة هواء عليها. كنا نصنع الفرارة بتقطيع ورق الآبرو الصقيل الملون من وجه وأبيض من الوجه الآخر. ينادي البائع وبصوت عال:

شندل مندل فرارات

شغل الحجي فرارات.

العرضحالچي (كاتب العرائض)

لعدم معرفة أغلب الناس بأسلوب تقديم طلباتهم الى الدوائر الرسمية لأن الكثير منهم أميين، تظهر الحاجة الى من يقوم بذلك العمل بأجر لتسهيل سير معاملتهم. يدعى ذلك الشخص بـ" العرضحالچي". يجلس العرضحالچي قرب مدخل الدوائر الرسمية كي يكتب لهم طلباتهم عند سماع تفاصيلها منهم على ورقة كبيرة تدعى بـ"العريضة".

العرضحالچي

"البرغش" المتجسس

من المعروف أن كلمة البرغش باللهجة العراقية تعني حشرة البعوضة، ولكن الشباب النشط سياسيا استخدموها للدلالة على ذلك الشخص الذي يدخل المقاهي والمجتمعات ليتجسس عليهم لمصلحة أمن الدولة. فإذا لاحظ أحدهم من بعيد ذلك الشخص وهو يدخل المقهى أو التجمع فيهمس لجماعته: برغش برغش. حينها تتغير المواضيع السياسية التي كانت موضع النقاش الى مواضيع عامة لتمويهه.

جني التمر

يجنى التمر بصعود شخص متخصص بذلك العمل ويستخدم نطاقاً خاصاً مصنوع من قماش سميك مثل الجوت يؤمن ربط جسمه بجذع النخلة يدعى محلياً بـ"التِبَلية". يرتقي الشخص الى أعلى النخلة ليقطع العثوق ويرميها

الى الارض أو يلتقط منها التمر الذي ينتقيه. هناك يا للأسف أن بعض الشباب المغامر يصعد الى أعلى النخلة بدون ذلك النطاق ليثبت رجولته ما يعرضه لخطورة السقوط التي تسبب الموت أو شلل الاطراف الدائم.

الشخص المهني الى اليسار مستخدما النطاق والى اليمين الشاب المغامر بدون النطاق

كبس التمر

يعتبر العراق في مقدمة الدول المنتجة للتمور في العالم. كان التمر يزيد عن الحاجة المحلية فيصدر منه الى الخارج ولكن بكميات لا تتناسب مع وفرة الإنتاج. تعود قلة التصدير الى سوء طرق الخزن ووسائل النقل. كان من طرق تخزين التمر وتصديره هو كبس التمور. بدأت هذه لفترة طويلة بطريقة بدائية للكبس.

تكبس التمور في كيس مصنوع من سعف النخيل يسمى "الحلّانه" ويكون الكيس بقطر حوالي القدمين وبارتفاع ثلاثة أقدام. إن طريقة الكبس متوارثة ولعلها جاءت من زمن بعيد..

صناعة كيس الحلان من سعف النخيل والاكياس ملئت بالتمر معدة للكبس

يقوم بالكبس أشخاص لهم "الخبرة" بذلك ويتصفون بالقوة البدنية. تستمر عملية كبس الحلانة الواحدة الساعة أو أكثر. يبدأ العمل بوضع كمية من التمر في قاعدة الكيس ويدخل الرجل في داخل الكيس بكامل جسمه ليكبس التمر بقدميه وبقوة الضغط يتماسك التمر في قعر الكيس يضاف تمرا بصورة تدريجيا ويستمر الشخص بالضغط بساقيه على التمر الى أن يلتصق التمر بحيث لا تبقى فسحة للهواء بين حبيبات التمر. يصبح ارتفاع التمر المضغوط حوالي القدمين وعندها تغطى الحلانة بما تبقى من أعلى الكيس ويخيط فوق التمر وتكون الحلانة معدة للتصدير الى مدن عراقية أو للبيع في الأسواق المحلية.

يكبس في الغالب تمر الزهدي وكذلك التمر البرحي الأفضل طعماً والأقل وفرة ويمكن أن يضاف السمسم وحبة الحلوة وهذا يكون أغلى سعرا.

الشخص الكابس في داخل الكيس والحلانة الى اليسار معدة للبيع

ما يؤسف له أن هذه الطريقة البدائية في استخدام أقدام الرجال في كبس التمر نشرت في دول عديدة ما جعل تسويق ذلك التمر المكبوس صعبا جدا. ولم تدخل الطرق الحديثة في كبس التمر إلاّ في السنين الأخيرة.

المسابك

يستخلص الدبس أو السِيلان (عصير التمر) من التمر من نوع الزهدي لاحتوائه على تركيز عال من السكر. أتذكر أحد تلك المسابك مقابل ماكنة السيد شبر المعروفة لهبش التمن والحنطة. كنا نتطلع من الفتحة المطلة على الشارع فنشاهد التمر يغلي على سطح دكة مبنية من الفخار بسعة متر عرضاً ومترين طولا وتحت الدكة ناراً مستعرة بفعل رمي السبوس، أي قشر حبة الرز، الذي يكدس بالقرب من الفتحة التي يرمى منها نحو النار. يميل سطح الدكة نحو الجانب كي يسيل عصير التمر من فتحة فيه ويجمع في أوانٍ. يحفظ الدبس في علب أو تنكة ليوزع على المحلات.

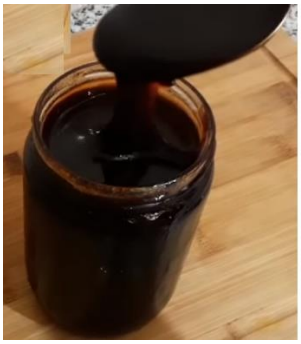

الدبس يسكن في قنينة

التدخين والتتن (التبغ)

انتشرت مهنة بيع التبغ في المدينة كما هي في بقية المدن في العراق. يدعى صاحب محل التبغ بالـ "التتنچي" نسبة الى مادة التتن والتي تعني التبغ. عندما يستلم صاحب المحل التبغ من التاجر من خارج المدينة يكون معبأ بأكياس مكبوسة. تفرغ وتقطّع بالساطور، وهو سكين عريض، الى قطع صغيرة جدا ثم تنخل بمناخل بأحجام مختلفة لعزل الانواع المختلفة ويبيعوه على محلات العطارة (التتنچي) والبقالة. يبدأ التتنچي بتعبئته في أواني زجاجية وخزفية وصفائح وغيرها لتحضيرها للبيع. هناك أنواعا مختلفة من التبغ: الحار والبارد وبدرجات مختلفة!

يقوم التتنچي بصناعة السجاير المحلية التي تدعى بـ "اِلمزبّن" أي السيجارة التي في نهايتها زبانة. والزبانة ورقة سميكة ملفوفة توضع في نهاية السيجارة لتعمل كفلتر! وتكون تلك السجاير على نوعين الرفيعة والسميكة. وتدعى الرفيعة "ضلوع المُلّه" والمقصود أن الملا يكون ضعيف البنية وضلوعه بارزة! تصنع السجاير في المحل بجمع مئات من أغلفة تلك السجاير التي تستورد من خارج العراق مع الزبانة في نهايتها وتطوق بحزام جلدي بعرض الانجين تقريبا. يرش التبغ على فوهات السجاير ويحرك المجموع داخل الحزام بحركة بين يديه بحركة ترددية كي يؤمن امتلاء كافة السجاير بالتبغ بمنية متماثلة.

طريقة عمل السجاير المزبّن داخل الحزام والسيجارة مفتوحة للتوضيح حيث تظهر في نهايتها الزبانة والسيجارة بعد صنعها

بعد ذلك تغلق السجاير بطي نهايتها العليا وتكون جاهزة للبيع.

السجاير ويقوم الاب والابن تغلق نهايتها العليا.

وهنا يحضرني ما تفتحت به قريحة الشاعر الرائد مظفر النواب "أيام المْزبّن گظن ** دگظن يأيام اللّف" أي ذهبت أيام سيجارة المزبن فياريت تنتهي أيام لفّ السجاير وفي ذلك إشارة الى الواقع السياسي.

بائع التبغ التتنچي وبيده الساطور مع شريكه وتشاهد السجاير المزبن في الخزانات

حالة اجتماعية غير شائعة: يقال إن بعض التتنچية المتضلعين بمقالب السوق يحسنون التعامل مع الناس حسب درجة عقولهم ومستواهم الاجتماعي. فعند استلامه كيس التبغ المستورد يملأ العديد من أوعيته الزجاجية والخزفية والصفائح وغيرها ويوزعها في أماكن مختلفة من المحل. فهناك الوعاء على الرف قرب مدخل المحل، والأخرى في آخر المحل والثالثة تحت اليد بالقرب منه ورابعة بعيداً عن الأنظار. فحين يأتي المشتري يقدم له التبغ من الوعاء تحت اليد بسعر معتدل وإذا طلب نوعاً "أفضل" من التبغ قدم له الذي على الرف في مقدمة المحل أما إذا رغب في نوعية أرقى قدم له التبغ من الوعاء في آخر المحل. ويحتفظ بالتبغ في المكان المخفي عن الأنظار للأصدقاء والمقربين!! وفي واقع الحال فإن التبغ في كل الأوعية هو من نفس الكيس وهكذا فإن التلاعب بالثقة بالناس هو ديدن البعض وفي كل المجتمعات.

كيس التبغ الى اليمين علب التتن تحت اليد وتلك التي على الرف الى اليمين

السجاير اللّف: انتشرت في ذلك الزمن طريقة عمل السجاير باليد أو عملها في علبة خاصة بعتلة. فترى لدى كل مدخن علبة في جيبه فيها التبغ ومعه دفتر الـ "الرشيد" حيث يأخذ منه ورقة من أوراقه الخفيفة ويضع فيها التبغ ثم يلفها ويلصق جانبيها بتبليلها بلسانه ثم يبدأ بالتدخين.

علبة التبغ وعتلتها والورق والى اليسار دفتر الرشيد وطريقة عمل السيجارة

قدح السيجارة

يستعمل الثقاب (الشخاطة) أو الولاعة (الزناد، القداحة) لقدح السيجارة. يدخل في تكوين الزناد: البنزين والفتيلة القطن والحجر. يملأ مخزن الزناد بالبنزين، والحجر أسطواني الشكل بطول حوالي ثلاث مليمترات وبقطر مليمتر واحد. لهذا الحجر الخاصية بأن يقدح بمرور سطح خشن عليه مثل القرص المسنن الموجود داخل الزناد. عند إحداث الشرارة الكهربائية تشتعل نهاية الفتيلة المشبعة بالبنزين محدثاً شعلة صغيرة يولع منها المدخن سيجارته. عند إغلاق غطاء الزناد تنطفئ الشعلة. كذلك تستعمل لاشتعال نهاية السيجارة.

الثقاب

علبة فيها عود الثقاب يتكون رأس العود من مادة تحتوي على كلورات البوتاس. وعلى سطح جانبَي علبة الثقاب المؤدي إلى الاشتعال خليط من مركبات الفسفور والرمل. يشتعل العود باحتكاك العود مع ذلك السطح.

نوعين من القداحة والشخاطة علامة النجمة وجانب الشخاطة المغلف بالكبريت

امتلأ السوق العراقي بالسجاير العراقية منها: غازي، تركية، لوكس وغيرها. كذلك كانت هناك السجاير الاجنبية مثل كرافن، وينستون، كنت وغيرها.

اعلانات الدعاية لسيجارة غازي وتركية ولوكس

بعض السجاير الأجنبية

"ابو النفط" بائع النفط

من المعلوم أن هناك نوعين من النفط: النفط الابيض والنفط الاسود، فالأبيض أساس مصدر الطاقة في البيوت أما النفط الأسود الذي يكون سميك القوام أسود اللون. يستعمل عادة كوقود للحمامات والمسابك فهو أرخص ثمناً ولكنه يصدر دخاناً أسوداً كثيفاً.

كان النفط الأبيض يوزع معبأً في تنكات (علب صفيح التنك) والتي يمكن الحصول عليها من البانزين خانة العائدة للوجيه محمد رشاد عجينة الواقعة على حافة النهر شمال المدينة أو أن تحصل على النفط من بائع النفط المدعو ما شاء الله، الذي يحمل صفيحتين على أكتافه العريضة بنفس طريقة نقل الماء بالصفائح كما ذكر سابقا. أو ينقل النفط بصفائح على عربة يدفعها صاحبها بين الازقة ليبيعها للبيوت.

بائع صفائح النفط بين البيوت

بعد ذلك تطورت طريقة ايصال النفط بوساطة عربة تحمل خزان النفط يجرها حمار.

بائع النفط والتنكات التي يملأها للتوزيع

المضخة اليدوية المصنوعة من القصدير الى اليمين لتفريغ النفط والقنينة والقمع الى اليسار

الولّادة والقابلة

القابلة أو الجِدّه، أو "الحبّوبة" في اللهجة المحلية وهي السيدة التي تولد الحوامل. لم يكن من المتعارف عليه في طفولتنا ذهاب المرأة الحامل الى المستشفى للولادة. كانت الولادات جميعها تتم في البيوت وبإشراف الحبوبة. والحبوبة تكتسب خبرتها ممن كانت قبلها في تلك المهنة. بعد فترة وردت الى المدينة قابلة مأذونة تدربت تدريبا مهنياً في مؤسسات صحية رسمية.

الحارس الليلي (الوحّاش، چَرخچي)

يعمل الحارس الليلي موظفا لدى الحكومة المحلية. واجبه حراسة البيوت والمحلات من السراق والعابثين فهو يجوب الأزقة والطرقات في الليل حاملا بندقيته على كتفه ما يبعث الاطمئنان لدى الجميع. يوجد في المدينة

عدد من الحراس ولكل منهم منطقته الخاصة المناطة به ليحرسها طول الليل. يحمل الحارس معه كذلك صافرة يصفّر بها بنغمة طويلة ومتعاقبة للدلالة على أن المنطقة آمنة. يجيبه بصافرته الحارس القريب بنفس النغمة لطمنه بأن المنطقة الاخرى آمنة كذلك. أما إذا كان صوت الصافرة قصير ومتكرر يدل ذلك على اكتشاف شئ مريب تسمع بعده وقع أقدام الحارس السريعة لمعرفة ما يجري حول وجود أو عدم وجود دخيل في المحلة.

كان المعروف ان اللصوص لا يقوموا بالسطو على المنازل أو المحلات فرادا بل بمجاميع لا تقل عن اثنين. يجلس أحدهم الذي يسمى بالـ "الگعَيدة"، أي القاعد، بالقرب من مكان السرقة ليراقب ما حوله لينذر شريكه الذي اقتحم الدار للسرقة.

الزور خانة

شاهدت في طفولتي إحدى تلك الحلبات في النجف الأشرف وكنت مبهوراً بقوة الرياضيين المهولة وما كان يمكنهم من رفعه من أدوات الرياضة الثقيلة. كذلك بهرني عازف الطبلة وهو يضرب عليها وعلى أنغام أناشيده يلعب الرياضيون بنسق واحد مع ايقاع الموسيقى. علمت إن أرض الحفرة "الجُفرة" كانت طبقة من طين وتراب وتحتها طبقة من الشوك والعاقول.

عازف الطبل

اللاعبون وهم يرفعون زوجاً من "الميل" الخشبي الثقيل والحفرة التي يمارس فيها الرياضيون

الدراويش

أتذكر وأنا في مرحلة الدراسة الابتدائية وأثناء ترددنا على جامع النبي يونس شاهدنا عددا من الدراويش بلحى طويلة وملابس مهلهلة ويحملون بأيديهم كشكولا بيضويا.

الكشكول

صنع أحدهم مضرب "ركت" لعبة المنضدة التي أتقن صنعها بمهارة واشتريتها منه. لم نكن نعلم عنهم شيئا وعن سبب وجودهم هناك. لم يمكثوا طويلا في الجامع وتركوا المدينة. في الصورة التي وثقها المصور الخالد الذكر نوري الفلوجي للدراويش في الكوفة يشاهد أحدهم الجالس على اليمين لعله نفس الدرويش الذي صنع المضرب.

دراويش الكوفة في صورة من أرشيف المصور نوري الفلوجي

النداف

النداف هي مهنة تحويل القطن المعبأ في الأفرشة الذي تماسك بشدة الى قطن منفوش ما يجعل النوم مريحا على تلك الأفرشة. تتم عملية الندافة باستخدام الة خشبية ضخمه نسبيا ولها قبضة تدعى بالـ"جك"، والثانية هي "الكوز" الذي يشبه قوس الكمان يرتبط به الوتر ويبلغ طول الكوز المتر والنصف. جرت العادة أن الأفرشة واللحفان ترسل سنويا الى النداف ليندفها وبعضهم يأتي الى البيت ليقوم بذلك. تتم عملية الندافة.

النداف وآلة الكوز في الاعلى والجك في الاسفل

بعد الندافة خياطة اللحاف

الصفار

الصفار هو الذي يطوع صفائح معدن النحاس الى أدوات أهمها أدوات الطبخ كذلك أدوات أخرى مثل الصواني ودلات القهوة والاباريق وبعض أدوات الزينة. يقتصر عمل الصفارين في مدينتنا على أساسيات المهنة، ولكنه لا يوازي ما يصنعه الصفارين في سوق الصفافير في بغداد حيث الابداع الفني في الصناعة النحاسية الذي يتعدى الاساسيات. تطلى القدور النحاسية بمادة القصدير خصوصا في باطنها.

الصفار وإبداعاته

تحتاج كافة أواني النحاس الى "الإدامة" حيث يتغير لون النحاس الأصفر بعد الاستعمال الى لون أخضر الذي يدعى بالـ "زنجار" أي الصدأ، بسبب تأكسد النحاس وهذا يكون خطراً على الصحة. حينئذ تحتاج تلك الأواني الى "التبييض".

تبييض القدور النحاسية

ترسل الأواني التي تغير لونها كل عام أو عامين الى المبيضچي (الربّاظ)، الذي يبيض الأواني، ليطليها بمادة القصدير لتكسب لوناً فضياً. كنا نشاهد المبيضچي (الربّاظ) وهو يقف في داخل القدر وقد وضع فيه السبوس (قشور الرز) كي تساعد في~ التخلص من الزنجار. يتحرك ذلك الشخص يميناً وشمالاً وكأنه يقوم برقصة وهو في داخل القدر. تأخذ منه تلك الحال ساعة أو أكثر. عندما يطمئن على زوال الصدأ "الزنجار"

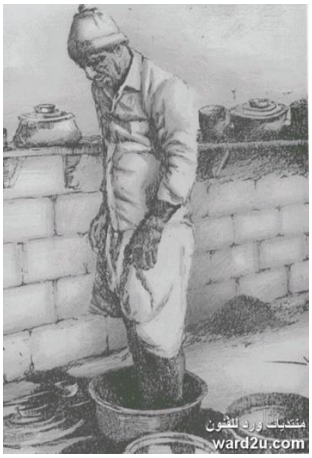

المبيضجي داخل الوعاء

مصلح البريمزات

كلمة البريمز أصلها انكليزي باسم مبتكرها (Primus) تستخدم بالطبخ بفعل النار التي تظهر من فوهتها حيث يملأ الخزان في قاعدتها بالنفط والذي يحوي على الجنب مكبسا يضغط الهواء في داخل الخزان ما يسبب اندفاع النفط الى الفوهة ليحترق.

البريمز والشعلة

تتعرض البريمزات الى عطلات مثل سد فوهاتها أو تلف في المكبس أو ثقب في خزانها. لكل تلك المشاكل هناك المتخصص بإصلاحها الذي يدعى مصلح البريمزانت.

مصلح البريمزات

الحداد

في الكوفة عدد من الحدادين يتمركزون في سوق يدعى سوق الحدادين. وحينما تسير فيه تسمع الطرقات غلى الحديد من كل جانب وترى النار لتطويع الحديد هنا وهناك. يتطلب عمل الحداد ناراً ملتهبة خلال عمله ولا يتحقق ذلك إلا أن تكون النار مستعرة كي يتمكن من ليّ الحديد ليصنع منه ما يريد. تستعر النار بفعل منفاخ يدوي ضخم في أعلاه عتلة يحركها شاب بحركة دائمة كي تمتص الهواء من الجو وتدفعه نحو النار.

منفاخ الحداد

الحديدة المحمّرة بالنار وفوقها المطرقة الضخمة

يجب على الحداد طرق قطعة الحديد المحمّرة والتي أصبحت لينة أن يطرقها بسرعة وهي حارة كي تأخذ الشكل الذي يروم قبل أن تبرد وتتصلب. من هنا جاء المثل القائل "اضرب حديداً حامياً لا خير فيه إن بَرد" ويقصد به أن تستبق الامور وتنجز ما تروم إنجازه بسرعة فاذا تأخرت وتقاعست فقدت فرصتك.

يتصف عمل الحداد بأن يكون وجهه ملطخاً باللون الأسود من الدخان المتصاعد من النار الموقدة. ومن هنا جاء المثل الشعبي القائل "مو كلمن صخّم وجهه صار حداد" أي ليس كل من اسود وجهه أصبح حداداً. أي ليس من الضرورة أن يدل المظهر على المخبر!!

يصنع الحداد من جملة ما يصنع المسمار الحدادي (المصنوع من الحديد) و"الچنگال" الحديد الذي يثبت أنابيب الماء. يصنع المسمار بإحماء قضيب حديد بطول حوالي الأربع انجات حتى يحمر ثم يدخله في ذلك القضيب

في فتحة صغيرة في سندان الحدادة الكبير ويطرق عليه بالمطرقة الضخمة حتى يأخذ شكل المسمار برأس عريض ونهاية مدببة. وتشابه تلك عملية صنع الچنكال.

الى اليمين المسمار الحدادي وچنكال أنابيب الماء الى اليسار السندان بثقوبه لعمل المسامير

يحضرني هنا المثل الشعبي "ضربني فلان ببسمار حدادي" والمقصود انتقدني بخبث! وكذلك المثل المعروف بمسمار جحا حينما باع بيته وأبقى مسماراً في أحد جدران البيت ملكاً له فكان يثقل على صاحب البيت بتكرر زياراته لتفقد المسمار.

صانع ادوات الزراعة وصيد السمك

تخصص البعض بحرفة صناعة أدوات الزراعة كالمنجل الذي يستخدم في حصد النباتات، الفأس، المسحاة وغيرها.

صناعة المنجل محل صناعة أدوات الزراعة

كذلك يصنعوا الآلة المعروفة بالـ "الفالة" لصيد السمك التي تكون من عمود خشبي طويل في نهايته قاعدة من الحديد لها تخرج منها خمسة رؤوس تنتهي بمثلث تمنع السمكة التي تقتنص من الإفلات.

الفالة والفأس والمنجل السماك والفالة والسمكة

التنكچي

تخصصت بعض المحلات بصناعة الأدوات من صفائح التنك يدعى صاحب تلك المهنة بالتنكچي. لتلك المحلات كان سوقا صغيرا باسم سوق التنكچية. يصنع التنكچي كافة أدوات البيت والمحلات من صفائح التنك.

بعض أدوات البيت المصنوعة من التنك الإناء والقمع ومضخة تفريغ النفط

تتركز عملية اللحيم باستخدام "الكاوية" التي هي ذراع خشبي في نهايته قطعة حديد ذات حافة طولية من جانب ومسطحة في الجانب الاخر. توضع الكاوية على مصدر حراري مثل البريمز ليحمر الرأس الحديدي المدبب وتوضع في أعلى قطعة من الصخر فيها حفرة على جانبها توضع فيها قطع من الرصاص الذي يذوب عند تماسه برأس الكاوية المحمرة. تلتصق قطرات من الرصاص المذاب على النهاية ذات الحافة الحادة وتستخدم للحم قطع صفائح التنك لعمل الأدوات المطلوبة.

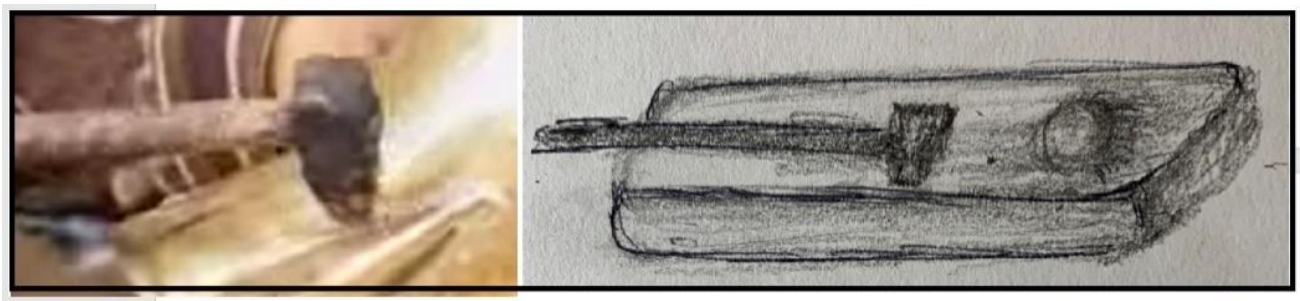

الجفنة الصخرية وفيها حفرة الرصاص وعليها الكاوية والى اليمين الكاوية أثناء اللحيم

الحائك

كانت النساء تغزل الصوف يدويا في البيوت. بعد تكون الخيوط تبدأ الحياكة لصنع الملابس الشتوية للعائلة.

تنظيف الصوف بالمغزل وآلة التمشيط لتفكيك أليافه ثم الغزل والحياكة على اليمين

أما الحياكة كمهنة فهي من المهن المعروفة في تلك الحقبة وكان عليها الاعتماد في حياكة عباءة الرجال والسجاد وغيرها. يجلس الحائك أمام آلة الحياكة التي تتوزع عليها الخيوط الطولية ا"للحمة" موزعة على منوالين. يحرك الحائك عتلة بقدمه لينقذف "المكوك" الذي يحمل الخيوط لينفذ بين منوالي اللحمة من اليمين الى الشمال وبالعكس ليكوّن "السدى أو السِدة" أي الخيوط العرضية. تستمر تلك الحركات الى أن يتم انتاج قطعة القماش. هناك مثل يطلق على الشخص المشغول جدا وليس له وقت للراحة فيوصف بأنه "مثل مكوك الحايك رايح جاي"

الحائك أثناء عمله

القندرچي والنعلچي والرگّاع

كانت أحذيتنا تصنع على يد صانع الأحذية إذ لم تكن هناك أحذية جاهزة بوفرة. صنعت الأحذية من جلد البقر الطبيعي. تعددت الموديلات بألوانها موحدة الى أحذية مطعمة بأكثر من لون. تفنن صانع الاحذية بإضافة حدوة الفرس التي تثبت في مؤخرة الحذاء ما يؤخر تلفها والأهم أنها تحدث صوتاً مسموعاً حين السير. إذا كان لون الحذاء مائلا للصفرة يحتاج الى قيطان وعند عدم توفره ينقع القيطان الابيض بمحلول الشاي ليكسب اللون المطلوب.

القندرچي في محل عمله

أما مهنة **النعلچي** فهي صناعة أنواع أخرى من الأحذية، خاصة النعال، وموادها الاولية قطع من تايرات (عجلات) السيارات يضاف لها قطع من جلد الحيوانات الجلد. يصنع النعال من التاير ويلصق بها قطعة صغيرة في نهاية النعال الخلفية كي ترفع الكاحل قليلاً. تثبت تلك القطعة وقطعة الجلد الذي تدخل فيه القدم بمسامير حديدية صغيرة. لمسك القدم على النعال توضع قطعة من الجلد في الاعلى. من أصحاب المهنة صاحب النعلچي ومكي النعلچي.

نعال التاير وقد تفنن النعلچي بقطعة الجلد!

ثم **الركّاع** الذي كان عمله مختص بإصلاح الأحذية ومنها النعل التاير. فبسبب كثرة الاوساخ والملح في الأرض يتصلب النعال ويلتوي وتنقلع منه قطعة الجلد أو الكعب. عند ذلك ينقع الركّاع النعال والكعب المخلوع في نجانة مملؤة بالماء كي تلين ليتمكن من إصلاحها.

لا ينسى في هذا المجال الملا عبود الكرخي وقصيدته الشهيرة قيّم الركّاع من ديرة **عفـج"**، حيث كان يدّعى بأن سكان مدينة عفك في جنوب العراق كانوا حفاة فليس له رزق فيها. يضرب المثل على من يتوقع مردوداً حسناً من شخص أو مؤسسة غير معنيين بما يروم.

الروّاف

لقلة ما في اليد فقد كان الناس يحاولوا أن يصلحوا الملابس والسجاد عند المصلّح (الرواف) عند تلف جزء منها. يعمل الرواف على إعادة قطعة الملابس أو السجاد الى ما كانت عليه باستخدام خيوط متناسقة تتلاءم مع لونها, أو يجلب "رقعة" من حافة الملابس غير الظاهرة للعيان ليرتق بها الخرق. وهنا يرد المثل الشعبي الشائع "الركّعة زغيرة والشگ چبير"أو" اتسّع الفتقُ على الراقعِ" حينما يصعب على حل المشاكل وللمثل كذلك مدلول سياسي حينما يفقد الامل بالإصلاح!!

رواف الملابس ورواف السجاد

حداد (چراخ) سكاكين

يزور حداد السكاكين المحلات والازقة مرة كل شهر أو أكثر مناديا: حداد سكاكين. تلتمسه سيدة البيت ليقف عند باب بيتها لتسلمه سكين أو أكثر ليسنّها بماكنته. تتكون تلك الماكنة من عجلة كبيرة بين أعمدة خشبية مستقرة على الأرض. يحرك بقدمه تلك العجلة التي تحرك بدورها عجلة صغيرة مصنوعة من صخرة البازلت أو الحجر البركاني الخشنة السطح. عند دوران حجر البازلت يقرب منه حافة السكين لسنه وإعادته لست البيت.

حداد السكاكين

خياط فرفوري

كثيراً ما كنا نسمع صوتاً يصدح في زقاقنا صائحاً "خياط فرفوري" ويكررها عدة مرات. تخرج النساء اللواتي لديهن أواني خزفية (فرفوري) مكسورة لذلك المنادي.

يجلس الخياط على الأرض بجنب البيت ويخرج عدته التي تشمل المزرف اليدوي الذي هو قوس خشبي وفيه خيط مرتبط بنهايتيه متدلٍ بحيث يمكن أن يلفه حول المزرف ليدور عند تحريك القوس يميناً وشمالاً. كذلك لديه اسلاك حديد رفيعة وأشرطة معدنية رقيقة ومعجون يحضره في تلك الجلسة متكون من النورة وصفار البيض! يثقب الخياط الجزء المكسور من قطعة الخزف ويقابله ثقب في الجهة المقابلة ثم يدخل في الثقبين السلك المعدني

ويثبته ويسد الثقوب بالمعجون. أما في حالة القوري المكسور فيضع سلكين دائريين واحد عند فوهة القوري والأخرى في قاعدته ويربط السلكين بالأشرطة المعدنية الرقيقة موزعة على محيط القوري ويعاملها بالمعجون!

ذكر لي المؤرخ الاستاذ التراثي علي الموسوي أن كلمة "فرفوري" جاءت نسبة الى شخص لبناني اسمه فاخوري وهو الذي جلب هذا النوع من الأواني الى العراق. وسهل العراقيون لفظه فتغير فاخوري الى فرفوري!!

خياط الفرفوري يظهر قوسه لثقب الخزف في الصورة الى اليسار والأشرطة المعدنية حول القوري الى اليمين

العطار

هناك محلات العطارة في المدينة التي تباع فيها أنواع الاعشاب وهي تقوم مقام الصيدلية. سأتحدث عن شيخ العطارين في المدينة الحاج محمد حسين العطار لاحقا.

يقول المثل الشائع وهو جزء من قصيدة معروفة: "وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ"! حينما لسيء الامور الى درجة لا يمكن اصلاحها.

النجار

كانت صنعة النجارة تعتمد على أدوات محدودة مثل الفأس، والمطرقة، والمنشار اليدوي، والازميل (الشفرة)، والرندة (التي تصفي سطح الخشبة) والمخرطة. والمخرطة هي قضيب خشبي مقوس بطول قدمين تقريبا ويشبه في شكله قوس آلة الكمان. يلف على قطعة الخشب خيطا سميكا متدليا من نهايتيه ويلف وسط الخيط المتدلي

بعدة لفات حول منتصف قطعة الخشب الأسطوانية المراد العمل فيها. تثبت نهايتيها من الجانبين تنغرس في منتصف قرصين في على جانبيها ما يعطي قطعة الخشب حرية الحركة الدائرية حول نفسها. وبسحب ودفع القضيب المتصل بالخيط الملتف حول الخشبة وبسرعة فائقة تدور قطعة الخشب حول نفسها بسرعة كبيرة وهنا يضع النجار الاته المدببة ملامسة للخشبة ويضغط عليها بلطف بحيث يحفر الخشبة تدريجيا كي يصنع منها ما يشاء. تطورت المخرطة بعد ذلك الى تلك التي تدار بالقدم وبعد سنين دخلت التي تدار بالقوة الكهربائية.

المخرطة التي تدار باليد وتلك التي تدار بالقدم

اقتصرت النجارة على المنتجات الخشبية الاساسية التي يحتاج اليها البيت من الاثاث كسرير المنام، والدولاب، وصندوق الملابس، والتختة، والكراسي البسيطة، إضافة الى ما يحتاج اليه الفلاح في عمله الزراعي من محاريث. أما النجار المتفنن فكان يعمل واجهات الغرف المزخرفة والشناشيل ذات النقوش الفنية.

كان في المدينة آنذاك بعض النجارين المحترفين بصناعة الزوارق (البلم) وآخرين بصناعة السفن. كان موقع مشغلهم على شاطئ النهر.

يتردد المثل المعروف "نـَجّار وبابه مَكسورة (أو مخلوعة)". يضرب هذا المثل عن الشخص الذي ينصح الآخرين بنصيحة لم يلتزم هو بها.

صناعات من سعف النخيل والقصب

تصنع أنواع الصناعات من سويق سعف النخيلة التي تدعى محلياً بالـ "جِـرّيد" وكذلك من وريقات السعف الذي يدعى بالـ "الخوص".

السعفة بسويقها (الجريد) في الوسط وينبع منه على الجانبين الخوص

يعمل من الجريد الكراسي، المصطبة، مهد الرضيع، أقفاص الطيور الصغيرة والكبيرة مثل البلبل والدجاج أو مجموعة من الطيور وغيرها.

قفص الطير الصغير مثل البلبل والطير الأكبر ومجموعة طيور الحمام

الاقفاص والمهد والتخت

أما الخوص فتصنع منه المكنسة الصغيرة البيتية والمكنسة الكبيرة التي تستخدم لكنس الشوارع، والزنبيل وسفرة المائدة وغيرها.

مكنسة البيت مكنسة الشارع

الزنبيل سفرة الطعام

الحصير: يصنع الحصير (البارية) من قصب الاهوار بعد معاملته لتليينه وتقطيعه طولياً. تكثر تلك الصناعة في الجنوب حيث تكثر زراعة القصب. تتلاءم البارية مع الجو الحار في العراق حيث تكون عازلة للحرارة وهي مريحة عند الجلوس عليها لنعومة سطحها. تفرش في داخل البيت وفي السطوح. يستخدم الحصير في بناء سقوف البيوت المصنوعة من القصب.

كانت العدّادة ترثي زوجها "الخبير" صانع البارية

يابومطنشة ويابو مطنش يسففاف البواري الماتخرنش

يبدو إن أسماء أولاده مطنش ومطنشة، وتصفه لأنه يصنع البواري التي لا ينفذ منها ماء المطر!

البارية "الحصير" عند وبعد إكمال صناعتها ومن ثم خزنها

نقل البواري من محل صناعتها الى مدن أخرى

رعاية الاطفال

القماط

كان المتعارف عليه في تلك الفترة هو ربط أطراف الطفل الأربعة بقطعة قماش مصنوعة محليا لهذا الغرض. يلف الطفل بقطعة القماش هذا وتثبت بحزام مصنوع من القماش من أعلى جسمه وحتى القدمين. وبذا يسهل حمل الطفل من مكان لآخر. ثبت أن القماط يعيق حركته ويبطئ نموه الجسدي واستجابته وحركته وتفاعله مع محيطه الخارجي.

القماط

الفطام

يستمر بعض الاطفال بالالتصاق بثدي الأم بعد الوقت المعلوم ان الفطام ما يؤثر سلبا على تغذية الطفل وعلى راحة الأم. لذلك تقوم الأم باستخدام مادة الصبر التي هي خليط متجانس من الزيوت الطيارة والصمغ والمواد الراتنجية التي تفرزها أغصان أشجار الكوميفورا وتُستخرج منها مادة الصبر عن طريق إحداث جروح في ساق الشجرة الذي يكون مرّ الطعم. تباع هذه المادة عند العطارين في المدينة. تدهن منطقة حلمة الثدي من الخارج وحينما يتقدم الطفل ليرضع منه ينفر منه بسبب المرارة. وبذا يمكن أن يتحقق الفطام.

مص الاصابع

يستمر بعض الاطفال على عادة مص الاصابع حتى في عمر السنتين أو الثلاثة. يؤثر ذلك على كمال نمو الاسنان والفكين. لمنع الطفل من هذه العادة بعد فشل محاولات بطرق أولية تستخدم مادة الصبر فتلطخ أطراف أصابع الطفل وعندما يمص الطفل إصبعه لن يستسيغ كذلك الطعم ما يجبره على تركها.

طفلة تمص اصبعها

ماء الغريب

ماء الغريب علاج عشبي على هيئة سائل تنتجه شركات مختلفة في كل دول العالم تحتوي على مزيج من الأعشاب المختلفة مثل الزنجبيل والبابونج وعرق السوس والقرفة. فوائد ماء غريب للرضع تعين الأعشاب الموجودة في ماء غريب على الهضم لذا يساعد في علاج المغص الناجم عن الغازات وكذلك للمساعدة على النوم.

قنبنة ماء الغريب

الترياك

يعتبر الترياك من المواد المخدرة والتي كانت غير ممنوعة في العراق وتباع في محلات العطارة. كان يحذر العطار أن يصرح بخزنه ويبيعه لمن يعرفهم. يكون على شكل أسطواني يشبه السيجارة فيقطع منه قطعة

صغيرة كروية بحجم المليمتر. كانت تعطى كمية قليلة منه للطفل الذي يبكي كثيرا ولا ينام في الليل. أتضعه الام مع حليب الرضاعة. تحقق تلك الجرعة نوما عميقا هادئا للطفل وللأهل.

الحفاظات (الحضينة)

يحتاج الطفل من ساعة ولادته وحتى عمر أرع أو خمس سنوات في بعض الحالات، الى استعمال الاقمشة التي يلف بها مؤخرة الطفل لمنع تسب الادرار والبراز الى الفراش. كانت الحفاظات قطع من القماش القطني التي تستعمل لمرات عديدة بعد تنظيفها وغسلها. والتي يمكن ان تسبب حساسية جلد سيقان الطفل في حالات كثيرة.

الكاروك (المهد)

ينام الطفل في الكاروك المصنوع من الخشب والذي يهتز ما يساعد الطفل على النوم. أحيانا تربط الام جانب الكاروك بقطعة من الحبل ليمكنها هز الكاروك وهي مستلقية في فراشها.

.

الكاروك الخشبي

بطل (قنينة) الحليب

تستعمل قناني الحليب الزجاجية بنوعين: ذات الفتحة الواحدة، والأخرى ذات الفتحتين. لعل تلك بالفتحتين صنعت لتسهيل تنظيفها. تنتهي فوهة القنينة بمصاصة مثقوبة، وفي حال القنينة بفتحتين تغلق الفتحة الثانية بمصاصة غير مثقوبة.

قنينة الحليب بفتحة واحدة قنينة الحليب بفتحتين

حليب الرضاعة

اعتُمد حليب الام كمصدر أساس لتغذية الرضيع. عند عدم كفاية حليب الام يستنجد بمن ترضع طفل لها في تلك الفترة من الجيران أو المعارف لتساعد في الإرضاع. علمت بأن ذلك حدث معي حيث كان الأهل يأخذوني الى الجيران مقابل بيتنا حيث يسكن طبيب المدينة وكانت زوجته ترضع ابنتهما "رباب" ويبدو أن حليبها كان غزيراً. أما في حال عدم توفر من يساعد الام المرضع الشحيح حليبها فهناك حليب البقر.

الحجلة

يود الاهل أن يبدأ طفلهم بالمشي مبكرا، مع انه من الطبيعي تفاوت بداية المشي عند الاطفال الطبيعيين. فإذا اعتقد الاهل ان الطفل تأخر فسيستخدمون الحجلة لمساعدته على "تعلّم" المشي بسرعة! تتكون الحجلة من ثلاثة قطع من الخشب مثبتة على قاعدة من قطعتين خشبيتين بثلاث عجلات خشبية صغيرة وفي الاعلى قطعة خشب صغيرة مستعرضة يستند عليه الطفل بيديه.

الحجلة الخشبية والطفل "يتعلم" المشي باستخدامها

الخرخاشة

لم يكن للطفل الرضيع ما يتسلى به غير أنواع محدودة من الخرخاشات المصنوعة من مواد بسيطة أو من النايلون ومنها ما في الصورة وهي كرة بمقبض في داخلها قطع صغيرة تحدث صوتاً عند تحريكها تعمل على لفت انتباه الطفل بصوتها ويهدئ الطفل عند البكاء.

الخرخاشة

ألعاب الاطفال

"مدرسة الزقاق"

في مدينة الكوفة كما في غالبية مدن العراق كانت الأزقة والطرقات في ذلك الوقت "مدرسة" اخرى للتربية تضاف الى المدرسة البيتية والمدرسة الرسمية. كانت مدرسة الزقاق تحت رقابة الاهل والتي كان الأطفال الكبار يعلمون الصغار ما تعلموا من أحاديث وقيم بيتية ويحكون لبعضهم القصص والنوادر.

كنا نجتمع مساءً حول قاعدة عمود كهرباء حديدي في محلتنا ونفترش الارض, مجتمعين حوله. كنا نجتمع مساء كل يوم تقريبا غير بعيدين عن رعاية وعيون الاهل. وكانت مجموعتنا الذين أتذكرهم تتكون من عبد الحسين عيدان دعيبل، وأخيه جواد، عبد الاله الحاج طاهر، صادق السيد جعفر الضعيّف، حسون مجيد كرضا، علي حسين فتح الله، رؤوف عبد الله، مؤيد السيد صادق مغازة، عدنان خندة علي، عدنان عبد علي دعيبل، جواد الشامي، جواد محسن الصباغ وهناك شاب آخر كان يكنى دعدوش ولا أتذكر اسمه الحقيقي وآخرين.

كنا نتسامر ونلعب العابا مسلية قسم منها هادف ويحذق الاذهان والمثال على ذلك المطاردة الشعرية وبعضها للتسلية والرياضة.

عمود الكهرباء في شارعنا في الكوفة

فمثلا من الحكايات التي لازالت تعلق في ذاكرتي قصة حكاها لنا صادق جعفر بن السيد جعفر الضعّيف وكان يكبرني بسنتين. تقول القصة إن هناك بائع لبن يتجول بزورقه ليبيع اللبن على الناس على ضفاف النهر وكان له قرد تدرب على مساعدته. كان القرد يرى أن سيده يخلط اللبن بالماء وحصل بذلك على عائد أكثر من الاعتيادي. وفي نهاية النهار خطف القرد النقود وتسلق سارية الزورق وبدأ يرمي قطع النقود تباعا؛ واحدة الى داخل الزورق والاخرى في النهر وهو يضمر في داخله "مال اللبن للبن ومال الماء للماء". فلقد عاقب القرد صاحبه على ما غش به الناس!! وهناك صور أخرى لتلك القصة يتداولها الناس.

مال اللبن للبن ومال الماء للماء

ومجمل القول ان الطفولة لدى جيلنا كانت تعطي مرحلتها حقها ويرى الطفل أنه أخذ ماله وما عليه من تلك المرحلة لمحدودية طموحاتنا وقدرة الاهل والمجتمع على تحقيقها. كانت تلك الحياة الاجتماعية متماثلة في تلك

الحقبة من الزمن في كافة مدن العراق مع بعض الفروق البسيطة بأسلوب اللهو وقضاء الوقت البريء. كانت الالعاب بريئة ومسلية وكانت المحبة تسود الجميع. أسرد نا الألعاب التي كنا نقوم

لعبة المرصع (المصرع)

المرصع والخيط ملتف عليه وهو يقذف والمرصع المثقوب "أبو الونّه"

يصنع المرصع من الخشب محليا، حيث يأخذ النجار عودا من الخشب بقطر الانج والنصف ويصنع منه ا شكلا مخروطيا بقاعدة مساحة قطر حوالي الانج أو أكثر ومن الجانب الآخر تكون النهاية مدببة وهذه المرحلة الأولى لصناعة المرصع. ثم يثبت في النهاية المدببة مسمار صنعه الحداد بطول ثلث الانج وبرأس ضخم ونهاية مدببة. وأحيانا يعمل بعض "الديكور" في سطحه العريض. أو يثقب في جانبه ثقوبا عميقة كي يصدر المرصع صفيرا خلال دورانه السريع أثناء اللعب ويسمى "ابو الونّه أو الناعور" لما يحدثه من صوت أثناء الدوران.

وتتم اللعبة باستخدام خيط متين نسبيا وبطول عدة أقدام يلف بانتظام حول المرصع ابتداءا من المسمار صعودا إلى النهاية العريضة على أن تكون لفات الخيط متجاورة بدون ترك مسافة بينها وان لا تتجاوز إحداها على اللفة بجنبها. ومن ثم يمسك اللاعب بنهاية الخيط السائبة بأحكام ويرمي المرصع على الأرض برمية قوسية ماسكا الخيط وتاركا المرصع لوحده. وهنا سيدور المرصع بسرعة كبيرة محدثا صفيرا تتغير شدته اعتمادا على وجود الثقوب الجانبية وحجمها. وهنا تبدأ المباراة بين اللاعبين بفترة بقاء المرصع دائرا وهذا يعتمد على قوة عضلات اللاعب. ويمكن أن يصطدم مرصعا بآخر اعتمادا على حجم المرصع.

ومنه المثل الدارج "خّلاه يفتّر مثل المرصع او المصرع" أي جعله يدور مثل المرصع. يقال عندما يصفع أحدهم ويكون قوي البنية صفعة على خد شخص ضعيف فيجعله يدور على نفسه من شدة الضربة كالمرصع. وحينما يحاول أن يجد الشخص مكانا لا يعرف عنوانه بالضبط فيروح ويجيء عبثاً أو يفشل في الخروج من مأزق بالنتيجة يكون: "أخذ يفتّر مثل المرصع".

لعبة الچعاب (الكعاب)

لعبة الكعاب (الچعاب) من اللعب المحببة وفيها الكثير من الفن والمنافسة. والكعب عظم من مفصل ساق الخروف.

يسمى السطح الأول من اليمين طاي، والثاني ألِچ والثالث نُگـرة والرابع سطح

يؤخذ العظم طريا ويترك في الهواء كي يجف تماماً بعد ايام او يشترى من اصحاب الشأن! والكعاب متشابهة في الشكل والحجم والوزن. وتقتضي اللعبة وجود عدد منها قد يبلغ العشرة، ولكن سيد الكعاب يدعى "الصول". والصول هذا هو واحد من تلك الكعاب ولكن يثقب بالدرنفيس (المفك) في وسطه ويحفر داخله فتتكون فجوة تشبه الكهف. تذاب كمية من الرصاص وتصب داخل تلك الفجوة. وعند إكمال العملية يكون هذا الكعب ثقيلا بطبيعة الحال ويستحق ان يسمو على الكعاب الاخرى! ويجب على كل لاعب ان يقتني الصول بالإضافة الى الكعاب الاخرى والتي يوضع على كل منها بلون او علامة خاصة بذلك اللاعب كي لا تختلط مع ما للأخرين. تتم اللعبة برسم دائرة على الارض بقطر قدم واحد وبوسطها خط مستعرض وعلى مسافة عدة أقدام من الدائرة يرسم خطان على جانبي الدائرة. يضع كل لاعب كعبا واحدا او اكثر تبعا لعدد اللاعبين على الخط منتصبة في منتصف الدائرة. ويتبارى اللاعبين بالتعاقب بتهديف الصول على الكعاب والهدف ان يخرجها من الدائرة بضربة الصول. والفائز هو من يتخلص من أكير عدد من الچعاب في الدائرة.

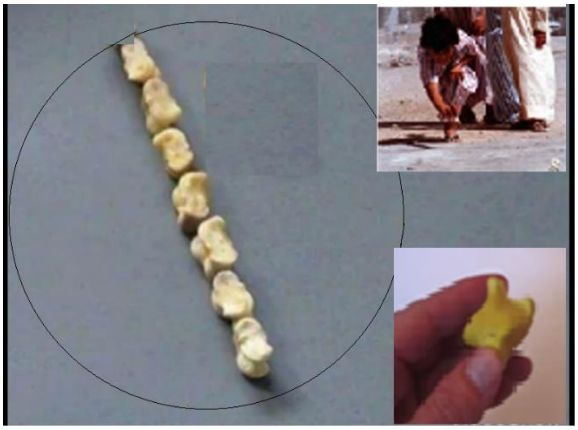

الچعاب والخطة

هناك المثل القائل "مضيّع صول چعابة" واضح المعنى من تفاصيل اللعبة. فالذي ضيع صول كعابه هو ذلك الشخص الذي لا يدري ما يفيده وما يضره.

وهناك مثل آخر له علاقة باللعبة ويضرب للشخص الذي يتجاوز الصعاب وينجو منها بأعجوبة "شلون ما تشمرة يوگف ألِچ" إشارة للچعب الذي ينتصب على جانبه الألِچ بأي طريقة ترميه! كما في الصورة السابقة.

اللعب بالكرة

أخذت الكرة بكافة أنواعها وقتا كبيرا من وقت اللعب بالازقة. فقد لعبنا كرة القدم والهدف كان حجارتين في جانبي "الساحة" للدلالة على الهدف.

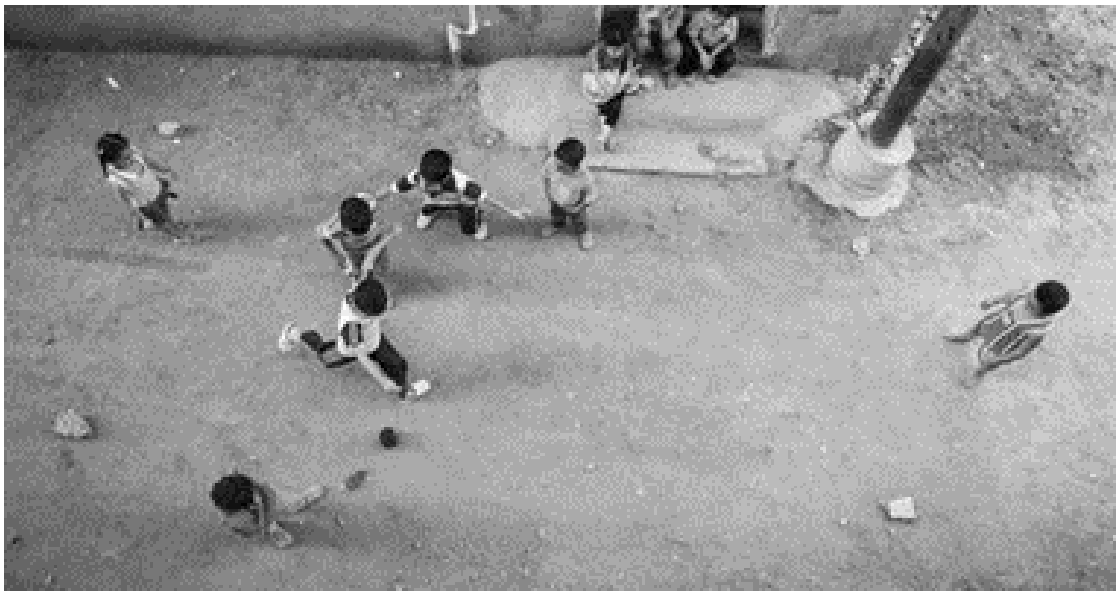

كرة القدم ويشاهد الحارسين ما بين حجارتي الهدفين

أما السلة فكان الهدف شباك أحد الجيران الذي كان مشرفا على الزقاق بصورة مستعرضة. وكانت شبكة الكرة الطائرة حبلا يثبت بين جداري الزقاق! مع كل تلك البساطة استمتعنا بتلك الألعاب الرياضية تحت إشراف الحكَم الذي يطيعه الجميع!

لعبة الدعبل

الدعبل بالحجم الاعتيادي والتي بالحجم الكبير

الدعبل كرات زجاجية بقطر النصف انج او اكثر او اقل بقليل تكون ملونة بكاملها او يكون داخلها ألوان وأشكال جذابة. يلعب الصبيان هذه اللعبة باقتناء عدد من الدعابل يضع الاول دعبلته في موقع على الارض ويضع الاخر دعبلته على مسافة منها ويحاول الاول بتهديفها نحو الاخرى وذلك بوضع أصبع الوسطى تحت الابهام وبحركة الوسطى العنيفة يرتطم الأصبع بالدعبلة وتنطلق بسرعة فائقة.

اصبع الوسطى تحت الابهام

وإذا اخطأت الهدف يأتي دور صاحب الثانية ليهدف نحو الاولى. وآذا أصاب الهدف تكون تلك الدعبلة من حصته ويضيفها لما عنده. ٠وهكذا تستمر اللعبة حتى الفوز النهائي. أو توضع عددا من الدعابل على خط مستقيم في دائرة والذي يتمكن من إخراج أكبر عدد منها من الدائرة يكون الرابح.

الدعابل على خط داخل الدائرة

والمثل القائل " قابل هو لعب دعبل" يعني ان العمل المقصود بالحديث اصعب مما يعتقده السامع.

لعبة السيفون

من الالعاب البسيطة والمتوفرة بسهولة اللعب بالسيفون. السيفونه هي الغطاء المعدني لقنينة المرطبات في ذلك الزمن. تملأ بعضها بالقير الاسود كي يثقل وزنها.

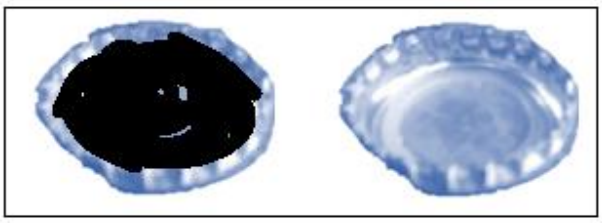

السيفونة والتي ملئت بالقير

يحاول كل من اللاعبين ضرب سيفونته بالقير بقوة بأصبعه الاوسط وهي على الارض لتصطدم بسيفونة اللاعب الاخر وتحركها لمسافة يربح من تكون مسافته الأبعد.

حرامية وحاحيش (الخِتّيله)

الحرامية هم السراق والوحاحيش هم حراس الليل ومفردها وحّاش والمقصود به الذي يطرد الوحشة والخوف بتواجده. واللعبة تتم بتقسيم الموجود من الأطفال الى مجموعتين؛ الحرامية والوحاحيش. يغمض الوحاحيش عيونهم كي لا يتابع الوحاحيش حين ينطلق الحرامية الى أماكن اختبائهم حيث يختبئون في أماكن يعتقدوا ان الوحاحيش لن يجدوهم فيها. يجب على الوحاحيش اكتشاف مكان اختبائهم. ثم يتبادل الطرفان ويقوم أفراد المجموعة الثانية بما قامت به الاولى وهكذا.

الطفل (الوحّاش) الذي سيحاول معرفة مكان الفريق المختفي

واللعبة مسلية وفيها يبرز من له القدرة على التمويه حيث يكون احيانا على بعد أقدام فقط من الوحاش ولا يتمكن هذا من معرفة مكانه او ان يأخذ وضعا معين كان يلتصق بالجدار بدون حركة ويكتم تنفسه حيث يصعب على الوحاش تقدير ذلك في الظلام.

محلقو "التوكي"

والمحلقو لعبة شائعة في العراق واسمها "التوكي" في غالبية المدن العراقية فلماذا هي محلقو في الكوفة؟؟؟ يرمى حجر صغير على مربع رقم واحد ويقفز اللاعب على المربعات التي لا يوجد الحجر فيها بقدم واحد فقط والا يعتبر خاسرا. يقفز بقدم واحدة المربعات الفردية وفي المربعات الزوجية بقدمين واذا نجح بالمربع الاول يرمي الحجر على المربع الثاني ويقوم بنفس طريقة القفز وهكذا لبقية المربعات.

المحلقو (التوكي)

الخُرَيْسة

تأتي كلمة خريسة من الخَرَس اي البكم وهي ما تدل عليه اللعبة.

تعتمد هذه اللعبة الجميلة على تأليف وإخراج آني لمادة فنية بدائية وتمثيلها بصمت تام. وما رأيناه في التلفاز في البرنامج المصري "من غير كلام" الذي يعبر الشخص فيه عن شيء بإشارات وايحاءات يجب على اقرانه معرفة قصده منها. ينقسم الأطفال الى مجموعتين تقدم الاولى العمل الفني والثانية عليها ان تكتشف ألغاز التمثيل وتفسر التمثيلية. تبدأ بأن ينعزل الفريق الاول ويبتعد عن الحلبة ويقوم الفريق الاخر بتوزيع الادوار لتلك التمثيلية. يعلن المسؤول بكلمة ابدأ ليبدأ التمثيل. ترى احدهم واقفاً رافعا احدى يديه الى اعلى مع ثني الكف الى أسفل فهو عمود كهرباء والآخر يسير على أربعة فهو فرس او بعير والثالث يحرك يديه حيث انه يطير طائرته الورقية او يعمل حركة فتح الباب او الطبخ وهكذا.

الممثل المصري المعروف يونس شلبي في برنامج "من غير كلام"

يسجل الفريق الرابح نقطة عندما يفسر ما قدمه الفريق الاخر. ويخسر الريق نقطة عندما يفشل في التفسير. ويتناوب الفريقان الى ان ينتهي ما لديهم من أفكار في حينها او يسمع المنادي من بيوتنا قائلا تعالوا الى العشاء

فينفض الجمع وكل يذهب الى داره. وكانت هذه اللعبة وسيلة تعليمية لخلق الأفكار وتقوية الثقة بالنفس والمتعة المثمرة.

العربة البسيطة

تصنع محليا عربة بسيطة من الخشب تسير على العجلات الحديدية التي في داخلها كرات حديدية (بولبرين) تؤخذ من مصلحي السيارات والمكائن القديمة. يسحبها أحد الاطفال أو يدفعها من الخلف طفل قوي البنية.

العربة الخشبية وعجلاتها البولبرين

اللعب بالدواليب

لقلة وجود من وسائل التسلية فقد توجه الاطفال الى ما كان متوفر. بداية كنا نلهو بحافتي برميل النفط العليا والسفلى والتي يقتطعها التنكجي بعد استخدامه الصفيح لعمل بعض الادوات. نستعمل الحافات الدائرية بدفعها على الارض لتدور ونلحق بها.

برميل النفط والحافة العليا التي تقتطع ويصنع منها لعبة للأطفال

استمتعنا كذلك باللعب بعجلة الدراجة الهوائية وعجلة السيارة القديمتين. تنتزع بقيد الجزء المطاطي من عجلة الدراجة فيظهر المعدن وفيه الاخدود الدائري ليضع فيه الطفل قضيبا معدنيا يدحرج العجلة أمامه. أما في حالة عجلة السيارة فتفرغ من الجزء المطاطي الداخلي ويدفعها الطفل أمامه. وهناك مسابقات تنافسية بين الاطفال.

عجلتي الدراجة الهوائية والسيارة

لعبة الجذع (الجدع)

هي لعبة بدائية محلية يستخدم فيها جذع نخلة يثبت من منتصفه على مرتفع أو على قطعة من جدع نخلة أخرى يجلس طفلان على نهايتيه ويستمتعوا بالتأرجح الى أعلى وأسفل.

لعبة الجذع

لعبة خمس حجارات

تبدو هذه لعبة سهلة، ولكنها ليست كذلك. نختار فيها خمس قطع صخرية صغيرة خشنة السطح وليس حصوات. تكون المنافسة بوضع الحجرات الخمس على ظهر كف اليد وتقذف بهدوء الى أعلى والشاطر الذي يتلقى

الحجرات الهابطة باستقرارها وبقاءها على سطح ظهر يده. في الغالب تبقى حجرة أو اثنين أو انها جميعا تسقط على الارض. الرابح من يتمكن من استقرار العدد الاكبر من تلك الخمس حجرات على ظهر يده.

خمس حجارات

لعبة الحِنْجيلة

تعتمد هذه اللعبة على قوة العضلات والتوازن والتحمل. ينقسم الاطفال الى مجموعتين وينزلوا الى ساحة اللعب وكل مشترك يرفع أحد ساقيه الى اعلى ماسكا بالإصبع الأكبر لتلك القدم بأصابع يده في الجانب المعاكس خلف الجسم. ولكل لاعب الخيار في ان يرفع الساق اليسرى او اليمنى. يواجه الفريقين بعضهما ويبرز الشاطر من الفريق الاول ليواجه مثيله من الفريق الاخر ثم يتوالى أعضاء الفريقين في الصراع. الهدف هو ان يحاول كل فرد من الفريق الاول ان يسقط أرضا اي فرد من الفريق الثاني او يجبره على الوقوف على ساقين وفي الحالتين يخرج من اللعبة. والفريق الفائز يكون من يبقى الى اخر اللعبة على ساق واحدة.

الحنجيلة لم تقتصر على الاولاد بل استمتعت بها البنات كذلك

"الوغواغة"

هذه لعبة لا تتوفر بكثرة وتعتبر "تَرَفاً" وهي مصنوعة من الخشب كما في الصورة. يمسك الطفل بالمقبض ويديرها بحركة دائرية بقوة فتحدث صوتاً متميزاً عندما تحرك العجلة المسننة الصغيرة بقطعة خشب دقيقة. ويتبارى الاطفال الذين لديهم الوغواغة بإحداث الصوت الأعلى!!

الوغاغة

الطيارات الورقية

كنا نلعب بالطيارات الورقية التي نصنعها بأيدينا من عودين رقيقين من سعف النخيل (الطوگ والمدَّة) تثبتان متعامدان على ورقة ملونة رقيقة مربعة الشكل وتربط بخيط نسميه "الميزانية" نربط بها أحيانا ذيلا من نفس الورقة والمتمرسون يثبتوا علبة صغيرة مفتوحة الى اعلى لتوضع فيها شمعة تضاء عند الطيران تدعى بالـ "الفَنَر". تتطور الخبرة في اللعبة فنقوم بـ"تشيش" خيطها أي تغليفه بمعجون نصنعه آنيا. والمعجون هو مسحوق زجاج المصابيح العاطلة التي نهشمها ونسحقها بالهاون النحاسي السميك مع الحذر بعدم انتشارها وأذى على وجه أو عين اللاعب. نخلط مسحوق الزجاج مع مادة الشريس الصمغية أو مسحوق نهاية حبة البامية العليا بعد تيبيسها وسحقها. نغطي خيط الطيارة بكل طوله فيكون الخيط "مدرعا" يمكنه أن يقطع خيوط الطيارات الاخرى بمجرد لمسه لها. وفي هذه الحالة تحتدم المعركة بين الطيارات والطيارين والهدف أن تقطع خيوط طيارات الفريق المقابل وعند ذلك تذهب الطيارة مقطوعة الخيط بعيدا وتسمى عندئذ ذهبت "واه" ولا نعلم من أين جاءت هذه التسمية.

الطيارة الورقية تظهر الميزانية الى اليمين بيد الطفل وطيارة بذيل

البرتقال والنوى

البرتقالة والنوى

نجتمع في المدرسة قرب الحانوت في فصل الشتاء ونشتري برتقالة ليبدأ الرهان فيما بيننا. يكون الرهان على من يقدر عدد النوى التي تحويه تلك البرتقالة. تبدأ اللعبة بعد ان يتراهنوا على عدد النوى فيها يأكل أحد المتراهنين البرتقالة وثم يخرج هذا النوى من فمه واحدة بعد الاخرى لعدها تحت رقابة الموجودين منعا لمحاولة الغش ببلع بعض النوى كي يقلل من العدد اذا شعر انه سيخسر! او إذا كان قد أخفى بعض النوى في يده مسبقا كي يضيفها الى المجموع في حال شعَرَ ان العدد سيقل عما تم الرهان عليه. والرابح هو الذي حدس بالعدد الصحيح أو الأقرب للعدد الصحيح لمجموع النوى. يتحمل الخاسر ثمن البرتقالة. يمكن أن تستمر اللعبة الى ثلاث او أربع برتقالات او حينما يدق جرس المدرسة.

الگرگري وأبو الفلسين.

الگرگري نوع من الحلوى المعروفة في ذلك الزمن وسيرد ذكرها لاحقاً. وهي تشبه حلوى "منّ السما" في ظاهرها ولكنها مصنوعة من الطحين والسكر ويضاف لها الهيل.

الگرگري شبيه منّ السما وعُملة "أبو الفلسين"

بالإضافة الى التلذذ بأكل الگرگري استحدت لعبة للتمتع به. تلخصت اللعبة بالرهان بغرز عملة الفلسين النحاسية في وسط الگرگرية بحيث تنتصب العملة عموديا عليها. يضرب أحد المتراهنين عملة الفلسين بقوة بالاصبع الوسطى بعد تحريره من الإبهام من كف المتسابق محاولا فلق الگرگرية الى نصفين. يفوز بالرهان من يفلح في ذلك ويدفع ثمنها من تراهن معه.

آنه (أنا) أدري

هنالك في صدر الدجاجة عظم يدعى الـ"جناغ" وهو عظم الترقوة الذي يكون على شكل الحرف Y باللغة الانكليزية.

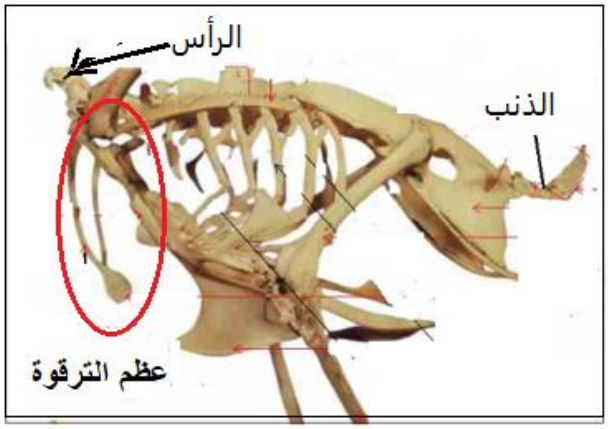

الهيكل العظمي للدجاجة ويظهر عظم الترقوة

تتلخص اللعبة بان يتفق شخصان على القيام بها وعندئذ يمسك كل واحد ضلعا من ضلعي العظم وبسحبه الى الخارج فينكسر الضلع وينفصل عن الاخر وهذه اللحظة هي بداية اللعبة.

عظم الترقوة (الجناغ)

تتلخص اللعبة بان المتراهنين لا يستلمان من بعضهما البعض أي شيء مهما كان صغيرا أو كبيرا سائلا او جامدا وإلا سيخسر الرهان. وإذا أراد او اضطر ان يأخذ منه شيء يقول له: انا أدري اي انا أخذ ذلك منك وانا لازالت منتبها للشروط. في الواقع ان لا يمكن أن يبقى الشخص منتبها طول الوقت خلال مشاغل اليوم من بيتية وشخصية. يعمل كل منهما على ان يستغل الاخر سهو الاول ويسلمه شيئا لم ينتبه له الاول فيخسر الرهان. ويذهب البعض الى حدود بعيدة عندما يرمي منديلا او منشفة على الارض بالقرب من حافة كرسي ويختبئ تحته ماسكا بطرف المنديل او المنشفة منتظرا ان يستغل غفلة غريمه الذي يحاول رفع المنديل او المنشفة من الارض وإذا بالآخر يصيح من تحت الكرسي انا هنا ويربح الرهان حتى بهذه الطريقة الملتوية!

الدُز.. المربعات الستة عشر أو الأربعة وستين

كانت هذه اللعبة الهادئة تستهوي الأطفال الهادئين والمحبين للرياضيات. نرسم على ورقة او كارتونة مربعا كبيرا ويقسم الى تسع مربعات صغيرة. يتبارى اللاعبان ويكون لكل منهما ثلاث قطع متشابهة من الحصى او أية مادة اخرى بحيث تختلف عما لدى الاخر. الهدف هو غلق الطريق على اللاعب الاخر بالنجاح عند وضع الثلاث قطع في داخل ثلاث مربعات على خط واحد. ويمكن ان تستمر اللعبة الى ما لانهاية والرابح هو من يسجل نقاطا أكثر .

لعبة طُفَّيرك ياگُمر (سمبيلة السمبيلة)

لعبة رياضية تحتاج الى لياقة بدنية وفيها ينحني أحد الاطفال بجذعه الى أمام ويقفز عليه الاطفال تباعا بإسناد أكفهم على ظهر ذلك الطفل وبدون ان يسبب وقوعه أو ان تمس أقدام الطفل الذي يقفز جسم الطفل المنحني.

طفيّرك ياگمر

لعبة الصگلة

تدعى كذلك بـ"البلبل حاح" في مدن أخرى، تحتاج الى عودين يابسين من أغصان الأشجار الاول بطول قدمين تقريبا والآخر بطول ستة انجات. يضع اللاعب العود الصغير ليستقر فوق حجرين ويمسك بالعود الكبير فيضرب العود الصغير ضربة شديدة ليقذفها في الهواء لتصل على أبعد مسافة ممكنة.

العصا الطويلة والقصيرة في لعبة الصكلة

لعبة المحچال أو المعچال

تستخدم قطعة بيضوية من قماش منسوجة أوقطعة جلد بمساحة الانجين المربعة متصلة جانبيها بخيطين سميكين في نهاية أحدهما تعقد حلقة يدخلها اللاعب في اصبع السبابة وتبقى نهاية الخيط الاخرى سائبة. توضع حصاة أو حجرفي تلك القطعة وبحركة دائرية عنيفة يقوم بها اللاعب بترك الخيط السائب فجأة فتنطلق الحصاة أو الحجر الى مسافة لترتطم بالهدف الذي يكون شجرة أو طيرا أو غير ذلك. تكمن الخطورة في احتمال ارتطام الحصى بشخص مار بالصدفة لذا لم تكن تلك اللعبة من اللعب المحببة.

المحجال

الگزوة (المصيادة)

الگزوة (المصيادة)

تصنع الگزوة او المصيادة باختيار غصن شجرة متفرع الى فرعين وتقطع الثلاث أغصان المرتبطة ببعضها حيث تكون الحرف الإنكليزيY. تثبت على طرفي الغصنين المتقابلين قطعتي مطاط بعرض عدة مليمترات بطول عدة إنجات تؤخذ من البطانة المطاطية لعجلة الدراجة الهوائية أو عجلة السيارة. ترتبطان في الجانب الاخر بقطعة جلد صغيرة بطول انج وعرض نصف انج تقريبا مثقوبة من طرفيها لتثبيت نهايتي الخيطين المطاطيين بها. توضع حصاة صغيرة في داخل قطعة الجلد ويسحب خيطي المطاط الى الخلف بشدة ثم تترك فجأة فتنطلق الحصاة الى الهدف الذي هو غالبا ما يكون طيرا على شجرة او على سلك كهرباء. وهذه اللعبة كلعبة المحجال لا تخلو من خطورة على الآخرين في حال حدوث خطا في الاتجاه .

صندوق الولايات

يتجول بيننا في الازقة حامل "صندوق الولايات". يشبه هذا الصندوق الخشبي صندوق كاميرا التصوير القديمة مستقرا على ثلاثة أذرع خشبية. توجد في أحد جوانب الصندوق فتحتين أو ثلاث في كل منها عدسة مكبرة.

صندوق الولايات

وضع صاحبه في داخل الصندوق شريطا طويلا لصق قصاصات الصحف والمجلات والكتب القديمة ببعضها، ليس بينها ارتباط في الاحداث أو المادة. بعد دفع عانة أي أربعة فلوس لكل طفل يمكن لثلاثة أطفال أن "يبحلقوا"

في وقت واحد في داخل الصندوق من خلال العدسات. يبدأ صاحب الصندوق بتدوير الهندر (المقبض) فتتحرك الصور ويشرح وبصوت عال وبنبرات موسيقية ما يشاهده الأطفال في الصندوق وقد حفظ تسلسها.

لعبة الصافرة من نواة المشمش

المشمشة وفي داخلها النواة

كنا نأكل فاكهة المشمش ونحتفظ بنواة واحدة منها على أن تكون كبيرة الحجم. نمسكها بقوة ونبدأ بحكها على أرض الزقاق بقوة حتي يثقب جانبها وتظهر البذرة في الداخل ونكرر العملية في الجانب الاخر من النواة الى ان تظهر البذرة كذلك. عندها ندخل مسمارا في داخل النواة لنفرغها من محتواها من البذرة بصورة كاملة. وعندما نترك النواة الى اليوم التالي تكون قد فقدت رطوبتها وأصبحت جافة. نمسك النواة المثقبة من الجانبين وننفخ بقوة في أحد الثقبين فتخرج أصوات قوية تشبه صوت الصافرة وحينها نتبارى بيننا أينا يصدر صوتا أقوى. هناك صافرة أخرى مصنوعة من البلاستك على هيئة طير كنا نلهوبها كذلك.

الصافرة البلاستك على هيئة طير

لعبة نوى المشمش والحفرة

يجتمع عدد من الاطفال وفي يد كل منهم عدد معين من نوى المشمش ويحفروا حفرة صغيرة في الارض تتجاوز عدة انشات في القطر والعمق. يرسموا على الارض خطا على بعد عدة اقدام. يقف كل واحد بالتعاقب ليرمي النوى باتجاه الحفرة. الرابح هو الذي يتمكن من رمي العدد الاكبر من النوى في تلك الحفرة.

لعبة عمي يا التاجر

إن هذه اللعبة غير معروفة على مستوى واسع ويتم اللعب بها في داخل البيت عند وجود عدد لا بأس به من الاطفال الضيوف. يتجمع الاطفال جميعا في جانب من الغرفة يقابلهم في الجانب الاخر "التاجر". يترأس مجموعة الاطفال طفلا من الاطفال النبهين وباتفاق مسبق بين التاجر وبينه. تبدأ اللعبة على أساس أن لدى التاجر بضاعة متنوعة من مواد منزلية الى فواكه وخضروات ..الخ. يتفق الاطفال بالسر على مادة معينة بحيث لا يمكن للتاجر أن يعرف ماذا اختاروا. يبدأ الطفل الذي انتخب بسؤال التاجر قائلا: عمي يالتاجر عندك شاي؟ عندك قميص؟ عندك باقلاء عندك دفتر وتتعدد تسمية المواد لتشمل حوالي العشرين مادة. فيرد عليه التاجر بنعم لكل مادة. وبقدرة قادر يفاجئ التاجر الاطفال بعد الانتهاء من الطلبات بمعرفة ما اتفقوا عليه. يبدأ الصياح والاستغراب والضحك حول كيفية معرفته ذلك. والسر هو أن التاجر اتفق مسبقا مع الطفل السائل بدون علم باقي الاطفال على ان يذكر المادة التي اختارها الاطفال مباشرة بعد مادة من المواد التي يتفقا عليها ويحاول الطفل أن تكون تلك المادة في وسط المواد المطلوبة. فمثلا يتفق على أن تكون تلك المادة "المفتاح" البطاطا، فتكون المادة التي اختارها الاطفال هي المادة التي تأتي بعد البطاطا مباشرة وحينئذ يعرف التاجر ما خبأه الاطفال عنه. وفي الجولات التي تلي تبقى البطاطا تسبق المادة المختارة. واللعبة مبعث ضحك وسعادة للأطفال وتأخذ وقتا يشغلهم حتى موعد تقديم الطعام!!!

الهاتف!!

يتكون "الهاتف!!" من علبتين معدنيتين فارغتين كعلب حليب الاطفال. تكون العلبة مفتوحة من جانب وفي قاعدتها يدخل خيط سميك من خلال ثقب فيها ويربط العلبتين خيط بطول عشرة أمتار أو ما يقارب، يقف كل طفل في محل يبعد عن الطفل الآخر حتى يكون الخيط مشدودا أفقيا. يضع أحدهما ا فمه في داخل العلبة والاخر يضع أذنه في الفتحة فيتحدثا بينهما بصوت عال معتقدين أنهما يسمعا من خلال الخيط!!

علبتي "الهاتف!" والخيط الذي يربط بينهما

حجنجلي بجنجلي

هذه لعبة شيقة يقوم بها الكبير لإشغال الأطفال في البيت وفي العادة هناك العديد من الأطفال في كل بيت اما من نفس العائلة او من الضيوف. يمد الأطفال سيقانهم باتجاه واحد وتكون بوضع متوازي ويواجههم الشخص الذي يقوم باللعبة. ويمس بيده بالتعاقب سيقان الأطفال وهو يردد

حجنجلي بجنجلي صعدنه فوق الجبلِ

لگينا قبة قبتين صحنا يا عمي يا حسين

هذا مقام السلطان شيل (ارفع) رجلك يا حسان

عندما تمس يد العداد ساق الطفل التي انتهى عندها ترديد كلمة "حسان" يسحب ذلك الطفل ساقه وتخرج من العد. وتستمر اللعبة حتى تسحب كل السيقان ويكون الفائز هو من بقيت إحدى ساقيه حتى النهاية. وهذه لعبة ذات مغزى فهي تجمع الأطفال وتسليهم وتقرب من بعضهم البعض.

أطفال في جلسة تشبه جلسة أطفالنا عند الاستعداد للعبة حجنجلي بجنجلي

الألعاب النارية

تشمل الألعاب النارية البوتاس والزنبور والطرقات فكنا نلهو بها في مناسبات مختلفة في ليلة "المِحْيَه" وهي ليلة النصف من شعبان التي لها قدسية تقارب قدسية ليلة القدر. يقضي الكبار ليلتهم في الصلاة والدعاء في تلك الليلة، ويشاركهم الأبناء بالألعاب النارية لتذكير الجميع بأهمية تلك الليلة!!

تجهز الاسواق بالبوتاز مصنوعة من الفلين الذي يشبه فلينة القناني الزجاجية. تكون الفلينة محفورة في وسطها الى منتصفها وتملأ بالبارود الذي يصطبغ بلون أحمر. نضع تلك الفلينة في فوهة "مسدس" خاص فيه مسمار يدخل في حفرة الفلينة ليفجرها. والنوع الآخر ما يدعى بالطَرَقات. وهذه تكون على شكل صرّة صغيرة بحجم الجوزة تملأ بالبارود والحصى الناعم ويلّف حولها خيط كي لا تنفرط فيها فتيلة تولع وترمى الى الأرض بقوة لتنفجر. وربما كانت هناك أنواعاً أخرى. لا يخلو استخدام هذه الالعاب النارية من اصابات وحوادث غير محمودة.

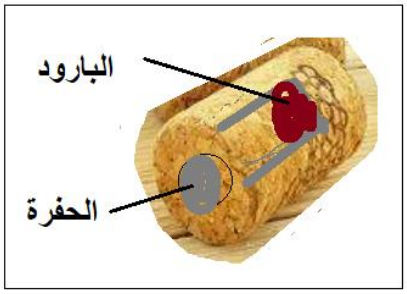

الفلينة وفي داخلها البوتاس

الأكلات والحلويات

تمتعنا في عهد الطفولة بما اعتقدنا انها أطيب الأكلات والحلويات!! انقرض بعضها واندثر مع تلك الحقبة ولم يعد لها ذكر. لا أعتقد أن تلك الاكلات والحلويات مختصة بمدينتنا فقط حيث تواجدت في المدن القريبة وفي بغداد وحتى أبعد من ذلك. فيما يلي العديد من تلك الأكلات والحلويات.

الخبز

الخبز هو المادة الغذائية الأساسية في المائدة العراقية. ولدخولها بعمق في الحياة اليومية انتشرت هناك أمثلة عديدة لها علاقة بالخبز تعبّرعن جوانب حياتية منها "يركض ورا خبزته" أي يتعب في سبيل الحصول على لقمة العيش، "مطلّع خبزته" أي يحصل على ما يكفيه من مورد، "أبو الخبزه" وهي كناية عن رب الأسرة، "خبز ليله ما عنده" أي فقير الحال ليس له ما يقوت به، "خلصَت خبزته" أي فقد حياته، "انطي الخبز لخبازته" ويضرب هذا المثل على ان أي عمل لا يقوم به ولا يؤديه بصورة صحيحة الا صاحب العمل نفسه أي المختص بأداء هذا العمل، "كلمن يحود النار لخبزته" يرمز للأنانية والاهتمام بالنفس على حساب الاخرين، وأخيراً "خبز باب الاغا" صفة لخبز محلة باب الأغا في بغداد حيث أنه محمر وحار ورخيص السعر ويقصد به الحاجة الجيدة والرخيصة!

هناك أنواع من الخبز، الذي مادته طحين الحنطة، كانت في تلك الفترة أهمها الخبز المتعارف عليه لدى الجميع هو الخبز الاعتيادي عند الخباز وكذلك خبز "عرب" الذي يعمل في تنور البيت. وهناك أنواع أخرى من الخبز منها: خبز شكر، خبز رگاگ، خبز لحم، خبز تفتوني، خبز طـابگ، خبز شعير وخبز العباس.

خبز شكر

خبز حلو المذاق يخلط ،طحين الحنطة مع السكر والسمن (الدهن) ويكون الرغيف مثقبا في العادة ويقدم في المناسبة المفرحة.

خبز الشكر

خبز رگاگ (الرقاق)

أو خبز صاج، على شكل أقراص تخبز على قرص حديدي ويتم مراعاة السرعة في تحضيره حتى لا يحترق فهو هشّ جدا ويستخدم بالثريد ومع البيض او الجبن والبعض يجففه ويخزن في اكياس لأيام قادمة.

خبز لحم (خبز عروگ)

وهو الخبز المخلوط باللحم والبصل والكرفس او المعدنوس مع الكركم وبعض البهارات ويميل لونه الى الاصفر بسبب الكركم ويكون سمكه أكثر من الخبز العادي.

خبز تفتوني

عرفنا الخبز التفتوني أصغر من الرغيف الاعتيادي وأسمك منه. وهناك في مدن أخرى يكون التفتوني كبير المساحة مستطيلا وفيه ثقوب على طوله.

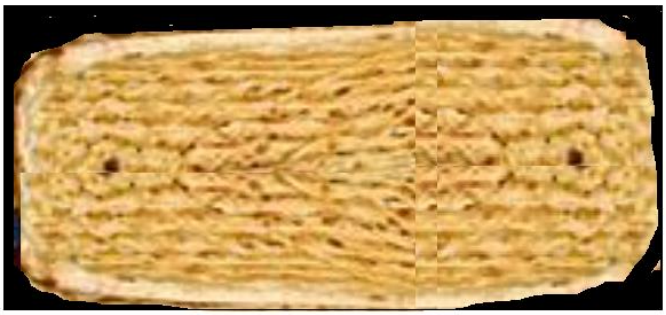

نوع من الخبز التفتوني

خبز الطـابگ (الرقاق)

يكثر في القرى هـو خبز يصنع من طحين الُرز الأحمر (الحويزاوي)، ويكون العجين رائب القـوام أشبه باللبن الرائب، يفرش على (قطعة مدوّرة مصنوعة من الطين الحرّي، مفخورة على النار، يحمى على نارٍ توقـد من (المطّال) أو الجلّة المصنوعة من براز الحيوانات (الأبقار والجاموس). يشترط أكل خبز الطـابگ مع السمك المشوي.

خبز الطابك

أتذكر في أيام طفولتنا كنا نردد قول المرأة القروية وهي تنادي ولدها البعيد عنها متأملة لقاءه:

أمك جايّه من بْعيد ما تِگْعِد تِلگاهه

جابتلك خبز طابگ والحَرشات (السمك الصغير) وياهه

خبز شعير

مع إن خبز الشعير يعتبر طعام الفقراء إلا ان مادته الغذائية أفضل من خبز الحنطة المصنع. يصنع خبز الشعير من طحين الشعير مع الخميرة وأحيانا تخلط معه نخالة القمح.

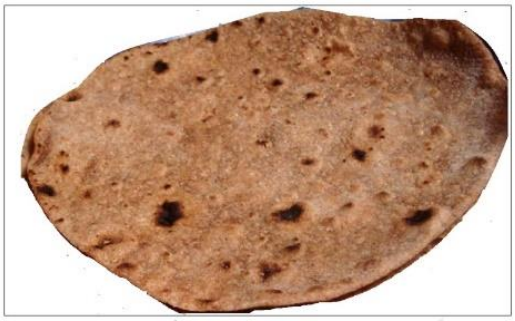

خبز الشعير

خبز العباس الخبز العادي يضاف له بعض من الخضورات (الكرفس او الرشاد، او الكراث، والجبن) ويوزع هذا الخبز ملفوفا في مناسبة قد تحقق فيها مراد صاحب أو صاحبة الطلب الذين نذروا الى العباس بن علي (ع) لتحقيقه لها.

خبز العباس (ع)

الهريسة

حلوى أساسها الحنطة وقطع اللحم المهروس. تقدم في الافطار الصباحي ساخنة في إناء مسطح وتزخرف بالدارسين على سطحها ويسكب عليها الدهن الحار والسكر. لهذه الحلوى نكهة لذيذة يشترك فيها كافة أهل العراق. تحضر بقدر كبير يستمر خلطها بعصا غليظة طويلة طول الليل. تكون الهريسة مهيئة للزبائن عند الفجر. يتزاحم الرواد منذ إطلالة الفجر لملئ أوانيهم أو قدورهم بتلك الهريسة الفريدة الطعم والتي تضاف عليها خطوطا متعددة من الدارسين. يضاف الدهن المغلي والسكر في البيت عند المائدة.

صحن الهريسة وقد خطط بالدارسين

الليمون دوزي

وهو حامض الليمون (حامض الستريك) الذي يستخرج من نباتات حامضية ويحول الى مسحوق أبيض. يضاف اليه مسحوق السكر وبعض الصبغات ويعبأ بأسطوانة مصنوعة من الورق تغلق من نهايتيها. يباع في محلات البقالة وحوانيت المدارس.

ليمون دوزي مع السكر

حب رگي (رقي) والبطيخ

تؤخذ بذور الرقي وتكون باللون الأحمر أو الأسود. أما حب البطيخ أو الشِجر (القرع) فيكون أبيض اللون وهشا نسبيا. يقلى الحب في الطاوة (المقلاة) مع دهن قليل جدا ويقدم للأكل. وحب الرقي من أطيب ما يؤكل أثناء التسامر حيث يجتمع الاصدقاء من الرجال أو في اجتماع النساء. والتكريز فن يتقن بالممارسة حيث يجب أن ينفلق قشرها وتخرج البذرة. يجب أن لا تنكسر الحبة أثناء الضغط عليها بين الفكين. في بعض الاحيان نتبارى بسرعة "التكريز" مع عدم كسر القشرة!. في الغالب كان "تكريز" الحب في أوقات العصر وكذلك يحصل على الحب من البطيخ أو الشجر(القرع) ويكون أبيضاً.

حب الرقي الأسود وحب الرقي الأحمر حب البطيخ أو الشِجر

حمص مْجُوهَرْ

هو حمص مطعّم، فبعد ان يطبخ الحمص يضاف اليه مسحوق السودا وقليل من الكركم والخل الأحمر والفلفل الحار فيكون له طعم فريد. يؤكل عند المسامرة ويكون هشاً وذا لون أصفر وفيه حموضة قليلة ولسعة الفلفل البسيطة!

الحمص المجوهر

الشلغم

وما أدراك ما الشلغم!! فهو فاكهة الشتاء بدون منازع. يجول بائع الشلغم في الطرقات مناديا بأعلى صوته "مايع مايع" ولا حاجة أن يذكر ان المايع هو شلغم لبديهية ذلك التعبير. يطبخ في قدر كبير مثبت في عربة يدفعها في الطرقات. لا يمكن أن تخبو رائحة ولا طعم الشلغم من الذاكرة لروعتهما!! تقفز بي الذاكرة الى فترة الإقامة في مستشفى الرمد القديمة في الصالحية في بغداد حيث كان الجميع من إخصائيين ومقيمين بانتظار سماع تغريدة "مايع مايع" ويهرع الجميع للاستمتاع بالشلغم اللذيذ. ولم نفكر في يحنها باحتمال التلوثات المتجمعة في النجانة التي تحوي الماء الحار التي يغسل فيها كل الصحون من الفجر حتى فراغ القدر بعد التهام شلغمها!! يوصف أحينا ماء الشلغم للمرضى لتحسين مقاومتهم للمرض!!

قدر الشلغم

لبلبي

هو الحمص المسلوق وما أطيبه مع الخل في كاسات صغيرة وهو يقدم حارا يتصاعد منه البخار. يباع في الشارع كما يباع الشلغم أو يقدم في النوادي والجلسات الخاصة للأنس التي يكون فيها اللبلبي من الضروريات ويكون أما منقوعا بماءه أو يابسا.

اللبلبي "الجاف" و"المنقوع"

علچ ماي (علك ماء)

العلك هو اللبان الذي يستخرج من شجرة الأكاسيا ويجمع بعمل ثقوب في جذعها وتحت كل ثقب توضع جفنة مصنوعة محليا من الفخار يجمع فيها السائل الذي يسيل من خلال الثقب. يستخدم للهو ويقال انه يفيد غازات البطن.

شجرة الاكاسيا التي تنتج علك الماء وعليها الجفنات الفخارية تحت الثقوب

والى اليسار جفنة مكبرة وفي داخلها العلك

علك ماء لدى الباعة

علچ (علك) بستج

هو صمغ ناتج من الشجر ويمضغ مثل اللبان وله استخدامات عديدة فى علاج للكثير من الأمراض

شجرة المستكة التي تنتج علك البستج والعلك ينبع من جذعها

علج بستج

من الامثال المعروفة **علچ المخبل تَرِسْ حلگه** يضرب في الإفراط بشيء لا يتطلّب الإفراط به. والاخر خليتنا علچ بحلوگ **الناس** يضرب للولد أو الشخص الذي يسيء التصرف فيقول له أهله فضحتنا بين الناس فأخذوا يلوكوا بسيرتنا.

الخُرَّيط

أكلة كنا نتشوق لالتهامها. يباع الخريط على شكل "أحجار" مختلفة الحجم ذات لون أصفر وتؤكل كما هي. وهو مستخلص من نبات البردي الذي يكثر في أهوار العراق. ويبدو أن السبب قي تسميته بالخريط هو طريقة استخلاصه بـ "خرط" مسحوق الحبيبات الدقيقة الاصفر الموجودة في باطن قصيبات البردي الطرية. يجمع المسحوق في إناء ويوضع في قطعة قماش خفيفة التي تثبت فوق فوهة قدر يغلى فيه الماء. ينفذ بخار الماء في الحبيبات وبعد ان يبرد تتصلب وتتحول الى قطعة سميكة متماسكة وهشّة. تهشم باليد بسهولة الى قطع باحجام مختلفة. يتميز طعم الخريط بحلاوة قليلة. يباع في أغلب مدن العراق للتفكه ولكن سكان الأهوار يستعملوه لعلاج بعض الحالات المرضية.

سيدة الاهوار تستحلب (تخرط) الحبوب من نبات البردي ثم ينفذ فيه بخار الماء وحجر الخريط المعد للأكل

الجمّار (اليمّار)

ما أحلى الجمار وما أطيبه وهو يستخرج من "قلب" فسيلة النخيل. يقوم الفلاح بخلع كل السعف والليف المحيط بالفسيلة حتى الوصول الى مادة الجمار في الداخل. يتصف الجمار باللون الابيض ويكون مكتنز القوام في طعمه بعض الحلاوة. يباع في الاسواق بقطع صغيرة أو على شكل شرائح ويؤكل كما هو. وللأسف فإن الاستمتاع بأكل الجمار يكون بـ"قتل" نخلة نامية وهذا شأن الحياة!!

الجمار في داخل فسيلة النخل الى اليسار والجمار بعد تهيئته للبيع والأكل

العلچة (العلكة، العلوچة)

تلك هي حلوى تعرض بصينية بقطر قدمين أو أكثر وبعمق بحوالي الإنشين مثبتة على قاعدة بحيث تكون الصينية بمستوى نظر الاطفال. تقسم الصينية الى خمسة أو ستة أقسام (حجرات) مثلثة كل قسم يحوي الحلوى ويغطى بغطاء زجاجي مثبت الى الجانب بحيث يفتح ويغلق. تكون الحلوى في كل قسم بألوان متباينة كثيفة القوام وكأنها مادة الغراء. يغرف البائع قليلا منها بملعقة مدببة سميكة ويقدمها للطفل مثبتة على عود خشبي. ويبدو انها سميت بالعلكة لأنها تُعلك في الفم كالعلك لكثافة قوامها.

العلچة

اللُّهومْ

وهو خليط من السمسم والسكر بعد طحنها وبيعها ملفوفة بورق لدى البقالين. إن لها قيمتها الغذائية وسعراتها الحرارية عالية.

حجي بادَم

الحجي بادم هي حلوى كنا نستمتع بها كثيراً أيام الطفولة. تأخذ الحلوى شكل أقراص بلون أسمر وسطحها ملتصقة على ورق أسمر دهني يشبه الورق الذي كنا نستعمله لتجليد الكتب والدفاتر المدرسية. تكون الحلوى بقطر الانجين وسطحها مشقق. تُفصل عدد من قطع حجي بادم من الورقة حسب الطلب وتسحب من الورقة وتوضع في الفم وهي هشة القوام تتفتت وتذوب داخل الفم وتتصف بطعمها اللذيذ.

حجي بادم مثبت على ورق أسمر

محلّبي وحريرة

. يصنع المحلبي من الحليب والنشا وهو حلوى معروفة في الماضي والحاضر. أما الحريرة فتصنع من النشا والسكر والهيل بدون حليب. يصبح قوام المحلبي سميكا يقدم بصحون أما الحريرة فتصنع من النشا والسكر فيكون قوامها رقراق لذا تقدم بكاسات.

الحريرة والمحلبي

بيض اللگلگ "اللقلق"

هذه الحلوى المحببة للجميع أكبر حجما من بيضة الدجاجة، خفيفة الوزن وبألوان جذابة. تصنع من خلط بياض البيض مع السكر. تعرض في سلة مصنوعة من الأغصان الناعمة وتغطى بقماش خفيف حماية له من "الطيران" في الجو مع النسمة التي تهب!

تتصف بيضة اللقلق بأنها تذوب في الفم خلال لحظة وكأنها لم تكن هناك. أما إذا وقعت عليها قطرة من الماء فتختفي ذائبة بلحظات.

بيض اللقلق والفنان قاسم الملاك وهو يعرضه في السلة في أحد أفلامه

يغني بائع بيض اللگلگ وهو يسير في الطرقات والأزقة ويصدح بالغنوة المعروفة والمحببة للأطفال

اللگلگ علّه وطار وكر عله بيت المختار

مختار اجانه طاير حاير عله الجكاير

ناوشتة فد جگارة تونّس وانطاني بارة

اللگلگ جاب بنية حط وانطاها ترجيه

وسألها عن اسمهه كالتله اسمي بهية

بهية جانت حلوة يحبوه كل ولد الجار

والمثل المذكور: مثل بيض اللگلگ، يضرب على المشروع الذي يبدو هائلا في مظهره والاعلان عنه ولكن في حقيقته مشروع فاشل سرعان ما يتبخر. وعلى نفس المبدأ يمكن أن يضرب المثل في مناسبات وحالات أخرى مثل "تمخض جبلاً فأولدَ فأراً" وغيرها.

من الطرائف التي تذكر كان هناك أحد الخطباء المعروفين في مدينة النجف الاشرف الذي يؤم مجلسه عدد كبير من المريدين لغِنى خطبته التي يطعمها بالنوادر والنكات. اقترب منه أحد رواد مجلسه قائلا له شيخنا حديثك مثل بيض اللگلگ نستمتع به حين خطبتك ولكن عند مغادرتنا المجلس لا يبقى أي شيء في ذاكرتنا!!

شعر بنات

ابتكر هذه الحلوى اللذيذة طبيب اسنان امريكي جون وارتون في نهاية القرن التاسع عشر. تصنع من السكر المخلوط مع بعض الاصباغ تصنع في ماكنة بسيطة خاصة وهي تجمع خيوط ملفوفة يمسك البائع بعود دقيق من الخشب ويحركه حول الماكنة لتلتف عليها الخيوط فتكون خصلة كبيرة تقدم للطفل المتلهف لالتهامها. والمعروف أن بائع شعر البنات يصيح وهو يمر في الطرقات

شعر بنات شعر بنات وين أولّي ووين أبات (أين أذهب لأقضي الليلة)

أبات بالدربونة عتوي لحك البزونه (قط يتابع قطة)

الى آخر الغنوة!!

شعر البنات والماكنة التي تصنعه

ملبس مسقول

المسقول أو مصقول (وهو الأصح!) حلوى معروفة في الوقت الحاضر كما كانت سابقا فهي حلوى صلبة وفي داخلها حبة لوز. تقدم هذه الحلوى في مناسبات الفرح ومنها حفل عقد القران الرجالي حيث توضع كمية منها في داخل منديل ابيض جميل يلف حولها.

المسقول بألوانه الجذابة وسطحه الاملس وفي داخله اللوز والى اليمين الكفية وفي داخلها الحلوى

ملبس أبو الكزبرة

الملبس أنواع متعددة وأطيبها طعما كان ملبس أبو الكزبرة، وهي نبات عشبي حولي ذو رائحة عطرية قوية يعتبر من التوابل. والملبس هذا يكون بيضوي الشكل وعلى سطحه كرات صغيرة تشبه نبات الذرة. يقدم في

مناسبات الفرح مثل عقد القران والزواج كما الملبس المسقول. تكون الملبسة مكتنزة وهشة وفي داخلها قليلا من مادة الكزبرة.

ملبس أبو الكزبرة

"ضروگ" الفار

حلوى يعشقها الصغار لصغر حجمها وشكلها الكروي وألوانها العديدة الزاهية وبقطر عدة مليمترات صلبة القوام. يصنع من السكر يخلط. من الغريب أن تشبّه هذه الحلوى الطيبة الطعم بما يخرج من الفأر!!

حلوى ضروگ الفار

قيمقلي (الدوندرمة أو الآيسكريم)

من أطيب الحلويات في الصيف العراقي الحار. ولا نعلم مصدر كلمة القيمقلي التي نسميه بها في منطقتنا. كنا في تلك الايام نعملها بأنفسنا. نجلب حليب الجاموس الكثير الدسم ونخلطه مع السكر وأحيانا نبتة الثعلبية (السحلب) كي يكون سميك القوام.

أدوات صنع القيمقلي وتطورها!!!

يصنع التنكجي علبة كبيرة والاخرى صغيرة وقاعدتها السفلى مخروطية تنتهي بنهاية مدببة كي يسهل تدويرها داخل العلبة الأكبر. وفي حالة عدم توفرها نستعمل علبا معدنية مشابهة تؤدي المطلوب. نضع الحليب في العلبة الصغيرة التي تدخل في العلبة الأكبر. نضع قطعا من الثلج بحيث يمتلئ الفراغ بين العلبتين به وننثر كمية من ملح الطعام ذا الحبيبات الكبيرة عليه لإبطاء ذوبانه. نحرك العلبة الصغيرة التي فيها الحليب بحركة دائرية تستمر الى ما يزيد على الساعة حيث يبدأ القيمقلي بالظهور وتكون البداية من الخارج أي عند جانب العلبة ثم يجمد الحليب كله. نستمتع جميعا بما صنعناه بأنفسنا وننسى التعب ونسعد بالعملية وناتجها اللذيذ. تطورت عملية صناعة القيمقلي باستخدام آلة فيها مقبض يدار باليد فتدور العلبة الداخلية ما يوفر الجهد والوقت.

الزردة

وهذه معروفة للجميع مصنوعة أساساً من الرز والنشا والسكر والهيل وماء الورد ويضاف لها الزعفران. يخطط على سطحها بخطوط أو نقوش بمسحوق الدارسين (القرفة). تقدم بمناسبات الافراح والأعياد عادة.

الزردة وخطوط الدارسين على سطحها

الپالوته (الفالوذج)

نوع من انواع الكاستر السميك وكانت تعمل بالنشأ والسكر ويضاف اليها قطع اللوز الصغيرة والزعفران. تقدم بأواني بأحجام مختلفة الحجم وتقدم عادة كحلوى في نهاية وجبة الطعام.

الپالوته

الگرگري

تشبه حلوى منّ السما في شكلها على شكل قرص سميك. موادها الأولية الطحين والسكر ويضاف لها الهيل. قوامها صلب نسبيا، ولكن يمكن إحداث ندبة فيه. ينادي بائع الگرگري: ابو الهيل يا گرگري... ابو الهيل يا گرگري... واحد فلس أربعة بعانة (وهي عملة مقدارها اربع فلوس).

عملة "العانه"

حبة الگرگري

والمثل القائل "قابل دنبيع گرگري" يدل على عدم أهمية وسهولة بيع الگرگري حينما يدعي شخص أن العمل المضني هو بسيط عكس الواقع.

العسالة (العسلية)

وهذه أرخص الحلويات وتقتصر موادها الأولية على السكر والماء والاصباغ. يغلى الماء في قدر صغير يضاف له السكر والصبغة وبعد دقائق تكون جاهزة لسكبها في الصينية. في اثناء غليان الماء تحضر الصينية وتملأ بالطحين وتعمل حفرا متساوية في الطحين باستخدام قعر استكان الشاي الفارغ. تملأ تلك الحفر بسكب السائل المغلي فيها لتمتلئ وبعد دقائق يتصلب سطحها الخارجي ويبقى داخلها سائلا بحيث يمكن إخراجها من الطحين الذي حولها كقطعة واحدة أو تؤكل مخلوطة بالطحين الذي حولها.

العسالة في صينية الطحين

مَنّ السما

كان في زماننا كما هو اليوم وتفاصيله معروفة والتي أساسها المادة الصمغية التي تنتجها حشرة تسمى (المن)، في فصل الخريف فتتجمع على أوراق أشجار البلوط وأشجار الجوز الشاهقة. تجمع المادة الصمغية وتصنع منها الحلوى.

المادة الصمغية منّ السما المادة الخام وعلى اليسار الشجرة المنتجة والحلوى

الدهين

معروف للجميع في منطقتنا وهو من أطيب الحلويات ولكنه من "أخطر!" الحلويات على الصحة عند الإكثار منه. يعمل من الطحين والدهن والنشا والسكر. يباع الدهين كقطع صغيرة مضلعة تقطع من صينية كبيرة تحوي طبقة سميكة. أطيب قطعة فيه تلك التي تكون في الحافة لكونها جافة وتتكسر بلطف عندما تقضمها الاسنان!!

صينية الدهين

الساهون

معروف وشائع في وقتنا وفي الوقت الحاضر وهو سكر محروق ودهن ويضاف له قليل من الخل ثم يطعم باللوز.

قطع الساهون

الشكرلمة

معروف في الماضي والحاضر وأساسه الطحين والسكر والزبد ويكون هشاً جداً.

الشكرلمة وطعمة باللوز

حلاوة الحنطة وحلاوة الحليب

وهما معروفتان ولا زالتا من أحلى الحلويات التي تقدم بعد وجبات الطعام في الدعوات الاخوانية. تعمل من طحين الحنطة الذي يطبخ مع كمية قليلة جدا من الدهن وبعد أن يتحول لونها الى بني يضاف السكر والدهن وبعض الاضافات مثل الهيل وماء الورد ويتصلب في النهاية.

حلاوة الحنظة

الزلابية والبقلاوة

إن الزلابية والبقلاوة "متآخيتان" في التراث العراقي وخصوصاً في شهر رمضان.

عرفت الزلابية منذ القدم ويقال ان احتمال أصلها كان من الاندلس وكان اسمها "زريابية" نسبة للمغني زرياب والمتفنن في الطبخ!!

وصف الشاعر الكبير ابن الرومي الشخص الذي يقلي الزلابية بقوله

ومُستقرٍّ على كرسيِّـــــه تَعِبِ روحي الفداءُ له من مُنْصَبٍ نَصِبِ

رأيته سَحَـــراً يقلي زلابيـــةً في رقَّةِ القِشْر والتجويف كالقَصَبِ

كأنما زيتُــه المَغْلــيُّ حين بدا كالكيمياء التي قالـــوا ولم تُصَبِ

يُلقي العجينَ لُجيناً من أناملهِ فيستحيـــلُ شَبابِيــطاً من الذهـبِ

مكونات الزلابية الاساسية السكر والطحين والنشا والماء.

الزلابية أثناء وبعد صناعتها

أما البقلاوة فيذكر أن أصلها ربما يعود للآشوريين. ولكن هناك رواية تقول أن البقلاوة تعود إلى طباخة السلطان العثماني عبد الحميد اسمها "لاوة"، وهي من ابتدعت هذه الحلوى فأعجبت السلطان وقال "باق لاوة نه بايدي" وتعني انظر ماذا صنعت الطباخة لاوة! ومهما كان من أصلها فهي تبقى البقلاوة واحدة من الحلويات اللذيذة والشهية التي لا تخلو منها موائدنا خاصة في شهر رمضان.

تصنع البقلاوة من طبقات خفيفة من العجين تغطى بالحشو الذي يكون من الفستق أو لب الجوز وتغطى هذه بطبقات أخرى عديدة من طبقات العجين الخفيفة ثم تدخل في الفرن ومن بعد ذلك يسكب عليها السكر السائل ثم تقطع الى قطع مربعة. تعددت أنواع البقلاوة في هذا الزمن وتفنن في صناعتها الحلوانيون.

صينية البقلاوة

السمسمية

حلوى صحية نوعما لأن الأساس في صناعتها السمسم. يضاف للسمسم الذي يسهى على المقلاة. مكوناتها الأخرى السكر والدبس والراشي والهيل. تكون طبقة خفيفة تكسر الى قطع مختلفة المساحة وتقدم في الجلسات العائلية أو تباع في الاسواق.

قطع من السمسمية

حلاوة راشيّة (شكرية)

لازالت لحد الان ذات شهرة ومذاق لا يغادر الذاكرة. تصنع من الراشي والسكر والماء والفستق أو الجوز. تصنع على شكل دائري وتباع في محلات الحلويات أو تصنع في البيت لسهولة صنعها.

حلاوة راشية

حلاوة جزر

الحلاوة الشهيرة عبر السنين ولا زالت تحظى بالشهرة البالغة. تصنع من الجزر الطازج، الطحين، ماء الورد والجوز أو الفستق. أطيب أنواعها تلك التي تلتصق بالأسنان لقوامها السميك!

حلاوة الجزر المطعمة بالفستق

أبو نَبات (سكر نبات)

يستخلص الأبو نبات من قصب السكر بعد أن يعامل مع الماء والبيض ويضاف اليها الزعفران. يكون أبو نبات على شكل حبيبات كبيرة أو قطع تشبه الاسطوانة بطول انجين تقريبا وبعرض ربع انج. يستعمل بعض الناس أبو نبات لتحلية الشاي عوضا عن السكر الاعتيادي. أما القطع الاسطوانية فكانت حلوى مفضلة لنا الاطفال. وتستخدم هذه القطع لأغراض طبية كذلك. بعد ان تمص في فم الأم قطعة منه طولية الشكل حتى تذوب جزئيا بحيث تكون ملساء السطح من كل الجهات تستعمل كـ "شافة" أي تحميلة شرجية في حالات الامساك عند الاطفال!

أبو نبات القضبان والحبيبات

تمرية (المدگوگة)

تصنع التمرية من التمر بعد ازالة النوى مخلوطا بالزبد والراشي والدهن والهيل فبعد أن تطبخ بالدهن وتصنع منها كرات تغطى بالسمسم أو مبروش جوز الهند.

التمرية المغلفة بجوز الهند

داطلي

حلوى شهيرة في العراق تصنع على شكل حلزوني كالحية التي التفت حول نفسها. تصنع بخلط مواد أساسية تشمل الطحين الابيض، السكر، البيض، الهيل والزعفران. يوضع العجين في كيس نايلون ويحكم إغلاقه ثم يشق في إحدى زواياه وبالضغط على الكيس تخرج العجينة تدريجيا على شكل انبوبي لتسقط في قدر الدهن المغلي. يقطع البائع قطعة حسب الطلب لمن يطلبها.

الداطلي

قمر الدين

يغلى المشمش والسكر على النار، ثم تتم تصفيته، ثم يترك ليجف تحت أشعة الشمس. عندما يجف تمامًا يصبح طبقة سميكة على شكل صفائح تقطع وتؤكل. تعتبر سوريا أفضل منتج لقمر الدين.

قمر الدين

الديچ (الديك)

نوع من الحلوى تُصنع من اللّيمون والسكّر والماء والصبغة. تصنع منها عجينة توضع في قالب على شكل الديك أو غيره وتلصق بعود للالتصاق به. يكون الديك صلب القوام ذو ألوان جذابة يستمتع بها الاطفال بلعقه حتى آخر قطعة.

الديك منتصباً!!!

العصائر والشرابت

يكثر بيع العصائر في فصل الصيف سواء في محلات خاصة ببيعها أو بوساطة البائع المتجول. تشمل العصائر شربت الزبيب، الرمان، البرتقال والليمون وماء الورد وشربت الزبيب والشوندر والنومي حامض والتمر هند وكذلك اللبن السائل الذي يدعى باللبن "الدوغ".

بائع العصائر المختلفة

أشخاص من مدينتي

تمتلئ مدينة الكوفة بشخصيات تقطر خلقاً وطيبة وحزماً، وهيبة، وأدباً وتاريخاً. من هؤلاء الذوات قائمة طويلة لا يكفيها كتاب للحديث عنهم ومسيرة حياتهم الزاخرة. اخترت هنا بعض الأشخاص الذين يمثلون شرائح مختلفة من المجتمع.

والدي محمّد صالح الخليلي:

ولد في مدينة السماوة ونشأ فيها شاباً. انتقل الى النجف حيث درس فيها العلوم الأساسية في المدارس الرشدية والعلوية ومن ثم علوم الطب العربي الإسلامي على والده وأعمامه من آل الخليلي الذين مارسوا ذلك الطب منذ قرون فورّثها الإباء الى الابناء.

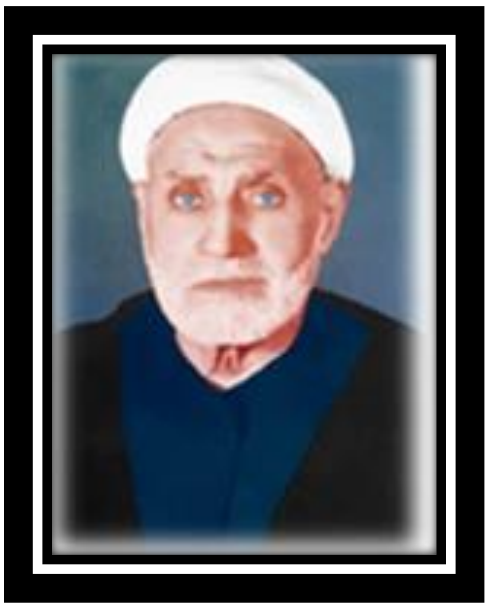

الحاج محمد صالح الخليلي (1900-1978)

سكن الكوفة وأصبح ابنها البار وخدمها اجتماعيا وطبيا وكان يضمنها رعايته لمرضى وباء الكوليرا الذي أصاب المدينة عام 1931 فبقي مع المحجورين لأشهر طويلة لم يختلط بأي انسان خارج المحجر الصحي. كان يمارس الطب في البيت ومكتبه في القسم البرّاني من البيت.

ترك ممارسة الطب مبكرا واتجه الى التجارة حيث اشترى خانا في سوق البو شمسة في الكوفة بمشاركة السيد محمّد بن السيد شبر أل شبر وهو من أعيان المدينة. تميزت الكوفة في تلك الحقبة بكثرة الخانات التي تخزن فيها الغلة من الرز والحنطة والشعير والتمر التي يجلبها الفلاحون لتعرض على المشترين من التجار.

تميز الوالد بعلاقاته الاجتماعية وتواضعه وحبه للجميع. أحب الأدب والشعر وكانت له علاقات واسعة مع أبناء الكوفة ووجهائها. يفد الى مجلسه اليومي في البيت عدد من الأصدقاء من اهل المدينة أتذكر منهم: السيخ كاتب

الطريحي، الحاج جعفر الشيخ علي، الحاج وداعة مرزا، الحاج محسن الصباغ، السيد أحمد ربيع، الشيخ عيسى الحائك، الشيخ حسين البصير، ....

وكذلك مع أدباء وشعراء وعلماء من النجف الاشرف وخارجها منهم الشيخ محمد رضا المظفر...

كان مقلا في النظم وقد ذكرت سابقاً بعضاً من شعره. ومما قال وهو يرعى المصابين في محجر الكوليرا عام 1931:

ألا من مبلـغ عني سلاما لمن لا ابتغي بسواد انسي

تقشر من هجير الصيف وجهي واعدمني الشتاء جميع حسي

كأن الدهر صير كل جسمي جـراثيـما فليس يجـوز لمسي

لذاك بعـدت منفردا بحجرٍ خلا لي في الفلا وهجير شمسي

ساهم مع وجهاء الكوفة في تحقيق مكاسب للمدينة كان أهمها لقائهم مع الزعيم عبد الكريم قاسم عام 1962 ليطلبوا أن تكون المدينة قضاءً مستقلا بدل كونها ناحية تابعة الى قضاء النجف. تحقق ذلك فأصبحت الكوفة قضاءً.

كنت أرافقه في سفراته للنجف الاشرف التي استثمرها لزيارة أصدقاءه حيث يبدأ بالحاج عبد الأمير السكافي وكيل أطار ت السيارات الذي تمتع بثقافة عالية. بعد ذلك وأثناء مروره بالسوق الكبير يزور الحاج محمد علي المظفر وابن أخيه الأستاذ محمود ابن الشيخ محمد حسن المظفر الذي يعمل معه. ومن ثم زيارة الحاج عبودي الصائغ الانسان الرقيق الطيب. وأحيانا أخوانا آخرين في السوق. بعد أداء مراسيم الزيارة نذهب بيوت الأقارب الشيخ محمد الخليلي ومحمد صادق الخليلي. وبعض الأحيان يزور أصدقاء مثل الشيخ محمد رضا المظفر وأخيه الشيخ محمد حسين المظفر، الشيخ أسد حيدر، السيد محمد جمال الهاشم، الشيخ محمد علي اليعقوبي، الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي، السيد صادق السيد ياسين، السيد علي بحر العلوم، الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي، الشيخ محمد تقي الشيخ راضي والشيخ هادي العصامي وغيرهم من الاجلاء.

نعمان أمين كرماشة:

ولد في النجف وتدرج في الوظائف الحكومية ولكفاءته وأخلاقه، قام لفيف من سكان مدينة الكوفة بتقديم عرائض يطلبون فيها تعيينه لرئاسة بلدية الكوفة وتم تعيينه في المنصب عام 1956.

الحاج نعمان أمين كرماشة

بدأ منذ اليوم الأول بحملة تطوير المدينة وتقديم الخدمات وتفانى في سبيل المدينة وأهلها. تحسنت صورة المدينة فهناك استحداث المشاتل وتشجير جزء من جانبي الشارع الرئيسي وجزء من طريق النجف وتوسيع وتبليط الشوارع واستحداث الساحات. وقام بتوزيع الاحياء الجديدة من حي كنده والشعراء وغيرها وبيعها بأسعار زهيده. اهتم بالشعار الدينية وهيأ كافة احتياجات زوار المراقد المقدسة وغير ذلك من الخدمات المنظورة وغير المنظورة. كان يحب، بل يعشق مدينته واهلها الطيبين ويحب مساعدة الجميع وقضاء حوائجهم. بالرغم من زخم الواجبات فقد كان يحمل روح المداعبة والضحك وصنع المقالب مع الاصدقاء ما حببه الى نفوس أهل المدينة بكافة طبقاتهم!

الحاج اسماعيل صفر:

طبيب عيون الكوفة الشعبي والمتمكن من فنه. يأتي اليه المرضى من كل أنحاء العراق والبدو من السعودية والأردن. يسكن في بيت مقابل لبيتنا ولكن "عيادته" ومحل السكن الموقت للمرضى يقع في شارع السراي الرئيسي.

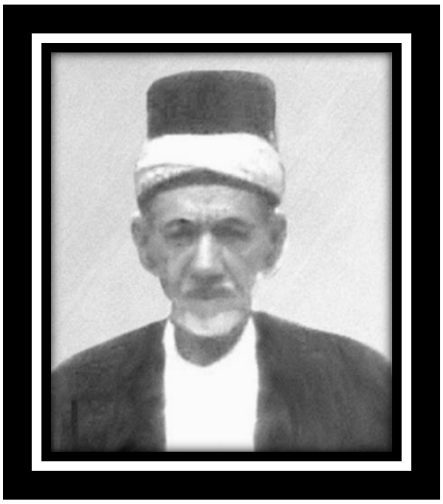

الحاج اسماعيل صفر

طبيب عيون الكوفة الشعبي والمتمكن من فنه. يأتي اليه المرضى من كل أنحاء العراق والبدو من السعودية والأردن. يسكن في بيت مقابل لبيتنا ولكن "عيادته" ومحل السكن الموقت للمرضى يقع في شارع السراي الرئيسي.

كان يعالج أمراض العيون بقطرات يحضرها بنفسه اما الماء الأبيض (الساد) فيعالجه بطريقة واغلة في القدم وهي فصل العدسة المعتمة من موقعها لتهوي في قعر مقلة العين. تجرى العملية بغرز قضيب معدني دقيق مدبب النهاية في منطقة التقاء القرنية بالصلبة (بياض العين) وعند دخول القضيب يدفع العدسة برأس القضيب بحركة سريعة مما يحدث تقطع الخيوط الرقيقة آلتي تثبتها في موقعها فتهوي الى قاع مقلة العين وفي تلك اللحظة يفاجئ المريض بانه يرى بوضوح مقارنة بعدم الرؤيا عندما كانت العدسة المعتمة تسد مجال الرؤيا.

للحاج اسماعيل صفر ولد من أفضل الشباب اسمه عبد الوهاب وهو مثال للكمال والخلق القويم يعمل معلما في الكوفة واليوم متقاعد وكان نعم الولد لنعم الوالد. ولعبد الوهاب ولد طبيب تخصص في طب العيون ليديم تراث الجد ويحيي ذكراه بالخير والعمل الطيب وأعتقد إنه يحتفظ بتلك الأدوات الجراحية.

كذلك عمل في مجال علاج أمراض العيون السيد أحمد ربيع وخلّفه ولده السيد محمد حسين. كان السيد أحمد يعتم بعمامة سوداء بينما محمد حسين لبس الكشيدة باللّفة الخضراء. تمتعا بمحبة الجميع لخلقهما العالي. لم يقم أي منهما بعمليات جراحية واقتصر طبهما على علاج الالتهابات وغيرها بما كانوا يحضرون من قطرات للعين. له ولد آخر السيد ضياء، معلمنا في مادة الجغرافية في مدرسة ابن حيان الابتدائية الذي كان من خيرة المعلمين.

الشيخ علي البازي:

الشيخ علي البازي

شاعر وأديب وخطيب ومؤرخ ومجاهد، ولد في النجف الأشرف واستقر في الكوفة. عرف عنه حبه لمدينته ودفاعه عنها في كافة المناسبات والمطالبة بحقوقها. تميز بقابليته الشعرية الفذة في تثبيت التواريخ والأحداث السياسية والاجتماعية والشخصية. ومثال على ذلك ما قاله:

في افتتاح الطريق المعبد بين الكوفة والنجف:

ذا طريق الكوفة الحمرا الى النجف الأعلى بلاد الشرف

منه أن تلقي العصا قل أرخو (تم تعبيد طريق النجف) 1373هـ، 1953م

في تاريخ افتتاح جسر الكوفة الحديد الجديد بدل الجسر الخشبي القديم:

هذا طريق مستقيم جديد يمشي القريب فوقه والبعيد

بفيصل الثاني وفي عصره جدّد للكوفة عهدا جديد

فافخر بملك جاء تاريخه (لكم بجسر ثابت من حديد) 1374 هـ، 1954 م

وأرخ ميلاد أخي المحامي صفاء الخليلي:

يا صالح اهنأ بخير عام وخير شهر بلا مثيل

فزت بنيل الثناء فيه أرخ: (ونلت صفا الخليلي) هـ 1368هـ، 1949م

كان من المدافعين عن العراق ضد الاحتلال في ثورة العشرين. من أشهر قصائده ملحمة دوّن فيها معارك الثوار ومواقعها وزمانها وذكر اسم رجالها الأبطال في الجنوب والفرات الأوسط منها قوله:

قِف بالرميثةِ واسأل ما جرى فيها غداةَ ثـارتْ بـشـوالٍ ضـواريـهـا

وعن سواعدِها قد شمَّرت وقضتْ أن تستعيدَ بماضي العزمِ ماضيها

الحاج محمد حسين العطار

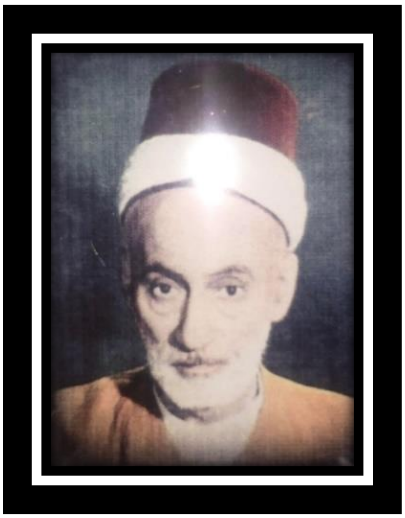

الحاج محمد حسين العطار

خدم الحاج محمد حسين العطار المدينة من خلال محل عطارته الذي كان المحل الوحيد في الكوفة. يقع محله في السوق مقابل خان الوالد. يحوي محله كل ما يصفه الوالد من أدوية وأعشاب لعلاج مرضاه. تشمل محتويات محله ما يسمى "السبع مايات" أو العرقات. وهذه مجموعة من المستحضرات التي أساسها عطر ماء الورد وكذلك الكزبرة، الشبنت، حبة الحلوة، الخوبة وعير ذلك من الاعشاب التي بمجموعها ومستحلبها توصف للعديد من شكوى المرضى. كنت أذهب الى محله مرسلاً من الأهل للحصول على قليل من الترياك (الإفيون)، الذي كان مسمح الاستعمال في ذلك الحين، وهو يشبه قطع الطباشير وبلون بني فيقتطع منها قطعة صغيرة على شكل

كرة بقطر 2- ملم. تعطى هذه للأطفال في المساء كي يناموا عند صعوبة نومهم. وبعد وفاته ورث مهنته وجلس مكانه ولده الأستاذ محمد رضا العطار

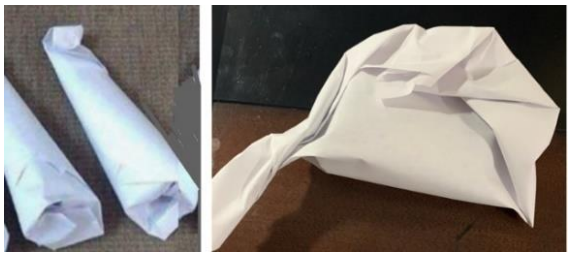

طريقة لف الاعشاب وغيرها

الشيخ حسين والشيخ عزيز البصيرين

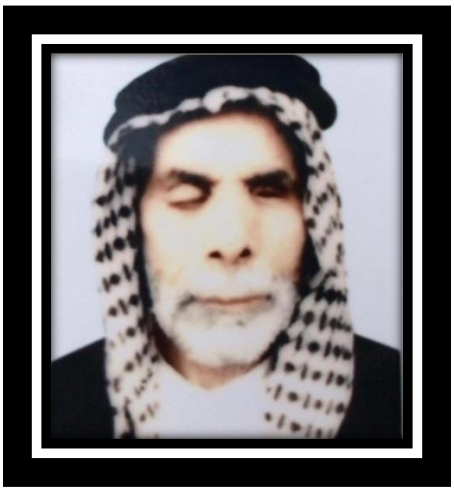

الشيخ عزيز البصير الذي عاصر الشيخ حسين البصير

كان هناك رجلين بصيرين يتمتعان بقدرة حفظ القران الكريم وتلاوته في المجالس الحسينية الاول هو الشيخ حسين والثاني الشيخ عزيز. يعتم الشيخ حسين بعمامة بيضاء وبيده عصا وفي أحيان كثيرة يقوده أحد أبناءه الى بيتنا.

تمتع الشيخ حسين البصير بقدرات فريدة. كان يرتاد مجلس الوالد فترى سعة معلوماته لا تتناسب مع ضعف إدراك من حوله من الأهل فقد كان يحفظ كل القران الكريم ويدعى لترتيله في مجالس الفاتحة. كما كان يقرأ

أدعية عديدة منها دعاء الافتتاح الذي يتلى في شهر رمضان المبارك في مجلس السيد شبر السيد موسى المكتظ مساء كل ليلة.

خلال مشاركته في المجلس الإخواني في بيتنا متحدثاً أو مستمعاً ترى يديه منشغلتين بلف سلك معدني بطول حوالي الست انجات ولديه حزمة منه في جيبه، فيعمل منها وبمساعدة عُدّة من الادوات البسيطة يحملها معه، سلسلة حديدية متينة تصلح لربط الدواب وأغراض أخرى. كذلك كان يعمل مصائد الفئران من الاسلاك.

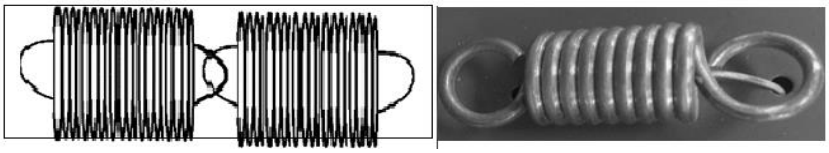

نموذج من جزء من السلسلة التي كان الشيخ حسين يصنعها.

مصائد الفئران

الحاج محمد ابو البريسم

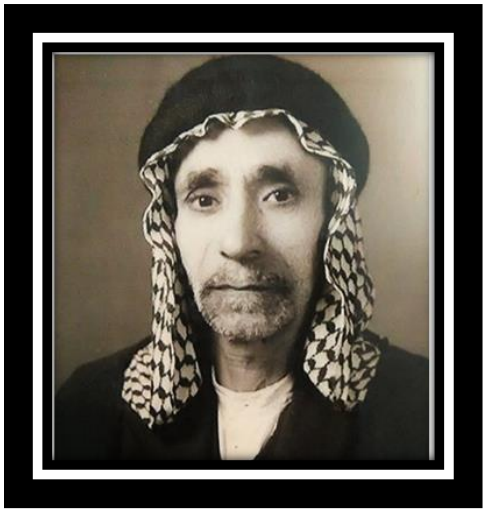

الحاج محمد أبو البريسم

في سوق البو شمسة وبين بائعي الأقمشة كان هناك الحاج الطيب محمد الأسدي المعروف (أبو البريسم). كان دكانه صغيرا بطول مترين او يزيد قليلا وعرض متر تقريبا ولكنه ملئ بأنواع خيوط الحرير "البريسم" وغيرها وتجد عنده كل انواع الخيوط المطلوبة. كان محبوباً ومحترما من الجميع وكنت استغرب من واقع بقاءه جالسا طول النهار ثانيا ركبتيه. له ولد كبير يدعى عبد علي وهو يرتدي العقال مثل والده ويتمتع بثقافة تفوق أقرانه من الشباب في حينه. والابن الاخر هو عبد الصاحب وهو زميل لي في الدراسة في الثانوية. كنا الاثنين وطالبين اخرين نحضر للامتحان النهائي للثانوية والذي كان بنهاية السنة الخامسة وليس السادسة كما اصبح في بداية الستينيات.

عبد الرزاق الخفاجي

عبد الرزاق الخفاجي

مثل فريد للروح الرياضية والقدرات غير المعهودة في مجتمعنا ذلك الحين. فقد كان عبد الرزاق معلم ابتدائية محبوبا من طلبته وزملاءه وكان رياضياً متميزاً على مستوى لواء كربلاء في السباحة وألعاب الميدان والكرة بأنواعها الثلاث. سافر على دراجته الهوائية وحيداً عبر الصحراء كان ينصب خيمته الصغيرة في بطن الصحراء بما في ذلك من صعوبات مرت به حتى وصل الى سوريا. اختلط برياضيي دمشق وشاركهم في السباحة بمسبح المدينة وإذا به يبهرهم بقدراته وخصوصاً قفزه في الماء من أعلى مستوى. ذكر لنا بأنه قالوا عنه "إنه لا يفزع"! علمت أنه بعد تلك السفرة قام بسفرات الى عدد من الدول العربية والى دول اوربية.

تفضل علي عبد الرزاق بتعليمي السباحة في شط الكوفة كما ذكرت سابقاً.

السيد جاسم المؤذن

السيد جاسم المؤذن

يصعد السيد جاسم السيد مير ليقيم بالأذان ثلاث مرات باليوم وكذلك مناداة الصائمين وقت السحور وتذكيرهم بوقت الإمساك كما ذكرت آنفاً. للطرافة أذكر أن أبناء أحد أصدقاء الوالد (واسمه رياض) اشتكى لدى والده لماذا لا يذكر السيد جاسم اسمي ويذكر أسماء أخوته (صلاح وفلاح) حيث ينادي السيد في الأذان حي على الصلاة وحي على الفلاح، لماذا لا يقول حي على الرياض!!

أحياناً يصعد المنارة بناءً على طلب ممن له مشكلة أو مصيبة حلّت به مثل أهل سيدة تعسّرت ولادتها وتحتاج الى دعاء الناس لها بأن يسهّل الله عليها الولادة، أو فقدان طفل أو ما شابه حيث ينادي السيد جاسم بقوله "يا قريب الفرج يا قريب الفرج.. عبدك بشدة ويطلب منك الفرج" يكرر هذه الجملة عدة مرات. كان كل من يسمع ذلك النداء برفع يديه بالدعاء لتلك السيدة التي لا يعرف أحد من هي، كذلك يحاول السامعون المساعدة في إيجاد المفقود مثلاً.

وبالمناسبة في مرة من المرات أخذ والدي الحاج محمد صالح الخليلي ميكرفون الأذان ليعلن من المنارة شخصيا عن وفاة العلامة الشيخ محمد حسن المظفر عام 1956 داعياً الناس لحضور تشييع الجنازة. أتذكر ما قاله في حينه وبجمل متقطعة توخياً للوضوح "من أراد ثواب حضور جنازة العلامة الشيخ محمد حسن المظفر فليحضر في مسجد الكوفة في الساعة...، وكرر ذلك عدة مرات".

زبالة كندي الكوفي

زباله كندي

عمل زبالة مدلكا في حمام الرجال وتراه في كل الاوقات متجولا في المدينة وهو متأزرا بـ "وزرة" حمراء مخططة ومنشفة يلقيها على كتفيه. والمعروف عنه أنه كان لا يلبس أي شيء آخر. وحينما يسير بين صفي المصاطب المليئة بالرواد في المقهى في وسط المدينة يتعمد زبالة رفع الإزار من حافته السفلى ليمسح قطرات العرق على جبهته وبهذا تنكشف عورته أمام الجميع وهذا ما كان يبتغيه كي يضحك الناس. وفي أكثر الآحيان يطلب منه رواد المقهى أن يفعل ذلك خاصة أذا كان معهم ضيفا لم يسمع بزبالة. وكان زبالة إنسانا طيبا لم يتشاجر أو يزعج أحدا ويقوم بعمله على أحسن وجه. يقتني زبالة في بيته أجمل وأغلى التحفيات من الشمعدانات الزجاجية والسيراميكية والكريستال المزخرفة والمصنوعة باليد في إيران وايطاليا وغيرها. كان ينضدها بصورة جذابة في غرفة بيته المطلة على الشارع العام ومن خلال شباك تلك الغرفة يتطلع المارة الى جمال تلك التحف. وفي "عرس" القاسم ابن الحسن (عليه السلام) في عاشوراء يجلب زبالة العديد من هذه التحف ليزين بها قبة عرس القاسم.

والغريب اني اكتشفت بأن زبالة ليس بذلك الشخص البسيط فله نشاطات تعدت محيطه فهو معروف حتى في خارج العراق ويحيي حفلات خاصة في بيوت داخل وخارج العراق فقد امتلك زبالة مواهب عديدة ..منها الغناء وإصدار الأصوات وأنواع الموسيقى من فمه بشكل فني نادر، ولديه من خفة الدم وسرعة البديهة والقدرة على الارتجال ما يدهش ومجلسه ممتع لا يمل وقد ترك ذكريات وتسجيلات نادرة لبعض مجالسه في بيوتات الكوفة أمتلك واحدة منها.

الملحق

رأيت من المناسب أن أرفق هذا الفصل المنقول بتصرف من الجزء الأول من مذكراتي "رحلتي في الطب والحياة" ليكمل الصورة للحياة في الكوفة في الخمسينيات.

الدراسة الابتدائية

الدخول:

أسّست مدرسة "الكوفة الابتدائية للبنين" التي عام 1922 حسبما كان مكتوباً على لوحتها في أعلى بوابة المدخل. ثم غُير بحدود العام 1950 إلى مدرسة "ابن حيان الابتدائية" تيمناً باسم عالم الكيمياء الكوفي جابر ابن حيان. كانت المدرسة دار تربية وأدب تكمل ما يتربى عليه الطالب في البيت. يطمح الطالب أن يكون يوماً ما كأستاذه الذي هو مثل أعلى في النُبل والخُلق العالي. فكان القيام للمعلم عند دخوله الصف، والاستئذان قبل الحديث، والاستئذان قبل الدخول إلى الصف بطرق الباب عند التأخر والنظام في السير والاصطفاف هي السمة الغالبة لثقافة الطلبة في المدرسة وكان هذا هو السياق المتبع في كلّ مدارس العراق في ذلك الحين.

زهت مدرسة ابن حيان وهي المدرسة الرئيسة في الكوفة بمستواها الثقافي والأخلاقي والعلمي والفني وكانت في الكوفة "مدرسة أخرى" للبنين (حسبما كنا نود نحن طلبة ابن حيان أن ننعتها!) وهي المدرسة العقيلية وتقع في الجانب الآخر الحديث من المدينة.

تقع ابن حيان على الشارع الرئيس للمدينة الذي يؤدي إلى مسجد الكوفة ومن الجانب الآخر ينتهي الشارع عند نهر الفرات. كانت المدرسة مستطيلة المساحة فيها حديقة محاذية للسياج الخارجي وعلى امتداده بعرض عدة أمتار. وعلى جانبي المدخل تقع على اليمين غرفة الإدارة وعلى الشمال غرفة المعلمين. يؤدي المدخل إلى الساحة التي تتوسط الصفوف الدراسية وكذلك غرفة الرياضة والموسيقى وغرفة الأعمال (النشاطات الفنية) موزعة على أضلاع المدرسة الثلاثة.

إحدى الأدوات الجمناستيكية التي كنا نستخدمها في درس الرياضة

وفي الضلع الخلفي يوجد باب واسع يؤدي إلى خلف المدرسة حيث توجد ساحة على امتداد الواجهة الخلفية تطل عليها الشبابيك الخلفية للصفوف حيث يقع الحانوت في الساحة الخلفية والذي كنا نجد فيه "ما لذَّ وطاب"! غير إنّ دكان السيد ناصر عبر الشارع من مدخل المدرسة كان الأكثر تشويقاً كونه عامراً بكلّ ما نحتاج إليه من قرطاسية ولوازم مدرسية وحلويات وغيرها. ولكن الوصول إليه عبر الشارع يحتاج إلى موافقات من الإدارة.

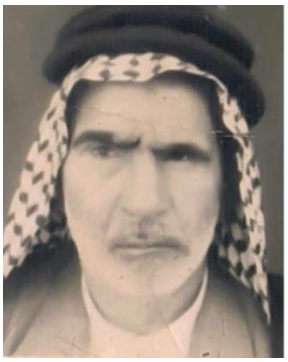

السيد ناصر صاحبّ الحانوت المقابل للمدرسة

الصف:

لا تختلف صفوف مدرستنا عن بقية المدارس ففيها الرحلات (المصاطب) الخشبية مصفوفة وفي الواجهة السبورة السوداء. يجلس على كل مصطبة طالبان أو ثلاثة. لم يكن للتبريد في الصيف غير فتح الشبابيك وفي الشتاء إغلاقها لمحاولة تدفئة الصف! فلم تكن هناك وسائل تبريد ولا تدفئة.

الرحلة (المصطبة) لجلوس الطلبة في الصف

المعلمون في الابتدائية:

للمدرسة طاقم من المعلمين والإدارة يندر وجوده في هذا الزمن. تتمثل كل تلك الشخصيات بالكفاءة والتفاني في حبّ الوطن والطالب والتعليم. فالمجتمع العراقي في كل مجالاته العلمية والأدبية والتجارية زاخر بكذا شخصيات.

هيئة التعليم في مدرسة ابن حيان: الجلوس: من اليمين، هادي حميدي، ضياء ربيع، راضي إلأعسم (المدير)، كاظم المطوق، صادق خندة علي ثم الفراش (العامل)، الوقوف: يوسف الفلوجي، حسن البصري، علي البغدادي، عباس ناجي

ومن باب الوفاء لهم سأتحدث عن المعلمين الذين ربونا وبما تسعفني به ذاكرتي وجميعهم توفاهم الله ورحمهم برحمته.

مدير المدرسة:

كان مدير المدرسة الأستاذ راضي الأعسم مربوع الجسم معتدل الطول يرتدي على رأسه السدارة الفيصلية دوماً. كان بحقّ المدير والأستاذ والأب الحازم المحب و"القاسي!" والناصح والمعلم الصادق.

مدير المدرسة الاستاذ راضي الأعسم

ثابت الخطى سلساً مع الطالب المجتهد ومشجعاً له ولم يترك الطالب الكسول لحاله، بل كان يلح عليه وعلى أهله بشتى الوسائل لإيصاله إلى مرحلة مقبولة. كانت لديه العصا المشهورة والتي تدعى بـ: "الحجية" وهي بطول القدم والنصف يضرب بها على راحة كفّ أيدي المقصرين والمتقاعسين والراسبين. وتكون العقوبة بأن يؤمر التلميذ بفتح كفّه وتهوي العصا على راحة يديه لمرتين أو ثلاث. والكُلّ واثق بأنَّ راضي الأعسم كان يقوم بذلك ليس بداعي الانتقام بل حباً منه بتقويم أبنائه التلاميذ.

وللعلم فإن هذه الطريقة كانت متبعة في غالبية دول العالم الغربي والشرقي وقد منع استخدامها رسميا بقوانين ومثال على ذلك ما صدر في المملكة المتحدة عام 1986 والولايات المتحدة عام 1977(ويكيبيديا).

في انكلترا معلم يعاقب تلميذه بالضرب بالعصى على كف الطالب

الأستاذ صادق خنده علي (المعاون):

الأستاذ صادق خنده علي

ممتلئ الجسم ذا صلعة يحاول أنْ يخفيها بتصفيف ما تبقى من الشعر على رأسه. كان متفرغاً للإدارة كفؤا طيباً حنوناً وخير معين للمدير ومخففاً للعبء على من سيعاقبه المدير فهو بحق "الوسط العازل" بين شدّة المدير وصرامته من جهة والأساتذة والطلبة من جهة أخرى. كان عدنان أخ الأستاذ صادق في مرحلتنا الدراسية وبطبيعة الحال كان يتمتع بنفس الخلق العالي الذي يتمتع به الأستاذ صادق.

الاساتذة صادق خندة علي، يوسف الشكري (لم أحظ بالتعلم على يده) وحسن البصري والسعادة على وجوههم

المعلمون: ضياء ربيع، عبد المولى الطريحي، يوسف الفلوجي، أمان الخليلي، يوسف عواد، حسين عبود، هادي حميدي وآخرون.

معلم الجغرافيا ضياء ربيع:

الاستاذ ضياء أحمد ربيع

هو ابن السيد أحمد ربيع المعروف في الكوفة والفرات الأوسط بطب العيون بالطبابة العربية الإسلامية.
اتسم الأستاذ ضياء ربيع بطول القامة، بياض الوجه وشعر مموج، أنيق الملبس هادئ السير والطبع محبوب الطلبة جميعاً. تميز نشاطه التعليمي التطبيقي في مرحلة الصف الخامس بما كان يجعل الطلبة في ترقب وهم في قمة فرحتهم وتفاعلهم معه في ذلك النشاط. يقسم الطلبة إلى مجاميع تحوي أربعة أو خمسة طلاب. تكلّف كلّ مجموعة بعمل خارطة لدولة معينة من ضمن منهج الجغرافيا. لم تكن الخارطة على الورق بل تنحت على الجبس وتظهر فيها التضاريس الطبيعية فتكون الجبال بارزة والأنهر محفورة والألوان أخّاذة وذات دلالة.
تبدأ خلطة الجبس (البورَك) ومن ثمّ يصب في قالب خشبي مربع بارتفاع ثلاث إنجات وبضلع طوله قدمين. ننتظر إلى اليوم التالي ليجف الجبس. ومن ثمّ تبدأ كفاءة الطلبة الفنية حيث تثبت في المنطقة الجبلية مسامير صغيرة بعناية. تغطى تلك المسامير بالجبس ليظهر الشكل المقارب للواقع من حيث ارتفاع الجبال أو التلال. ثم تحفر الأنهر والوديان برفق شديد. يبدأ عند اليوم التالي بعد جفافها عملية التلوين وبعد رفع القالب ترى الخارطة وكأنّها لوحة فنية على قدر كفاءة الفنانين الذين أنجزوها!

خارطة أسبانيا ثلاثية الأبعاد كالتي كنا نعملها من الجبس تحت إشراف الأستاذ ضياء ربيع

يحمل الخارطة المجسمة اثنان من أعضاء الفريق الأقوياء وتثبت على الحائط بمسامير بكلّ عناية حيثُ إنَّ الغلطة هنا تكون مكلفة (جداً!). يتبارى كلّ فريق مع بقية الفرق في الإبداع والحصول على رضا الأستاذ ضياء. أبدع الأستاذ ضياء كذلك بتحويل حديقة المدرسة الأمامية المطلة على الشارع إلى مجسم حيّ لخارطة العراق بطول ثلاثة أمتار وبنى الجبال في الشمال بالإسمنت ووضعت داخل الجبال أنابيب ماء مخفية وحفر مجرى نهري دجلة والفرات ومنابعهما وروافدهما وفروعهما وحتّى مصبهما في خليج البصرة. ينساب الماء من على الجبال ويسري في النهرين إلى الأهوار ومن ثمّ إلى شطّ العرب فالخليج. وكانت هذه الخارطة محطّ إعجاب من في المدرسة وزوارها.

الشيخ عبد المولى الطريحي:

كان الشيخ عبد المولى يُدرّس اللغة العربية. يأتي الشيخ من النجف حيث يقيم. ويصرّ أن يدخل الصف بعمامته البيضاء المهيبة وجبته الفضفاضة ذات الجيوب الواسعة.

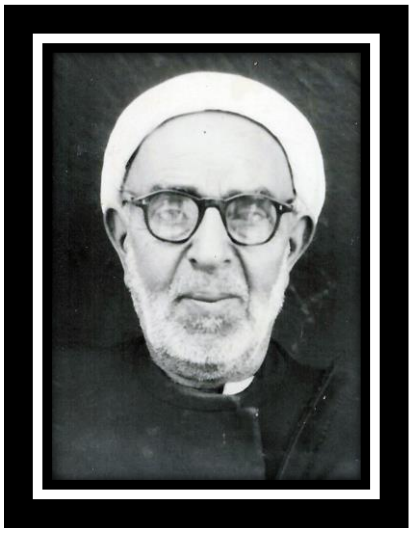

الشيخ عبد المولى الطريحي

كانت جيوبه مليئة بـ: "الملبس" وهي حلوى ذلك الزمان يفرح بها الأطفال. وكان لكلّ طالب يجيد الإجابة بالتمام على سؤال في اللغة يوجهه له الشيخ، تكون جائزته ملبسة "يمصمص" بها الطالب في الصف ويعفى من عقوبة الأكل داخل الصف. كان الشيخ طويل القامة نحيف البنية تعلو الابتسامة وجهه دوماً ولم يعاقب أي منا طوال مدة تدريسه.

معلم اللغة الإنكليزية يوسف الفلوجي: كان "ملك الأناقة والذوق". جميل الطلعة يصفف شعرة الأسود المضمخ بدهن الشعر الأجنبي الملمع بكلّ عناية من الأمام إلى الخلف.

الأستاذ يوسف الفلوجي

اختارني الأستاذ يوسف مع زميلي كامل أحمد الحكيم أن نكون أبطال المسرحية في الصفين الخامس والسادس في مهرجان المدرسة السنوي. تباريت مع كامل في إظهار قدرتنا في الإنكليزية في كلّ المجالات. لكامل أخ أكبر هو محمّد سعيد الذي أصبح أستاذنا في اللغة الإنكليزية في المدرسة المتوسطة.

معلم الصف الأول أمان الخليلي:

الأستاذ أمان الخليلي

الأستاذ أمان من أقاربنا وهو نحيف البنية معتدل الطول يلبس السدارة دوماً وكان متخصّصاً بتدريس الصف الأول وأحياناً الصف الثاني، هادئ الطبع لا يعلو صوته محبوب من الجميع. هناك حادثة وحيدة أتذكرها في الصف الأوّل هي عندما كنت أقصر في إكمال واجباتي البيتية اليومية وأعاقب منه بالكتابة بالطباشير على السبورة: "يا أستاذ بس هالمرة (هذه المرة فقط)" وقد كتبتها باتّجاه قطري من الزاوية العليا اليمنى باتّجاه الزاوية السفلى اليسرى. كنت أحاول أن أرفع جسمي في البداية إلى أعلى السبورة وأنتهي بتأثير التعب عند نهاية السطر فيميل السطر إلى أسفل مع قطر السبورة! وكان ذلك درساً لن أنساه.

هادي حميدي:

قصير القامة مفتل الشعر ذا صلعة صغيرة في أعلى رأسه. درسنا هادي حميدي مادة الدين وكان يحاول كل جهده بأن يتفاعل مع الطلبة كي يجعلهم مؤمنين بالمنطق وليس بالتقليد لآبائهم وذويهم. فكان درسه "ديمقراطيا" الى حد ما. الى درجة ان الطالب صادق رزاق الذي يجلس في المقاعد (الرحلات) الخلفية قال للأستاذ بعد أن بين في أحد الدروس عجز البشر أن يأتوا بآية من آيات الذكر الحكيم، وإذا بصادق في اليوم التالي يجرأ ويقول: استاذ أنا ألفت آية أود أن ألقيها على مسامع الجميع. وبين استنكار الطلبة والاستاذ سمح له الاخير أن يقول ما

عنده وإذا بهادي حميدي يغضب ويزمجر ويوبخه على هذا التطاول "والكفر" وكذلك الطلبة أبدوا سخطهم على صادق. وكان صادق من أطيب الطلبة، ولكنه لم يكن موفقا في الدراسة.

هادي حميدي

معلم الرسم حسن البصري:

معلم الرسم، حسن البصري (أبا ماجد زميلنا في المدرسة) شاب طويل يرتدي السدارة دوماً والتي تضفي عليه هالة من الوقار. متواضع يمشي بهدوء تراه مبتسماً كلّما تلقاه وكان حبّ الفنّ متأصلاً فيه وبوده أنْ يمنح ذلك الحبّ لكلّ طلابه وبوده أنْ يأخذوا الدرس على محمل الجدّ. ولكن الطلبة يعدّون درس الرسم درس لعب ولهو مع أنّ درجاته تحتسب في نهاية السنة!

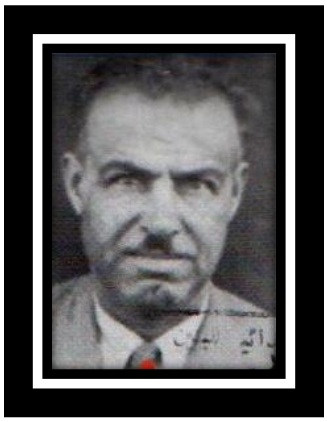

الاستاذ حسن البصري

معلم الرياضة والنشيد يوسف عواد: كان شغوفاً بالموسيقى والأناشيد. اكتشف مع الأستاذ حسين عبود موهبة الغناء لدى زميلنا الطالب محسن جبر وشجعاه على أن ينشد ويغني في كل سفرات الطلبة والفعاليات

المدرسية. كان الأستاذ يوسف يحبّ الموسيقى ويعزف على الكمان ويحاول أن يجعل الطلبة يتذوقون حلاوة الموسيقى التي تصاحب النشيد الذي كنا ننشده كمجموعة.

اختار الأستاذ يوسف مقطوعات شعرية لتكون ضمن أناشيدنا ومنها (علم الأمة إنا معك) و(لحصاها فضل على الشهب) و (أمينة وكلبها) وغير ذلك. ومن الطريف أن اشتهرت أغنية للمطربة المعروفة آنذاك لور دكاش وهي بعنوان "آمِنْتِ بالله" من كلمات الشاعر صالح جودت والتي بدايتها: آمنت بالله... آمنت بالله... نور جمالك آية... آية من الله... آمنت بالله... آمنت بالله.

حورت تلك الأغنية إلى أنشودة وطنية بنفس اللحن ولعل الذي حورها هو الأستاذ يوسف. كنا ننشدها بنفس اللحن وبكلماتها الجديدة ومنها: "بلادي تحيا... مليكي يحيا... والوطن الغالي... ألا فليحيا... بلادي تحيا... مليكي يحيا...يا بلادي لك حبٌ مستقرٌ في الفؤاد...جاور حب المليكِ فيصلٌ خير العباد".

معلم "الأشياء والصحة" حسين عبود: غنيٌ عن التعريف فقد كان لولب النشاط الأدبي والعلمي في المدرسة. كان درسه في غاية الإمتاع من الناحية العلمية والثقافية. وهو يحفظ أسماء جميع الطلبة ويعرف آباءهم لعمق علاقته بالمجتمع.

الأستاذ حسين عبود

كنت اتشرف بلقائه حين أزور الكوفة بعد تخصصي الطبي. أرسل لي متفضلاً في الثمانينيّات أبيات شعر من نظمه وقد خطها بيده موجهة للعم الأستاذ الأديب جعفر الخليلي ولي أيضا.

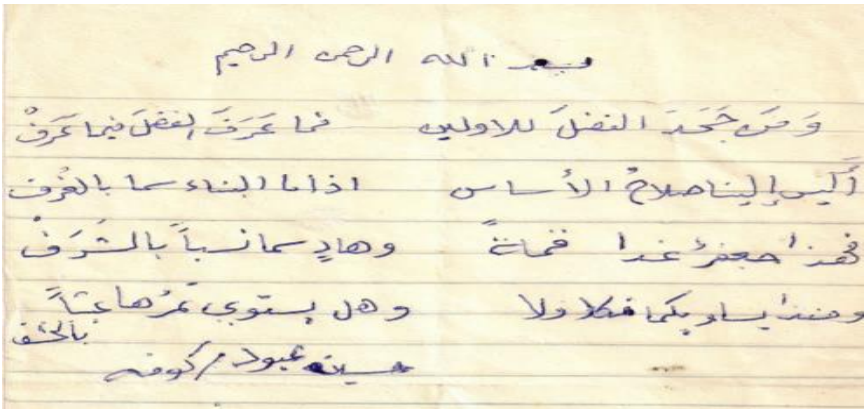
بسم الله الرحمن الرحيم

ومن يحمد النفل للاولين فما عرف النفل فيما عرف

ألم ير إلى اصلاح الأساس اذا ابتدءا بالشرف

فهذا جعفر غدا فمات وهادٍ سمانباً بالشرف

وهذا باركما فملا ولا وهل يستوي عمرها عبثاً بالخلف

حسين عبود / كوفه

شعر بخط يد الأستاذ حسين عبود

الفراش "عمي" هادي:

لا يمكن أن ننسى المدرسة "عمي" هادي كما كنا نناديه فهو الراعي المحبوب للطلبة بالرغم من عنوانه فراش المدرسة (بواب) فقد كان شخصاً ذا حضور واضح وأخلاق سامية محترماً من الجميع. رزقه الله بولد صالح أصبح من قياديي المجتمع المصرفي في العراق والخليج العربي. وبما اتصف به من إخلاصه وحبه ورعايته لوالده كان يفخر به أمام كلّ زملائه في العمل.

لم يتخلف "عمي" هادي عن موعد طرق الجرس في تمام وقته في بداية ونهاية كل درس. وكان الجرس قطعة حديد اقتطعت من سكة قطار "شيلمانة" بطول قدم واحد مثقوبة من إحدى طرفيها ومعلّقة بحبل على شجرة في باحة المدرسة، ويطرق عليها بمفك الصامولات "سبانة" طرقاً ترديا سريعاً على جوانبها. كان الجرس لنا كما قال أمير الشعراء شوقي:

لهم جرسٌ مفرحٌ في السراح وليس إذا جدّ بالمطرب

جرس المدرسة والمفك (السبانة)

طقوس مدرسية:

الاصطفاف الصباحي:

في كلّ صباح عند "الاصطفاف" الذي يعني التجمع الصباحي الرسمي ننشد الأناشيد التي تمجد الوطن والعَلَم والمِلك. يطلب منا المعلم المسؤول في أيام الشتاء الباردة أن نقوم بحركات رياضية بسيطة كي نشعر بالدفء. كنّا ننشد قصائد عديدة منها قصيدة "لحصاها" للشاعر محمّد حبّيب العبيدي من الموصل أم الربيعين يمجد فيها العراق:

لحصاها فضل على الشهب وثراها خير من الذهب
تتمنى السماء لو لبست حلة من طرازها العجب
إن بدا الآل في مفاوزها قل لنهر المجرّة احتجب
وإذا الأرض شام مبسمها أسكرته بحلة العجب

أو إنشاد قصيدة جميل صدقي الزهاوي:

عش هكذا في علو أيها العلم فإننا بك بعد الله نعتصم
جاءت تحييك هذا اليوم معلنة أفراحها بك، فانظر، هذه الأمم
إن العيون قريرات بما شهدت والقلب يفرح والآمال تبتسم
إن احتقرت، فإن الشعب محتقر أو احترمت، فإن الشعب محترم
الشعب أنت، وأنت الشعب أجمعه وأنت أنت جلال الشعب والعظم
فإن تعش سالما عاشت سعادته وإن تمت ماتت الآمال والهمم
هذا الهتاف الذي يعلو فتسمعه جميعه لك، فاسلم أيها العلم

وكذلك نشيد:

مليكنا مليكنا نفديك بالأرواح عش غانما عش سالما بوجهك الوضاح
سر دائما يا فيصل حليفك النجاح حلق بنا إلى العلى مرفرف الجناح
ابعث لنا تاريخنا قد أقبل الصباح مليكنا مليكنا نفديك بالأرواح

وفي كلّ يوم خميس يرفع العلم في الاصطفاف وننشد:

يا علم الأمة أنا معك حتم علينا لك أن نرفعك

العلم شعور الامة ورمز الاستقلال والرفعة

نشيد العلم

لحضرة الشاعر الكبير الاستاذ
معروف افندي الرصافي (نظمه
خصيصاً للكشاف العراق)

يا علم الامة إنا معك ... حتم علينا لك ان ترفعك
مرنا بما شئت فتأريخنا ... يكفل منا لك ان تسمعك
وسر الى ما رمت من سؤدد ... فالواجب الاقدس ان تتبعك
فيك شيات اربع لم تزل ... توضح للناس بها منزعك
تعترف الناس لنا بالعلى ... اذا رأت اعينهم اربعك
هن رموز لعصور مضت ... بالعز للشعب الذي ابدعك

يا علم العرب وسعت العلى
ما اضيق الدهر وما اوسعك
اودعك الخالق تأريخنا
فاخفق على الارض بما اودعك

قصيدة يا علم الأمة إنّا معك للشاعر معروف الرصافي

يطلب في مرات متعددة من زميل كان بعدي في المرحلة الدراسية (لا أتذكر اسمه) متميز بالقدرة على إلقاء الشعر بحماسة غير معهودة كي يلقي وبأعلى صوته، القصيدة الواسعة الانتشار للشاعر إبراهيم اليازجي (1847-1906) التي نظمها عام 1883 وهي تنطبق كذلك على حال الأمة العربية في زمننا الحاضر تماماً حيث يقول:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب ... فقد طما الخطب حتّى غاصت الركبُ
فيم التعلل بالآمال تخدعكم ... وأنتمُ بين راحات القنا سلب
أَلِفتم الهون حتّى صار عندكم ... طبعاً وبعض طباع المرء مكتسب
.....
ومن يعش يرَ والأيام مقبلة ... يلوح للمرء في أحداثها العجب

فتدوي الساحة بالتصفيق المصحوب بالانفعال العاطفي الوطني المعهود والذي استمر لعشرات السنين ولم يتنبه ولا أن يستفيق العرب!!

مهرجان المدرسة السنوي:

من التقاليد المهمة للمدرسة إقامة مهرجان سنوي ثقافي مليء بالمادة الثقافية والترفيهية المتعددة الجوانب أبطاله هم الطلبة وبعض المعلمين يحضره الأهل وبعض المسؤولين.

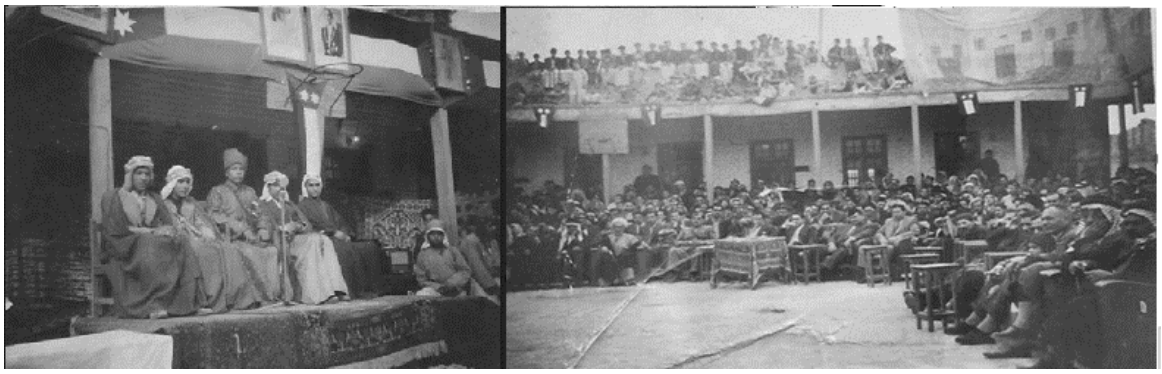

جانب من احتفال مدرسة ابن حيان السنوي في العام 1952 وصورة لإحدى المسرحيات

عبد الهادي الخليلي في الصف الخامس الابتدائي يلقي كلّمة في المهرجان السنوي للمدرسة

كان من بين برنامج المهرجان مناظرة مع أربعة زملاء يقودها الطالب فاضل مراد. كان فاضل يسأل سؤالاً عاماً ويجيب عنه من يرفع يده أوّلاً. وبالحقيقة كانت الأسئلة والأجوبة ومن يجيب عنها معدة مسبقاً. كانت

هناك مسرحية بسيطة باللغة الإنكليزية ونحن في الصف الذي يبدأ فيه تعليم تلك اللغة. كان أستاذ اللغة الإنكليزية يوسف الفلوجي يطمح بعرض كفاءته وقدرات طلبته في تلك المرحلة المبكرة. تكررت تلك المسرحية في العام التالي وبنفس الأشخاص والهمة.

من فعاليات المهرجان: شارك ضمن المهرجان الثقافي للمدرسة البطلان الوطنيان حسين تاجر النجفي وعباس الديج (الديك) في مهرجانين لسنتين متتاليتين ضمن مرحلة دراستي الابتدائية. كانت هذه من أحلى المناسبات وأكثرها تشويقاً.

يختال حسين تاجر فيظهر قوته أمام الجميع وهو بلباس الرياضة مبرزاً عضلاته الضخمة. قدم عرضاً مبهراً حيث كان ينتصب واقفاً أمام منضدة وضعت عليها صينية سميكة مصنوعة من النحاس بقطر قدم ونصف تقريباً وبحافة متعرجة أكثر سمكاً من الصينية نفسها. هدفه أن يقطع الصينية إلى نصفين بقوة ساعديه. يبدأ بتمرير الصينية على الضيوف الجالسين في الصف الأمامي كي يتأكدوا من تفاصيلها المعدنية. وبحركات بهلوانية تجذب الأنظار يبدأ في قطع الصينية وهو يتلوى يميناً وشمالاً صاعداً نازلاً فتراه في صراع شديد مع الصينية يلويها وتلويه وترى قطرات العَرق تتصبب من وجهه المحمّر وتنتفخ أوداجه وتشاهد أوردة رقبته محتقنة وتسمع صوت شهيقه وزفيره من على البعد وقد شخصت أنظار الجميع إليه.

الصينية النحاسية بالحافة السميكة المتعرجة التي أحتفظ بما يشبهها في بيتي

ويستغرق عشر إلى خمس عشرة دقيقة ينجح النجفي في قطع الحافة ثمّ صحن الصينية ثمّ الحافة المقابلة فتنتهي الصينية النحاسية بنصفين ويرفع كلّ نصف بيد وسط تهليل وتصفيق الحاضرين.

المصارع عباس الديچ

أما عباس الديچ (الديك) فكان يظهر بطولته بسحب سيارة نقل صغيرة "بيكب" تدخل في وسط الساحة مربوطة بحبّل يشده في وسطه. وفي مرة مسك الحبّل بين أسنانه وهو يسحبّ السيارة. ومن ثمّ القيام ببعض الألعاب البهلوانية وأخيراً يتوج بطولاته بالانبطاح أرضاً على ظهره واضعاً وسادة خفيفة على صدره لتمر عليه السيارة وهو يقاوم ثقلها بعضلاته المفتولة وينهض وكأن شيئاً لم يكن، وتدوي الساحة بالتصفيق له كما دوت لحسين تاجر.

وهكذا كانت هذه المظاهرة الرياضية أو المهرجان السنوي عرساً اجتماعيا للمدينة وفخرا للطلبة والأساتذة وأهل المدينة.

الكشافة والسفرات:

كانت السفرات التي تقوم بها المدرسة من أحلى الأوقات التي نقضيها في أطراف المدينة وأهمها سفرات الكشافة، حيث غالبية الطلبة كانوا ينخرطون في صفوف الكشافة. تجهزنا المدرسة بالقيافة الخاصة بحسب المواصفات الدولية من القميص والسروال والجوارب والرباط والـ: "جوزة" التي يدخل فيها الرباط والقيطان والصافرة والسدارة التي في نهايتها الأمامية علامة الكشافة وكذلك الكوب والحبل.

كشافة الكوفة عام 1952

أما السفرات الترويحية فكانت إلى منطقة (كري سِعدة) الواقعة في الصحراء بين النجف والكوفة أو إلى البساتين المحيطة بالمدينة وما أكثرها! نأخذ "متاعنا" معنا من أكل وماء وهناك نلهو ونلعب ويتوج ذلك بما يشنف أسماع الجميع الطالب المطرب محسن جبر وفرقته الموسيقية المكونة من الطبلة والدفّ والناي.

الطالب المغني محسن جبر

وأتذكّر وانا في الصف الرابع أو الخامس وفي إحدى تلك السفرات الترويحية غنّى محسن أحدث أغنية متداولة في حينه وكانت أغنية: "عسنك.. عسنك.. هله ويبه يَشَط عسنك"!! يشارك الجميع من أساتذة وطلبة أغاني محسن في التصفيق والدندنة.

الفحص الطبي السنوي للطلبة:

استمر نظام الفحص السنوي للطلبة في الابتدائية طول سنوات دراستي فيها. شمل ذلك الفحص البدني وفحص الأسنان. كان الطبيب لبناني هو الدكتور أمين قاسم زهر ومعه طبيب أسنان. كنّا نصطف الواحد تلو الآخر ليقوم بالفحص الطبي علينا بالتوالي وهو جالس على كرسي. كنا نتندر بلهجته اللبنانية حيث يقول للطالب: "افتح حلقك" وهي بلهجتنا "فكّ حلگك"! وللتاريخ أذكر بأن هذا الفحص الإلزامي السنوي لطلبة المدارس الابتدائية

أدخله لحيز التطبيق مؤسس جراحة الدماغ البريطاني السير فيكتور هورسلي (1857 – 1916) والمدفون في مقبرة الإنكليز في مدينة العمارة. بعد فحص الدكتور أمين يفحصنا طبيب الأسنان داخل الفم. كنا نتجرع مرغمين ملعقة من دهن السمك الشديدة المرورة تفرّغ في فمنا!

جراح الدماغ السير فيكتور هورسلي 1857 - 1916

الدراسة في المسجد والشيخ خضير الحلي:

كان الأهل يرسلوننا في العطل الصيفية إلى المسجد للدراسة حيث كان الشيخ خضير وهو إنسان محترم يتقن اللغة العربية والرياضيات الأولية ليدرسنا الدين واللغة العربية وأحياناً الرياضيات. ولا أعلم لماذا كنا نلقبه بالشيخ "زنبور" لعل ذلك بسبب سرعة غضبه وزمجرته! نبقى في المسجد لساعات كلّ يوم. أذكر أنه كان حينما يصلّح دفترنا في اللغة العربية أو الرياضيات وتكون الإجابة كما يجب فإنّه لا يؤشر على الإجابة بالرمز المستعمل (✓) بل يؤشر عليه بكلّمة "صح"! وبطبيعة الحال يعاقب الراسب بضربات العصا الطويلة أما للمشاكسين جداً فهناك الفَلَقة. وهذه هي عصا غليظة ربط بنهايتيها حبل بحيث يبقى الحبل متدلياً. يطرح المذنب أرضاً على قفاه وتوثق راحتي القدمين بالحبل المتدلي وتلفّ العصا حول نفسها عدة لفات حتّى تُحبس القدمان ولا يتحركان داخل هذه "الكبسة". ويبدأ الضرب بالعصا الأخرى المعدة لهذا الواجب بضربات على راحة القدمين تتناسب مع شدّة الذنب.

الفلقة في الأعلى وفي الاستعمال بالأسفل وتظهر العصا على راحة كف القدمين

من المخالفات الشديدة في عُرف الشيخ خضير كانت السباحة في شط الكوفة في غضون تلك الفترة. كان يختم بالحبر على كاحل قدم الطالب قبيل مغادرته المسجد ليجبر الطالب على عدم السباحة. يتأكد الشيخ في صباح اليوم التالي من وجود الـ "الطمغة" أي الختم على قدمه. أما إذا كانت ممسوحة فيجب على الطالب أن يجلب ورقة من أهله تذكر بأنه اغتسل في الحمام وليس في الشط ليعفيه من العقوبة!

أحد الشيوخ في الجامع مع الاطفال يمثل ما كان عليه الشيخ خضير

لم نكن راغبين بتلك الدراسة الصيفية وكنا نشعر بالسعادة والانعتاق عندما يحين موعد المدرسة لننخرط في الدراسة النظامية. وكنا من شقاوتنا نعبر عن ذلك الشعور بالخلاص بأن نقف بباب المسجد مرددين بعيدة عن الأصول، ولكنها الطفولة وشقاوتها.

.

مستشفى الفرات الأوسط:

مستشفى الفرات الاوسط

أنشئت مستشفى الفرات الأوسط في الكوفة عام 1945 وهو من أفضل المستشفيات خارج بغداد . نظمت إدارة المدرسة في إحدى سنين دراستنا زيارة إلى المستشفى بالاتفاق مع مدير المستشفى الدكتور عبد الرسول الحداد.

الدكتور عبد الرسول حداد مدير مستشفى الفرات الاوسط بين 1953- 1956

الشيء الوحيد الذي أتذكره من تلك الزيارة هو ما عرضه مدير المستشفى الدكتور عبد الرسول الحداد لطريقة تصفية مياه الشرب للمرضى الراقدين. أتذكر أنها كانت بطريقة ربط أربعين "حِبّاً" (وعاء خزفي) كبيراً مرتبطة مع بعضها البعض بالتوالي بأنابيب قصيرة. يوضع في كلّ حِب بعض الشبّ (Alum)، الذي يرسب الأطيان العالقة بالماء وبالتالي يؤخذ الماء للشرب من الحِبّ الأخير في نهاية السلسلة.

تجمع "الحِبوب" الأوعية الخزفية لتصفية الماء تشابه ما كان في المستشفى

القصر الملكي:

اختيرت مدينة الكوفة لإنشاء قصراً ملوكياً لاعتدال جوها وطيب هواءها ولقربها من مدينة النجف الأشرف يقضي فيه الملك وحاشيته ليلة أو ليلتين عند زياراته الأماكن المقدسة في النجف والكوفة. وقد بدأ بناء القصر في العام 1946. يطل القصر على شطّ الكوفة في شمال المدينة. يحيط به سياج حديدي مشبك من الأمام ولكن بجدران طابوق تعلو إلى أكثر من مترين في جوانبه الثلاث الأخرى. للقصر بوابتان رئيستان حديديتان في الجانب الأمامي المطل على النهر والجانب الخلفي يتصل بالطريق الذي يخترق بساتين المدينة باتجاه مسجد الكوفة وثبت على البوابتين التاج الملوكي.

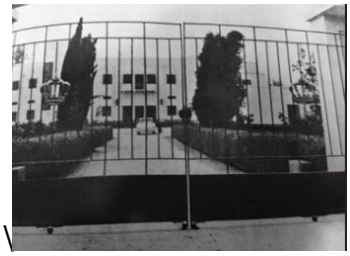

باب المدخل الأمامي وعلى جانبيه التاج الملوكي

تحيط بالقصر حديقة غناء. تتسلق السياج الأمامي نبتة تصل إلى ارتفاع المتر تقريباً وفيها ثمرة غريبة كنا نسميها "بطّوش" لم أشاهد مثلها قط! والثمرة مغزلية الشكل بطول ثلاثة إنجات وقشرها سميك في داخلها حبيبات مثل بذر البطيخ ولكنها حلوة المذاق نستمتع بأكلها. وجدت في الولايات المتحدة فاكهة تشبهها تزرع في جنوب شرق آسيا تدعى بالثمرة النجمية أو الكارامبولا (Carambola–Starfruit) ولكنها تختلف فيما تحتويه بداخلها وفي مذاقها.

فاكهة الثمرة النجمية التي تشبه ثمرة "البطوش" التي كانت تنبت على سياج القصر الملكي في الكوفة.

زيارات الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإله إلى المدينة:

زار الكوفة الملك فيصل الثاني والوصي على العرش عبد الإله عدة مرات. يتم الاستعداد للزيارة الملكية على مستوى المدينة ببناء العديد من "العارضات" التي تنصب في الشوارع التي يمر بها الموكب عند توجهه إلى القصر الملكي. تصنع هياكل العارضات من الخشب وتغلف بالقماش اللماع الملون وتوضع عليها صور الملك والوصي وجمل الترحيب.

العارضة في حفل استقبال الموكب الملكي

الترحيب بالسيارة الملكية

أما على مستوى الطلبة فكنا نستعد بملابس الكشافة ونسير مع المعلمين إلى تلك الشوارع لنصطف على جانبي الشارع لاستقبال الموكب حيث يمكن أن نحظى بالتفاتة من الملك أو الوصي وهما في سيارتهما.

لم يدخل ولم يحلم أحدنا أن يدخل إلى القصر في ذلك الزمن. ولكن بعد ثورة 14 تموز تمكنا نحن الأولاد من الدخول إلى القصر الذي تركه حراسه فتجوّلنا بسرعة خاطفة في أروقة وغرف القصر.

دخلت غرفة نوم الملك وكان فيها سرير أوسع من السرير الاعتيادي طرح عليه شرشف بلون أزرق سمائي لماع وعليه وسادة اسطوانية نسميها الـ"لولة" من نفس القماش. وهذا الفراش هو أقل ما كان متوقع من غرفة نوم ملوكية مقارنة بما عرفناه عن بذخ الملوك في مصر وإيران مثلا.

توضيح وشكر: استعرت عددا من صور هذا الفصل من موقع أهل الكوفة على الإنترنت بعد الحصول على الموافقة الأصولية. أتقدم بالشكر والعرفان لموقع "أهل الكوفة" وللأكارم الذين نشروها فيه.

الدراسة المتوسطة

بعد الرحلة الممتعة في مدرسة ابن حيان الابتدائية التي ابتدأت بالدموع وانتهت بالضحكات، انتقلنا الى مدرسة الكوفة المتوسطة للبنين سنة 1954.

مدرسة متوسطة الكوفة:

تقع مدرسة الكوفة المتوسطة على يمين الطريق الرئيس المؤدي إلى مسجد الكوفة. بنايتها صغيرة نسبياً والصفوف على خطّ واحد مواجه للشارع. قبل دخولنا فيها كانت مدرسة ثانوية تضم المرحلة الإعدادية بالإضافة للمرحلة المتوسطة. وأتذكّر أنَّ الدكتور جعفر الكويتي الذي كان يتقدمني بسبع سنوات دراسية قد أنهى دراسته الثانوية في نفس المدرسة التي كان اسمها ثانوية الكوفة. يبدو أنّها أغلقت بسبب قلة عدد الطلبة أو الملاك التدريسي.

أتذكر من الزملاء من خارج المدينة الذين درسوا معنا في المتوسطة ربيع القيسي (الذي أصبح مدير المتحف العراقي) وأخيه شاكر وكان يسبقهما في الدراسة أخوهما رياض القيسي الذي أصبح وكيل وزارة الخارجية العراقية. أما الزملاء من المدينة فكان منهم: ابراهيم الفحام، توفيق شمس، جبار نايل، جواد الشامي، جواد راهي، جواد محسن الصباغ، جودي الفحام، حسين ناصر، حميد شبر، رسول الكوفي، سامي القزاز، طاهر المظفر، طاهر كرضا، عبد الحسين دعيبل، عبد الزهرة حسين، عبد القادر كروف، عدنان القزاز، عدنان خنده علي، عميد جواد، فاضل عجينة، كاظم ابو ناصرية، كامل الحكيم، محمد صالح صاحب، ميري عريعر، ناجح صبي، يوسف الحكيم. ويمكن أن فاتتني أسماء زملاء آخرين.

كان في تلك المرحلة مدير المدرسة جاسم الحسيني والمدرسين الذين وضعوا بصماتهم على الجميع ويظهر غالبيتهم في الصورة التذكارية التالية.

هيئة التدريس في متوسطة الكوفة، الجلوس: من اليمين، عبد الرحمن حلمي (مصري)، محمّد الشكري، جاسم الحسيني (المدير)، عبد الله عمران ثم حسين السبع. الوقوف: محمّد الصباغ (كاتب المدرسة) يونس السامرائي، أحمد السهروردي، عزيز حنوش، سعيد الحكيم وحسين حمدي

المدرسون:

عبد الرحمن حلمي: أبدأ بالأستاذ عبد الرحمن حلمي الذي أثر بي كثيراً. لقد جاء الأستاذ عبد الرحمن المصري الجنسية من مصر إلى العراق وتم تعيينه في مدرستنا ليدّرس علم الأحياء. كان ضخم القامة أبيض السحنة مستدير الوجه ذا لحية مقتصرة على الحنك وكان أنيقاً بملبسه بـ: "وردة العنق" التي كانت غريبة على مجتمعنا المحلي.

الأستاذ عبد الرحمن حلمي

للأستاذ عبد الرحمن مختبر في منزله يجري فيه التجارب على الضفادع العراقية التي يربيها حتّى تتزاوج وتبيض ويتابع نموها وأدوار استحالتها بأدق التفاصيل. مما أثار استغرابنا أن عالماً بهذا المستوى يأتي من مصر إلى العراق ليدرس في مدرسة بمستوى المرحلة المتوسطة وهو الذي يماثل أساتذة الجامعات.

كان يجلب مجهره الخاص إلى الصف وهو مجهر من نوع متطور يصلح للتدريس لم أر مثله في مختبراتنا حتى في الكلية الطبية أو المستشفى الجمهوري حينما كنت طالباً أو عندما أصبحت طبيباً مقيماً. حينما ننظر في المجهر كان يؤشر بقلمه الرصاص الذهبي الطلاء على صورة توضيحية كان قد خططها على ورقة ووضعها بالقرب من المجهر. تظهر نهاية قلمه المدببة وكأنها داخل المجهر فيؤشر بها ليدلنا على ما يجب أنْ نلاحظه من بيوض ومراحل أدوار الاستحالة التي يمرّ بها نمو الضفدع. كان ذلك يبهرنا مثلما يبهرنا الأستاذ ببراعته وأسلوبه العلمي.

أتذكر أن مجلة العالم الأمريكية واسعة الانتشار نشرت عنه مقالاً بعنوان "عالِم ترك ضفادع مصر واتّجه إلى ضفادع العراق". وجدت فيه ذلك العالم الباحث الذي يكافح ويتخطى الصعوبات في سبيل تحقيق هدفه العلمي فتعلمت منه درساً في الحياة في حبّ العلم والبحث.

عبد الله عمران:

قصير القامة نحيف البنية بصلعة خفيفة هادئ النبرة. كان يدرس التاريخ في الصف الأول ولكن ليس بالأسلوب النمطي، حيث كان درسه رائعاً جداً لأن فيه تفاعل الطالب مع المادة والاستعداد لمادة الدرس مسبقاً. تميز بسعة معلوماته ورغبته بتوسيع أفق الطلبة وكمثال على ذلك القصة التالية التي أذكرها كمثال على نفس السياق الذي زرعه عبد الله عمران فينا. والقصة كما جاءت على لسانه باللغة الإنكليزية وكان يترجم ما صعب منها علينا، تتلخص بأن نابليون بونابرت حينما خسر معركة حاسمة في إحدى صولاته كان يجلس بين قادته في قعر الوادي على سفح جبال الألب والكُلّ منكسر المعنويات يندب ما آل إليه الجيش وسمعة فرنسا. وإذا بنابليون يطلب اجتماعاً عاجلاً للقادة بعد منتصف الليل. فاجأهم بخطّة جعلتهم واجمين إذ قال لهم: هل يتمكن جيشنا من تسلق جبال الألب للقيام بهجوم غير متوقع وفجائي على العدو المنتصر الذي يعسكر في السفح الآخر للجبال؟ كان من المستحيل أن يتوقع أحد أن يحدث ذلك لارتفاع قمة جبال الألب وشدّة انحدارها والثلوج التي تغطيها ومعاناة جيشه من الانكسار والخذلان. فأجاب القادة عن سؤاله القصير الواضح: "هل يمكننا القيام بهذا الهجوم"؟ فكان الردّ: نعم، ولكن. وهنا انتفض نابليون قائماً وقال ليس في قاموسي كلمة: "ولكن" لنبدأ بالحركة. وبالفعل، جمع نابليون جيشه ودفعه عبر جبال الألب وقام بالهجوم المفاجئ الذي باغت فيه العدو المنتصر والذي لم يأخذ أي

حذر من هكذا هجوم، وانتصر نابليون وسجل سابقة عسكرية وفن قيادة رائدة بتحقيق مفاجأة العدو من حيث لا يحتسب.

أحمد السهروردي:

جاءنا الأستاذ أحمد من بغداد يدرس مادة التاريخ للصف الثاني. كان يتوسع في تدريس المادة خارج نطاق المنهج المقرر. كان يدرّسنا بما هو في المنهج المدرسي المقرر والذي يتقاطع أحيانا مع الثقافة الدينية المحلية في بعض تفاصيله، ولكن ذلك لم يسبب أي إحراج له ولا لنا. ولقد أحب المدينة وأهلها وأحبه الطلبة وأهاليهم.

عباس الوهاب:

شعلة الذكاء والمتابعة هو الأستاذ عباس الوهاب الذي ينحدر من عائلة آل طعمة الكربلائية الكريمة. كان يعشق اللغة الإنكليزية وتدريسها. يخرج في أكثر الأحيان من السياق النمطي في التدريس إلى آفاق واسعة من اللغة وآدابها والكُلّ مبهور به وبمادة اللغة بالرغم من أنّها لم تكن المادة المحببة لعدد من الطلبة. لم يقبل الأستاذ عباس بما هو فيه إذ التحق بعد عام تدريسنا بدراسة الدكتوراه خارج الوطن وعاد قائداً تربوياً وأستاذاً في جامعة بغداد.

محمّد سعيد الحكيم:

إبن الكوفة والمحبب لأهلها، والده العطار السيد أحمد الحكيم الساكن في منطقتنا محلة السراي وكان أخوه كامل من زملائي في الدراسة الابتدائية والمتوسطة. كان الأستاذ الحكيم يدرسنا اللغة الإنكليزية بعد ما غادر الأستاذ الوهاب. كان حديث التخرج طموحاً في أنْ يرضي الجميع ويثبت لهم بأنَّه ذلك الأستاذ الجدير بالتقدير وهو يستحقه بكلّ ما في الكلمة من معنى.

عزيز حنوش:

عزيز حنوش وما أدراك ما عزيز حنوش فهو "أبو الرياضيات" كما كنا ننعته! تقدّم به العمر وانحنى ظهره ومع ذلك كنت تراه داخل الصف بعزّ نشاطه بدون الجاكيت ويداه "ملونّتان" بمسحوق الطباشير وهو يميل يميناً وشمالاً يتفاعل مع المعادلة ويتلفت بين السبورة والطلبة ولا يترك طالباً إلا بعد أنْ يستوعب المادة.

يونس السامرائي:

حلّ علينا الأستاذ يونس من بغداد وسامراء أستاذاً قديراً يدرّس اللغة العربية. حسن الهندام هادئاً يسير ببطء ويعتني بشعره عناية خاصة طويل القامة أبيض السحنة يميل شعره إلى الصفرة. كان متفانياً في تدريس مادته، واسع الأفق ذا ثروة لغوية وأدبية متنوعة. أحببناه جميعاً وكنا متشوقين لسماع الشعر والنثر منه من ضمن وخارج المنهج الدراسي.

محمّد الشكري:

شاب من أهل المدينة يعجّ بالحيوية والنشاط والعلم وحبّ المختبر والتجارب المختبرية وقد جعلنا نشعر بأهمية تلك المادة الدراسية، الكيمياء، لتدريسه الشيّق. شمل مختبره كلّ ما يحتاج تطبيقه في المنهج ولم تبق تجربة سُطرّت في الكتاب المنهجي إلا وقام بها. ولكفاءته العالية وتطلعه للعلم والمعرفة ترك التدريس بعد عدة سنوات وغادر إلى الولايات المتحدة للحصول على شهادة الدكتوراه التي حصل عليها وعاد إلى العراق وأصبح أستاذاً في جامعة بغداد.

حسين السبع:

مربوع القامة أبيض البشرة مستدير الوجهة كله حيوية وبِشر. كان يدّرس الرياضة والموسيقى. وبالرغم من أن جسمه مائل للبدانة إلا أنه يتمتع بقدرات رياضية عالية.

طرائف وقصص حكمية

١

قترح عليّ الاستاذ القاضي محمد جواد الطريحي أن أوثق بعض القصص التي سمعتها من والدي المرحوم الحاج محمد صالح الخليلي وأخرى من ذكرياتي الخاصة تحوي من الحكم والطرافة تستحق التوثيق.

القصص

الرجل وولده والرزق المحتوم

(العمل هو الأساس)

كان هناك تاجر موسر محبوبا من أهل مدينته مشهورا بطيبته ورعايته للأهل والأصدقاء. وفي كل عام يذهب على راس قافلة كبيرة محملة بأنواع البضاعة لنقلها الى مدن بعيدة يتاجر بها ويعود بعد أشهر طويلة محملا ببضائع جلبها وبأموال كسبها من تجارته. كان حفل التوديع وحفل العودة مناسبتين يجتمع فيهما أهل البلدة لأداء الواجب لهذا الرجل الطيب. كان للتاجر ولد بلغ مرحلة الشباب وفي يوم جاء الى والده مبلغا إياه بانه قد عزم على ان يذهب بدلا عن ابيه الذي بلغ به الكبير وهو القادر على ان يقوم بما كان يقوم به والده. فرح التاجر بقرار ابنه وهيئ له كل مستلزمات السفر من الأموال والأشخاص والخيل والحمير وغير ذلك مما تتطلبه سفرة لأشهر عديدة. أقيم احتفال التوديع وشارك فيه الجميع لان هذه كانت اول سفرة يقوم بها ابن عزيزهم التاجر. تحركت القافلة وغابت في الأفق وتمنى الجميع ان تكون السفرة غانما سالمة وان تعود القافلة والابن محملين بما يتمنون من مال وبضاعة. ولكن ذلك لم يدم حيث ظهرت بوادر القافلة وهي تعود بعد ايام قلائل من توديعها. استقبل أهل المدينة وعلى رأسهم كان الوالد التاجر الذي لم يسأل ولده عن سبب عودته المبكرة جداً. ولكن في صباح اليوم التالي وفي جلسة عائلية استفسر الوالد من ولده عن السبب. وإذا بالولد يصرح بانه أمن بان الله سبحانه وتعالى يعطي الرزق للإنسان مهما كانت الظروف ولا داعي لبذل الجهد للحصول على الرزق المضمون من الله. استغرب الوالد من هذا الكلام، ولكن الولد استمر بالحديث يسرد ما حدث لهم اثناء السفر. قال إنه أثناء ترحالهم كان عليهم ان يخترقوا بموكبهم غابة واسعة تسكنها الحيوانات المفترسة لوصولهم عندما خيم الليل عليهم. أخذهم الخوف من تلك الحيوانات فاتخذوا مواقع أمينة لهم ولحيواناتهم على مرتفع أملا في اعادة المسير صباحا. يقول الولد وانا في مستقري شاهدت على البعد أسدا يفترس حمار وحش وآثر ان يجره أرضا الى مسافة تبعد عن موقع قتله للحمار الوحشي وأصبح قريبا من مخبأي. أكل الأسد ما أمكنه وغادر تاركا بقايا جثة الحمار في موقعها. وإذا بثعلب عجوز مكسور الساق يخرج من جحره زاحفا يبدو انه يئن من الجوع الى حيث بقية الجثة فأكل حتى اكتفى وقفل راجعاً الى جحره. يقول الولد آمنت بأن الله قد هيئ لهذا المسكين من يجلب له رزقه الى باب مسكنه رغم ضعفه. وعليه فقد قفلت راجعاً لأن الله سبحانه يوفر الرزق للجميع. نظر الوالد الى ولده بحنو ومحبة وقال يا ولدي ان ما فكرت به وقلته هو عين الصواب، ولكني يا ولدي وددت ان تكون أسدا تجلب الرزق الى الثعالب وليس ثعلبا ينتظر رزقه وهو في جحره!!

في قصور السلاطين

(أنواع من النفاق السياسي)

كان الوالد رحمه الله يردد حادثتين في للعبرة حول نفاق الطغمة المحيطة بالسلاطين. الأولى كانت حول وزير كسب ثقة السلطان لحكمته وسداد آراءه ومشورته ما أثار الحقد والضغينة والحسد ممن حوله من ماشية السلطان. لم يتمكنوا من التخلص من الوزير بالرغم من مختلف المحاولات. تفتقت الأفكار الشيطانية لهم بأن أبلغوا الوزير بأن السلطان بدأ يشمئز من رائحة فمك فاقترحوا عليه أن يغطي فمه عند الدخول على السلطان. استغرب من قولهم، ولكنه امتثل لما طلبوه منه واستمر من الدخول على السلطان بهذه الهيأة إكراما. وفي نفس الوقت أبلغوا السلطان بأن الوزير ذكر لهم بأنه مجبر على التقرب من مجلس السلطان بالرغم من رائحة فم السلطان الكريهة. تأكد للسلطان ذلك التصرف المشين عندما دخل عليه الوزير مكمما فمه! بدأ السلطان يحقد على الوزير ونفر منه وبعدها طرده الى خارج حظوته وبذا تخلص منه الحاقدون.

القصة الثانية مشابهة، ولكنها اختلفت بالأسلوب. فقد كان الوزير المقرب للسلطان ينعت السلطان بألقاب وكلمات تحية بالغة في الود والاحترام. سمع أحد الحاقدين على الوزير أن يستعمل عددا من تلك الكلمات البراقة مع أناس آخرين غير السلطان. سارع الحاقدون الى السلطان ليخبروه بنفاق الوزير الذي لم يقصد السلطان في كلمات الاحترام تلك، ولكنها عادته للتبجيل آخرين غير السلطان. ثار السلطان وأرسل بطلب الوزير ليستفسر منه ولتقديره للوزير منح الوزير فرصة الدفاع عن نفسه. أجاب الوزير أني يا سيدي أدّرب لساني مع بعض الأصدقاء على ما أتحدث معك به يا سيدي كي لا أغلط في مرة أمام مقامك! وهكذا أُسقط ما في يد أعداءه واحتفظ بعلاقته المتميزة مع السلطان.

الرجل وفرسه "السَبوق" والغزو

(العاطفة والواقع)

كانت هناك قافلة كبيرة تسير في الصحراء محملة بالبضاعة على الجمال والحمير وعنا الفرسان الذين يضمنوا سلامتها ويدافعون عنها في حال هجوم الغزو عليهم. وكانوا هدفا دسما للغزاة الذين جمعوا فرسانهم وعددهم بحيث أصبحوا أكثر عددا من حماة القافلة. هجموا عليها وسلبوا كل ما كان فيها من بضاعة ونساء وحيوانات، ولكن فارسا واحدا فرّ من القافلة وهو يركب فرسا تدعى بالفرس السَبوق والتي لا يمكن لأي فرس اخرى اللحاق بها. تبعه فارسين من الغزاة، ولكن قبيل قرارهم بالعودة وفقدانهم الأمل في اللحاق بذلك الفارس شاهدو الفارس

وهو ينزل من على الفرس ويهرول مبتعدا عن الموقع. وبطبيعة الحال اتجهوا نحوه وأمسكوه والفرس. وسألوه مستغربين أيها الرجل كنا سنعود لعدم قدرتنا على اللحاق بك فلم تركت الفرس وهرولت؟ فقال لهم والخوف أخذ مأخذه منه والله يا جماعة ان الحرقة التي في قلبي ليست في قلب الفرس فاعتقدت باني سأكون أسرع من الفرس، ولكن هذا هو الحال. وهو مثل على تغلب العاطفة على العقل والحكمة.

الرجل الفقير وعينه الضارة!!

(قدرات خارقة)

ذكر لنا الوالد رحمه الله ان في زمن طفولته كان في مدينة السماوة رجل بائس فقير يحذره الجميع. كان يأتي الى صاحب محل طالبا نقودا فإذا لم يعطه ذلك الشخص ما يريد نظر الى فانسوه الزجاجي المعلق في مدخل المحل وبعد ان يركز نظره على زجاج الفانوس للحظات ينكسر الزجاج تلقائيا. وكانت هذه القدرة العجيبة التخريبية معروفة لدى أهل المدينة لذا يتحاشاه الجميع. وكطفل صغير كنا نؤمن بما يقول الوالد، ولكن بعد سنين وإعادة القصة الى الذهن يبدأ التشكيك بصحة الرواية ويرى احتمال كونها مبالغة من مبالغات الزمان ذاك. ولكني كنت في إنكلترا في بداية السبعينيات شاهدت برنامجا تلفزيونيا في محطة التلفزيون البريطاني حول شاب يدعى يوري كلر البالغ من العمر التاسعة عشر عاما وأظهر قدرته الخارقة في عينيه حيث تمكن أن يثني ملعقة كوب معدنية وضعت على مصطبة أمامه عندما يبحلق بها لثواني. عندها آمنت بقصة الوالد وقدرة ذلك الرجل من السماوة. ليس لنا أن نفسر هذه الظاهرة وكذلك ظاهرتين غريبتين ذكرت تفاصيلهما في الجزء الثاني من مذكراتي، فصل "العودة الى العراق".

الجنين في بطن أمه والتحدث معه

(الايمان بالمغيبات)

لو قدر للجنين في أسابيعه الاخيرة وهو في بطن أمه ان يخاطب ويستوعب وان يجيب. ويقول له المخاطب بأنك بعد أسابيع قليلة ستخرج من المكان الذي انت فيه الى فضاء واسع ترى فيه الألوان والكائنات وتشم الروائح وتسمع الأصوات المختلفة ولك عينين ترى بهما ومنخرطين تتنفس الهواء من خلالهما وفم تأكل الطعام فيه وتخرج الغائط والإدرار الى ما ذلك. فهل يعقل هذا الجنين ماي سمع من هذا الخطاب؟ ان يعيش سابحا في سائل كما يسبح رائد الفضاء في سفينته وكذلك فان عيونه مغلقة ولا يدخلها اي نور وهو لا يعرف معنى الألوان ومفهوم الكائنات ولا يصدق ان هناك ما يسمى بالهواء الذي سيستنشق من خلال منخريه الى اخر الحقائق

الاخرى. وعلى هذا التشبيه والافتراض يمكن ان يناقش ويفند رأي من يشكك بوجود عالم اخر غير عالمنا يختلف تماماً عما نحن فيه من خصائص محيطنا كما اختلف محيطنا عن محيط الجنين في بطن أمه ذلك الاختلاف الجوهري .

القافلة والشاب الذكي

(الذي يحسب للمستقبل)

سارت قافلة في الصحراء للتجارة متوجهة الى مدينة بعيدة. شاهدوا على البعد قافلة أخرى تسير بعكس اتجاههم. أرسل رئيس القافلة أحد الاشخاص ليستفسر من تلك القافة عما تحمل من بضاعة عند عودته قال انهم يحملوا قماشاً. سأله هل يحملوا أية بضاعة أخرى؟ أجاب لا أعلم لأنك لم تطلب مني ذلك! أرسل شخصاً آخر ليسأل عن ذلك فلما عاد أجابه بأنهم لا يحملوا أية بضاعة أخرى. سأله وما نوع القماش الذي يحملوه؟ أجاب لا علم لأنك لم تطلب ذلك مني! وهنا أرسل شاباً ليستطلع منهم عن نوع القماش وعندما عاد الشاب أجاب إنه متنوع مصنوع من الحرير والقطن والصوف. سأله وكم هي الكمية؟ وإلى أين هم متجهون؟ وبكم كلفهم شراء القماش؟ وبكم يتوقعوا أن يبيعوه؟ وأسئلة أخرى أداب عليها جميعها ذلك الشاب. استغرب رئيس القافلة من المعلومات الغزيرة التي جلبها الشاب وسأله: لقد طلبت منك أن تسأل عن نوع القماش وإذا بك تعود بتلك المعلومات؟ أجاب الشاب بأني عند لقائي بالقافلة البعيدة وددت أن أحصل على أكثر ما يمكن من المعلومات، فإذا طلبت مني تلك المعلومات فأذكرها لك وإذا لم تسألني فهي لن تضرني!

الوزير وحل أزمة الخبز

(الحل الجذري بغض النظر عن القيم الانسانية)

يقال انه كان لسلطان إحدى المقاطعات وزيرا كيساً ناصحاً للسلطان ولم يمكن للسلطان الاستغناء عن رأيه ومشورته. أزعج ذلك عدد من الحساد المقربين للسلطان. أوغروا صدره ضد الوزير فطرده من قصره ليبقى في البيت. بعد فترة عندما كانت مشورة السلطان من أولئك الحساد الفاسدين حدثت مجاعة في المدينة بسبب قلة الطحين والخبز الذي كان يحتجزه الخبازون بالاتفاق معهم. بلغ سخط الناس على السلطان ما أجبره أن يرسل على ذلك الوزير المخلص المخضرم. أرسل له حارسان ليجلباه الى القصر ولم يذكرا سبب الدعوة. لكنه كان على علم بما يجري من سوء الإدارة وسخط الناس. رافقهم واتجه الى السوق وهناك توقف عند أحد

الخبازين وسأله عن مخزونه من الحنطة فتبين أنه خزن أكياس من الحنطة احتكرها في مخزن خلف المخبز. طلب الوزير بدون نقاش من الحارسين أن يرميا الخباز في التنور المليء بالحطب المشتعل. رمياه في التنور وأغلقا التنور. بطبيعة الحال انتشر الخير بسرعة البرق في المدينة وإذا بالخبازين كلهم بدأوا بنتاج الخبز وتوزيعه على الناس. عندما وصل الوزير الى حضرة السلطان أخبره السلطان بما يحدث من مجاعة. تظاهر الوزير بالاستغراب قائلا لا أعتقد أن هناك أزمة ويمكنك أن ترسل من يشاهد بنفسه. تبين أن ليس هناك أزمة وعلم السلطان بما عمله الوزير لحل الآزمة.

كثرة ترداد الحبل يقطع خرزة البئر:

يقال ان حبل الدلو الذي يجلب به الماء من البئر يمكن أن يقطع خرزة البئر وهي المصنوعة من الصخر شديد الصلابة بكثرة ترداده الى أعلى وأسفل. ويضرب هذا المثل على أن التصميم والجهد المتواصل للإنسان على إنجاز عمل ما، أو الوصول الى هدف يبدو أنه صعب المنال، يمكن أن يتحقق بمواصلة الجهد وعدم الاستسلام.

المؤمن وزوجته وماء البئر:

يحكى أن رجلا من المؤمنين كبير السن كان عندما يدخل داره يسرع بالاستنجاد بزوجته المسنة بأن تهيئ له الماء ليدخل بيت الخلاء بسبب تأثير البروستات. ترفع الزوجة الدلو من البئر وتملأ الابريق وتناوله له بسرعة. في أحد الأيام كانت متوعكة فحينما دخل البيت مسرعا كان عليه أن يرفع الدلو من البئر ليملأ الابريق. هنا اكتشف صعوبة رفع الدلو والجهد الذي يحتاجه المرء لذلك. فجأة أخذ يقرع نفسه وهو يصرخ كم أنا أناني وعديم المروءة بما كنت أسبب التعب لزوجتي التي لم تشك أبدا من تلك العملية. ذهب الى زوجته معتذرا وطلب منها العفو على ما كان يتعبها به. يضرب هذا المثال على من يأخذ ما يقوم به الأخرون من أجله وهو لا يقدر ذلك الجهد ولا يفكر أن يقابله بالمثل.

افترست الذئاب وافترشت التراب:

كان الوالد رحمه الله يؤكد على أهمية الوقت وأن نستثمر كل الفرص في التحصيل العلمي والثقافي. طال ذلك الأسلوب حتى في عطلتنا الصيفية! فإذا تأخر أحدنا نحن الإخوة عن موعد الإفطار الصباحي بسبب الاستمرار في النوم يأتي الى حيث ينام المتأخر ويقول له بصوت عالٍ وبنبرة صارمة: "افترستِ الذئاب وافترشتَ التراب". وهي كناية عن ضرورة التبكير في الاستيقاظ واستثمار الوقت لما فيه الصالح. ويذكر أن هذه المقولة رددتها السيدة فاطمة الزهراء البتول.

احمد امين في زيارة الى النجف الاشرف:

سمعت وأنا صغير السن من الوالد نادرة حدثت عندما زار النجف الأديب والمفكر وال المصري أحمد أمين (1886 – 1954). زار أحمد أمين معالم النجف الأدبية والدينية وفي مرة رغب أن المدارس الدينية في المساء. أثناء تجواله في رحاب إحدى المدارس وقف أمام شيخ كبير جالسا على الأرض وهو ماسك بكتاب يقرأه مستضيء بفانوس نفطي. لم يلتفت الشيخ الى أحمد أمين ومن معه لانهماكه فيما يقرأ. عندما انتبه اعتذر منهم. بادره أحمد أمين بعد السلام قائلا كم عمرك أيها الشيخ الجليل؟ أجابه قائلا ولم هذا السؤال؟ فال ما نفعك وانت في هذا العمر من الانغماس في القراءة؟ أجاب الشيخ بامتعاض: عجيب، لقد سمعت أن مفكرا وأديب اسمه أحمد أمين يزور النجف تبين انك لست كذلك مع الأسف! ثم سأل الشيخ المفكر أحمد أمين: هل ترى أن العلم وسيلة أم غاية؟ أجاب أحمد أمي لا بل هو غاية. رد عليه الشيخ طيب أنا في الغاية، لماذا تريد أن تحرمني منها؟ هذا درس لنا جميعا في ضرورة الايمان بأن العلم غاية والنشوة بع لا تعادلها نشوة.

العلامة المجلسي وولده:

يقال ان العلامة محمد باقر المجلسي (1037 هـ 1111 هـ) / 1627 م - 1699 م) وقف في ساعة متأخرة في الليل عند ولده الذي كان منغمساً في المطالعة. حينما شعر بوجود والده سلم عليه فبادره الوالد سائلا ما تأمل أن تكون في المستقبل وأنت تجهد نفسك في هذه الساعة. أجاب بكل أدب أطمح أن أصل الى ما أنت عليه الان. امتعض الوالد مما ذكر الولد وقال له أن أرثي لحالك وطموحك. استغرب الولد وقال لم يا سيدي الوالد. أجاب المجلسي قائلا لقد كان طموحي أن أكون مثل الإمام جعفر الصادق (ع) فكنت أنا، فماذا ستكون أنت؟ زفي هذا عبرة في أن الانسان الطموح يجب أن يكون هدفه أعلى ما يمكن ولا يقبل بالنجاح الاني.

قصة كحال العيون وابنه والقصاب:

كان هناك كحالا يعالج أمراض عيون أهل مدينته. عمل معه ابنه الذي بدأ يتعلم المهنة تدريجيا. من المرضى الذين كانوا يراجعوه كان هناك قصابا يعود الكحال شاكيا من احمرار وألم في إحدى عينيه. راقب الولد والده الذي عاج القصاب بنوع خاص من قطرات العين. استمرت مراجعته لأيام عديدة. صادف أن الوالد كان خارج بيته عندما حان وقت زيارة القصاب. اضطر الولد أن يسعف القصاب بغياب والده. عندما فحص عينه عن قرب اكتشف وجود قطعة جسم غريب في العين. عالجها وتمكن من استخراجها ومن ثم وضع في عينه القطرات التي كان والده يستخدمها. غادر القصاب ممتنا من الولد الذي قام بما يجب في علاجه. انتبه الوالد ان القصاب لم يراجعه ليومين أو ثلاثة فسأل ابنه هل سمع من القصاب أو حوله؟ أجاب الولد بأن القصاب قد راجعه واكتشف جسما غريبا في عينه وأخرجه بنجاح. امتعض الوالد من عمل ولده وقال له بعملك هذا حرمتنا من اللحم الجيد المجاني!! ويبدو ان القصاب كان كل يوم بعد مراجعته يرسل اللحم لعائلة الكحال.
وهذا يظهر الفرق بين من يستغل المريض مخالفا العرف والاخرق وبين من يؤدي واجبه كما يجب.

المتدرب في فصد الوريد وكسر الابرة في وريد مريضه:

كان هناك شخص متمرس بإجراء عملية فصد الوريد المتعارف عليها أيام زمان لعلاج عدد من الامراض منها ارتفاع الضغط الدموي حيث يجري الدم الى خارج الجسم بكمية حسب تقديره. يجرى الفصد في القرون السابقة بقطع الوريد ولكن مؤخرا كان يتم بإدخال إبرة في وريد منتفخ ليتدفق منه الدم. حدث في أحد الأيام أن الإبرة كسرت وهي مغروسة بالوريد. تملك الفاصد الخوف من احتمال ان تسري الابرة الى داخل الوريد ما يشكل خطورة على حياة المريض الذي كان شخصا محترما ذا وجاهة في المدينة. صفع المعالج ذلك الشخص صفعة شديدة ما أثار حفيظته فانتفخت أوداجه وعند ذلك ظهر جزء الابرة المكسور فتمكن من سحبها وتفادي حدوث ما لا يحمد عقباه. عندها هرع الى المريض يقبل يديه ويعتذر منه وأعلمه أن الطريقة الوحيدة لإنقاذه من أخطار الإبرة المكسورة هو أن يغضبه غضبا شديدا لتنتفخ أوردته. اقتنع الرجل بذلك وودعه شاكرا. راقب مساعده تلك الحالة من بدايتها الى النهاية فاكتسب خبرة جديد للتعامل مع هكذا حالة.
تطورت خبرة المساعد فبدأ عمله مستقلا في محل قريب على محل استاذه. صادف أن حصل ذات مرة ما لم يتوقع وهو أن الابرة كسرت في وريد مريضه، وبما اكتسب من خبرة من استاذه قام بصفع المريض أملا أن تنتفخ أوداجه كي تخرج الابرة المكسورة. لم يكن مريضه من طبقة المريض الذي شاهد عند أستاذه سابقا، بل كان قرويا بسيطا حيث بدأ يقهقه لاعتقاده بان هذه مزحة أعاد صفعه ثم ركله ولم يحرك المريض ساكنا. خيم القلق على صاحبنا ولم يدر ما يعمل خوفا على المريض وعلى سمعته. توجه مسرعا نحو استاذه مستنجدا لإنقاذه من هذا المأزق. وصل

الأستاذ وعندما شاهد القروي لا بسا ثوبا جديدا قام وبكل خفة وسرعة بتمزيق الثوب ما أغاض القروي وانتفض فانتفخت أوردته وتمكن عندئذ من إخراج الابرة المكسورة. اعتذر منه وبين له السبب وعوضه عن قيمة الثوب. قال لمساعده يجب أن تعلم أنه يجب أن يعامل كل إنسان بما يناسب موقعه ومستواه. ينطبق هذا المثل على مجالات أخرى في الحياة.

الاستاذ الدكتور علي غالب ياسين والحلم الغريب

(حقيقة أقرب للخيال)

https://youtu.be/DpjyaWsAUAY

أصيب الاستاذ الدكتور علي غالب ياسين، أستاذ التشريح في كلية طب جامعة بغداد، بورم في العمود الفقري سبب له شللا في كلتا ساقيه. في عين الوقت هجم ورم سرطان الثدي على زوجته الدكتورة ثامرة الناصري. سافر الاثنان الى أمريكا للعلاج ودخلا المستشفى التخصصي في نيويورك. سمعت شخصيا من الاستاذ علي قصة فريدة بعد عودتهما من أمريكا وسمعتها منه ثانية القصة نفسها عندما حدّثَ بها جمعا من الاصدقاء لدى زيارتهم له في بيته، وكنت من بينهم. تتلخص القصة بأنه حين رقوده في المستشفى في نيويورك كان متألما جدا من واقع عودته الى بغداد وهو ينزل على سلّم الطائرة أمام مستقبليه من الأهل والأصدقاء وهو على كرسي المعوقين، بسبب شلل ساقيه. كانت تلك الصورة المؤلمة في خياله تقلقه دوما. في إحدى ليالي مكوثه في غرفته في المستشفى مع زوجته مثقلا بالخيبة رأى نفسه جالسا بين عدد من أصدقائه المقربين وبدأ يعبر أمامهم عن ألمه بحرقه من حقيقة نزوله من الطائرة في بغداد وهو على الكرسي. فجأة فتح باب الغرفة ووقف عندها شخص طويل القامة مهيب الوجه أبيض البشرة يلبس دشداشة (جلباب) بيضاء يقف منتصبا عند الباب قائلا بصوت جهوري موجها كلامه للأستاذ علي: كلا دكتور، ستعود الى العراق ماشيا وليس على كرسي!! يقول الاستاذ علي سرت في جسدي رعشة وَجَل وسألته من تكن أنت أجاب: أنا السيد محمد سبع الدجيل، ابن الامام علي الهادي (ع)، ثم اختفى. والسيد محمد مدفون في مدينة الدجيل القريبة من بغداد. انتبه الأستاذ علي وإذا بذلك كله كان حلما وليس حقيقة!! أيقظ الدكتور علي زوجته وحكى لها الحلم وأيقنها بأنه سيعود الى العراق ماشياً على ساقيه. ابتسمت الدكتورة وفي داخلها تمنت أن يكون الحلم حقيقة. أخبر في اليوم التالي طبيبه الخاص بذلك الحلم وبكل ثقة قال له بأنه سيتمكن من المشي. وهكذا كان فبدأت ساقيه بالحركة تدريجيا وعندما حان موعد العودة الى الوطن نزل من الطائرة وهو يتوكأ على عصا! لم تنته القصة هنا فعندما غادر البيت زوراه من الأصدقاء

وبقي الأهل فقط، حدثهم بالحلم وبعد التداول بالحديث تبين أن اليوم الذي كان فيه الحلم هو أول يوم عيد الأضحى. وإذا بالوجوم يخيم على الجميع إذ تبين أن في ذلك اليوم ونفس وقت الحلم، بفرق التوقيت ثمان ساعات بين بغداد ونيويورك، كانت والدة الاستاذ علي وبعض أفراد العائلة قد توجهوا الى مرقد السيد محمد في مدينة الدجيل وهناك توسلت السيدة والدته بالله بشفاعة السيد أن يشفي ولدها.

فما التفسير لذلك وهو يصدر من أستاذ عالم وبتوثيق من أهله. وبالمناسبة أكد لي تلك الحادثة الدكتور فريد ياسين سفير العراق في واشنطن وهو ابن أخ الاستاذ علي غالب.

السيد حمد الله

(حقيقة أخرى أقرب للخيال)

https://www.youtube.com/watch?v=D-fLDPDL91c

على الجانب الشرقي من مستشفى جراحة الجملة العصبية بالقرب من ساحة الطيران في العراق وفي نهاية طريق يمتد لمئات الأمتار من الشارع العام بمحاذاة جدار المستشفى يقع مرقد السيد حمد الله. تروى قصص عديدة عن تاريخ هذا السيد منها أنه رجل فقير من نسل الرسول الكريم (ص) كان قد توفي في الخمسينيّات (المصدر: موقع شلش العراقي). والرواية الأخرى أنه كان إنساناً أمياً يبيع السمك في تلك المنطقة (المصدر: موقع وعد دانيال برخو). الذي يهم في هذا الصدد ما ذكره الاستاذ الدكتور طالب البغدادي الأستاذ في كلية الإدارة والاقتصاد جامعة بغداد، الذي تحدث في مقابلة له مع الاعلامي الدكتور حميد عبد الله. كان الدكتور طالب في منتصف الستينيات معتقلا سياسياً في السجن مع سجين أخر هو السيد حمزة الباهلي أمين عاصمة بغداد سابقاً. في معرض أحاديثهم في السجن قال السيد حمزة للدكتور طالب أن مجلس قيادة الثورة في العراق قرر أن المنطقة التي فيها سكن السيد حمد الله والتي تملأها الصرائف أو البيوت الطينية يجب أن تهدم وتبنى في المنطقة منشئات حديثة. تم تهديم كافة الدور والصرائف، ولكن عند تقرب البلدوزر من موقع الصريفة التي كان السيد حمد الله قد غسّل جثمانه فيها فقط، ولم يدفن هناك، انكسرت البلدوزر. استبدلت بأخرى وإذا بها تنكسر عند تقربها من الصريفة وكذا الثالثة. وصل الخبر الى رئيس الجمهورية عبد السلام عارف ورئيس الوزراء احمد حسن البكر وقرروا الحضور شخصيا في الموقع لتقصي صحة ما حصل. طلبوا من الامين ان

يقود البلدوزر بنفسه ليهدم ذلك البيت الطيني، وإذا بالبلدوزر ينكسر عمودها أمام الجميع ما أثار استغرابهم. عندها أمر الرئيس بإقامة جامع في تلك البقعة لما ظهر من "قدسية" الحدث وكرامة السيد حمد الله.

كانت هذه الكرامة بداية إنشاء الضريح وتوسع دائرة الزائرين الراجين "شفاعته". علمنا بحالات لا نجد المريض فيها في فراشه في الردهة قبل إجراء العملية، ويأتينا الخبر بأنَّه الآن يصلي ويدعو هو وأهله عند مقام السيد، وأحياناً ينحرون خروفاً وفاءً لنذر في رقبتهم! أما الطرفة الثانية فهي عندما كنا نعطي عنوان المستشفى لمن يطلبه ونقول قرب ساحة الطيران وهي العلامة الجغرافية المهمة في المنطقة يأتي الجواب دائماً: تقصد قرب سيد حمد الله؟!

الطفلة التي فقدت بصرها!

(التعامل مع حالة نفسية)

في يوم من أيام وجودي في مدينة العمارة أثناء الحرب العراقية الإيرانية كانت جبهة القتال هادئة إذ تحدث فيه معركة ولم ترد إلى المستشفى إصابات تذكر. سمح لنا ذلك بالاستراحة وحتى وقتا للقيلولة. أيقظني الفراش المسؤول عن الغرف التي نسكنها في الطبقة الثانية للمستشفى قائلاً (عمّي رئيس الصحة في قاعة استقبال الجرحى ويقول أكو حالة مستعجلة؛ طفلة فقدت بصرها فجأة ويطلبون مشورتك). كان رئيس الصحة والآخرون يعرفون بأني كنت طبيب عيون قبل دخولي ميدان الجراحة العصبية وهذه الحالة تجمع الاختصاصين معاً! نزلت بعد دقائق إلى الطبقة الأرضية حيث قاعة استقبال الجرحى في العيادة الخارجية. صممت تلك القاعة بحيث أنَّ الجدار الفاصل بينها وبين الممر الرئيسي في المستشفى لا يزيد ارتفاعه على المتر فكان الذي يسير في الممر يرى من هم في القاعة، ولكن عليه أنْ يدور حولها ليدخل من بابها الجانبي. ولذا يمكن أن يطلع من هو في الممر على من في القاعة قبل أنْ يدخلها. شاهدت هناك رئيس الصحة ومدير المستشفى وعدداً من الأطباء والضباط والنساء في القاعة والكُلّ يركز بألم وتعاطف مع طفلة مراهقة قد فقدت بصرها تماما بصورة فجائية!! والمسكينة كانت خائفة جداً ويصعب عليها الكلام والتفاعل مع الآخرين.

سلّمت على الجميع وعلى والد الطفلة الذي كان ضابطاً ربما برتبة عقيد وهو من أهل المدينة ومحبوب ومحترم من الجميع حيث هب الأطباء تعاطفاً معه في محنته ورعاية ابنته باستشارة المتخصّص! فحصت الطفلة التي كانت في عمر المراهقة فكان تقييمي الابتدائي أن حالة فقدانها البصر سببها نفسي! ولكن هذا التشخيص من

التشخيصات غير السهلة لمن مارس الطبّ من موقع الخبرة المتراكمة وإن بدا من "أسهلها" للخريج الحديث حيث تختلط عليه مظاهر أمراض عضوية مع الامراض النفسية. وأنا أنظر إلى الطفلة بعين الجد أمام الجميع، أكملت الفحص العصبي العام وفحص الإبصار بكلّ دقة للتأكد من عدم وجود سبب عضوي. أيقنت أنَّ الحالة هي كما تصورتها أوّلاً أي أنها "عمى نفسيّ المنشأ".

يجب في هكذا موقف أنْ يكون الطبيب حاذقاً متوازناً في التعامل مع الحالة. فهذه تجربة ستتذكرها الطفلة وأهلها طول العمر. عليه يجب أنْ يقتنع الأهل بأنّها أصيبت بعمى "حقيقي" كي لا تتهم بالتحايل والادعاء وفي نفس الوقت يجب أنْ تقتنع الفتاة بأنّها مريضة حقيقة كي لا تفقد الثقة بنفسها. قررت عندها ما يجب عمله وهو تمثيلية محبكة تحقق المطلبين. صرحت للجميع بعد الفحص الكامل بأنَّ الحالة غير مقلقة، ولكني سأبذل جهدي لعلاجها آنيا. ترقب الجميع ماذا سيكون العلاج وهم يؤمنون بقدراتي الطبّية. طلبت من رئيسة الممرضات الست آسيت المتواجدة في القاعة أنْ تعطيني حبوب "النظر" التي جلبت لنا من ألمانيا! وبطبيعة الحال استغربت هي والجميع من هذا الطلب فما علاقة العمارة في وقت الحرب مع حبوب النظر التي تجلب من ألمانيا!! ولكنها فهمت القصد. أشرت إلى المدرج الأوسط من المنضدة أمامها وكان فيه حبوب الباراستول الكبيرة الحجم. لم ير أي من الحضور الحبوب وأنا أتسلمها من آسيت. أخذت حبة واحدة وقسمتها إلى نصفين حيث سيكون بلعها مصحوباً ببعض الألم لخشونة الحافة المكسورة. طلبت أن يجلب لها كأس مملوء بالماء. وهنا شرحت وبصوت جهوري وصارم ماذا سأقوم به، وهو أنْ آسيت ستعد من واحد إلى ثلاثة وعندها سأطلب من الفتاة أنْ تبلع حبة النظر وحينئذ سأضرب الفتاة بين دفتي ظهرها وعندها سيعود بصرها حالا وكاملاً. وهنا طلبت أنْ تبدأ الممرضة آسيت بالعدّ وعندما بدأت به قلت لها إنَّك سريعة في العدّ ويجب أنْ تتباطئي وكان ذلك إكمالاً للصورة الدرامية. أخذت الفتاة نصف حبة الباراستول وعند عدّ ثلاثة ضربتها بين دفتي ظهرها ضربة متوسطة الشدة! وإذا بالفتاة تتجه إلى والدها قائلة بابا أنا أرى الآن، وهلل الجميع فقد حققت التمثيلية الطبّية إعادة النظر. فقد آمنت الفتاة بأنّها كانت مصابة فعلاً وشفيت بتناول عقار، وكذلك تيقن الأهل أنّها لم تكن تتظاهر بالعمى. وعمت الجميع الفرحة والدهشة والهمس كلّ من منظاره الخاص.

المطبعة وطرفة "عزيزي":

(احترام العلماء)

كنت أقضي وقتاً في الصيف في مطبعة الزهراء في شارع المتنبي في بغداد التي يملكها خالي مرزا جواد الخليلي وعزيز علي العصامي زوج شقيقتي. يفد للمطبعة حينذاك خيرة المؤلفين من الأساتذة والأكاديميين مثل

الدكتور علي الوردي والدكتور نوري جعفر والدكتور عبد الرزاق محيي الدين وغيرهم. كان لي الشرف بلقاء العديد منهم والاستماع إلى أحاديثهم وملاحظة متابعتهم مراحل طباعة كتبهم وتلافي الأخطاء الطباعية التي يمكن أن تحدث أثناء التنضيد الطباعي.

يقوم عامل تنضيد الحروف بجمعها يدوياً ليكمل السطر على لوحة معدنية حيث تُصّف الحروف مقلوبة جنب بعضها لتكون الكلمات والأسطر والصفحات. تخزن الحروف المتشابهة في وفوف صغيرة مثبتة في لوحة خشبية مقسمة بعدد الحروف الاربعمئة بكل حالاتها. والخبير في التنضيد كان الأستاذ سلمان السبتي الذي كان سابقاً يشغل منصب مدير المكتبة العامة في الكوفة. تطوّر ذلك الأسلوب إلى التنضيد بماكينة اللاينوتايب (Linotype) حيث يتم تنضيد السطر ميكانيكا بصنع قالب من الرصاص لذلك السطر وتجمع الأسطر لتعمل صفحة كاملة. وبذا يتم التنضيد بطريقة أسرع من التنضيد اليدوي الذي لم يلغ في تلك الفترة، وخبير العراق بهذه الماكنة كان عبد الرحمن العسافي. تجمع الصفحات لتطبع في ماكينة الهايدلبرك المتطورة على يد الخبير عبد الجبار الشيخ. ومن ثمّ يُبدأ التصحيف والتجليد على يد مجلد الكتب الشهير السيد مير. عند تذكر تلك الأيام يشعر الإنسان بالأسى من تعامل هؤلاء الأكفاء بمادة الرصاص وغيرها بدون وقاية وما نتج عن ذلك من حالات تسمم لم تشخص وراح ضحيتها العديد من عمال المطابع في ذلك الزمن.

كان السائد والمتعارف عليه أنَّ اللغة التي يتعامل بها هؤلاء المتمرسون من عمال المطبعة مليئة بالكلمات غير المقبولة اجتماعياً خارج ذلك المحيط، ولكن جميعهم ينتشون بها والتي تجعل كلّ واحد منهم بأخذ حقّه من غريمه مع العلم بأنّهم يتحلون بالخلق العالي والتصرف المتميز مع أي شخص آخر في المجتمع. في كثير من الأحيان يفاجأ أحدهم عندما يقذف غريمه بكلمات وجمل من تلك المتداولة ولا يدري بأنَّ الدكتور علي الوردي مثلا أو غيره من الأفاضل جالس مع المقصود ويسمع ما يقال، ما يسبب إحراجاً شديداً للجميع. تكررت تلك الحالة واستاء الكُلّ من ذلك وتلافيا لذلك الاحراج قرر عمال المطبعة تغيير تلك الكلمات النابية. بحثوا عن البديل وقرروا على استخدام كلمة "عزيزي" لتجمع خلطة من كلّ الكلمات النابية التي تشتم الأهل والأجداد والأعراض وكل ما هو غير مقبول. فكلمة عزيزي متميزة بالطيبة في معناها، ولكنها في عرفهم الان مبطنة في داخلها. والذي حدث مثلاً أن عبد الرحمن حينما يتحدث مع عبد الجبار بوجود الأستاذ المؤلّف وعندما ينزعج من عبد الجبار يقول له روح يا "عزيزي"! فإذا بعبد الجبار ينتفض بانزعاج قائلاً أنت وأبوك عزيزي. عندها يظهر على الأستاذ الاستغراب فيقول لعبد الجبار لم الغضب لقد قال لك عزيزي وهي كلمة طيبة. يرد عليه عبد الجبار قائلا يا سيدي الأستاذ أنت لا تعرف ما المقصود من كلمة عزيزي فهي كلمة غير الذي تعتقده.

وعند الإفصاح عن معناها يضحك الجميع على هذه الفبركة اللغوية الاجتماعية. لقد كانت للقيم الأخلاقية مكانتها ولاحترام العلم والثقافة منزلة كبيرة في قلوب وعقول الجميع.

مع الاستاذ كمال السامرائي في مؤتمر اتحاد الأطباء العرب

(صدر المجلس)

عقد مؤتمر اتحاد الأطباء العرب في بغداد في الثمانينات. كان من جدول النشاطات العلمية فيه جلسة في موضوع الحاسبات والطب خصصت لها قاعة صغيرة. ولصغر القاعة كانت الكراسي مكتظة بحيث من يجلس في المقاعد خلف الصف الاول منها لا يمكنه الخروج الا بعد انتهاء الجلسة! شارك في تلك الجلسة من المحاضرين الاستاذ الدكتور عبد اللطيف البدري وأنا. وكان يجب علينا بسبب طبيعة القاعة ان نجلس في الصف الأمامي كي لا نثقل على الاخرين حينما يأتي دورنا في التحدث. حينما التفتُّ الى الصفوف الاخرى وإذا بالأستاذ كمال السامرائي يجلس في الصف الثاني وهذا لا يليق ان أكون في الصف المتقدم على الصف الذي فيه الاستاذ كمال. سلمت على الاستاذ كمال واعتذرت منه عن ذلك وقلت له أستاذ كمال هنالك قصة معروفة في النجف بهذا الخصوص. دخل أكثر العلماء شهرة في زمانه الى مجلس منتصب ومكتظ فقام له الجميع لمنزلته ودعوه الى ان يجلس في "صدر" المجلس والذي كان مزدحما بشاغليه. فتوجه ذلك العالم الى مكان فارغ في جانب اخر من المجلس وقال: "الصدرُ حيث يجلس الصدر". وهنا قلت للأستاذ كمال ان الصف الاول في هذه القاعة هو الصف الذي تجلس فيه انت فيه يا سيدي الاستاذ كمال. ابتسم الاستاذ كمال وتمتم بكلمات تنم عن تواضع ولطف

الجندي الهارب والعمارة

(التسرع في القرار والعقاب)

في مستشفى العمارة خلال الحرب العراقية الإيرانية حيث كنا نقضي أسبوعين بصورة دورية لعلاج جرحى الحرب وحينما كنت في طريقي الى الردهة شاهدت جنديا ينقل على كرسي معوقين وقد أخذ من اللكمات الكثير خلال طريقه الى السجن. عندما أمعنت النظر به وإذا بي ألمح حَوَلاً في عينيه بدى لي انه عصبي المنشأ. استفسرت من الحرس المرافق له عن سبب أخذه والاعتداء عليه بالضرب فكانت الإجابة انه جندي هارب من الجبهة، والكل يعلم ما معنى ذلك في تلك الحقبة حيث لا مفر من الاعدام. طلبت منهم ان يضعوه على سرير قريب وعندما فحصته وجدت وعيه مشوشا وضغطه منخفضا وبدا شاحبا فطلبت اجراء فحوصات الدم الاساسية العاجلة وإذا بتركيز اليوريا كان مرتفعا جداً وتبين انه يشكو من عجز الكليتين وهو سبب عدم تجاوبه مع

المحققين. والغريب ان الجندي المعني كان قد عرض على طبيب في الأمراض النفسية وأكد لهم بانه في حال مقبولة، ولا يسع احدا ان يلوم ذلك الاختصاصي ونحن بتلك الحال من كثرة الإصابات والمتطلبات. ولا يستغرب حالات مشابهة قد غفل عنها الطبيب او المحقق والجميع في خضم الأحداث الهائلة المريعة التي يعيشونها. والدرس من هذه الحادثة هو اعادة النظر في التشخيص وعدم التسرع في القرار.

القطار الذي يسير بعكس الاتجاه

(الاتجاه المعاكس!!)

أقيم في مدينة البصرة المؤتمر الطبي للجمعية الطبية العراقية عام ١٩٧٨. توجهنا الى هناك بالقطار وكنا بصحبة عدد من الاساتذة العراقيين الأجلاء والأساتذة الأجانب كان في مقدمتهم الأستاذ خالد القصاب. كانت رحلة القطار في المساء متعة حيث يشق القطار الليل ولا تسمع الا صوت عجلات القطار المنتظمة وزئير القطار احيانا يحذر من التقرب الى مساره حيث كان يمر خلال بعض قصبات المدن. وفي لحظة لم أكن اصدق ما شعرت به حيث تأكد لي ان القطار يسير بعكس الاتجاه الجنوبي نحو البصرة. أخبرت الاستاذ خالد الذي شكك في ذلك الاحتمال، ولكن حينما تمعنا بالطريق عند النظر من النافذة تأكد لنا ان القطار ف يسير باتجاه الشمال نحو بغداد وليس البصرة واذا بمن كان مستيقظا من الركاب قد تطلع من نوافذ العربات ليشاهدوا هذا الحدث الغريب. فهل كان السائق غافلا ام ماذا؟ تبين لنا بعد ذلك ان العربة الاخيرة من القطار قد انفصلت عن القطار ولم يدرك السائق بأنها انفصلت الا بعد مسافة طويلة. توجه القطار مقطوع "الذيل" نحو العربة الاخيرة وأعادوا تثبيتها وقفل القطار بعدئذ متجها للاتجاه الجنوبي نحو البصرة. ولم نعلم ماذا كان شعور ركاب تلك العربة وهم في تلك الظلمة في عربة ساكنة ولم يعلم بحالهم أحد أو متى يأتي الإنقاذ! وهذه حالة يندر ان تحدث ولعلها حالة نادرة في تاريخ سكك حديد العراق .

وبخصوص المؤتمر فقد كان مليئاً بالعلم والمعرفة والتشويق. فقد أقامت مجموعة الأطباء في البصرة حفلا جميلا في فندق شط العرب وكان نجم الحفل الدكتور واصف سعد الدين اختصاصي الأذن والانف والحنجرة ورتب لنا السيد مدير الصحة سفرة الى الأهوار استمتعنا بها جميعا وكانت خبرة بتلك الأجواء التي ليس لها مثيل من الماء والخضراء والسكان الطيبين.

أثار انتباهنا وانتباه الأطباء البريطانيين المشاركين في المؤتمر

التكيف "الفسيولوجي" لأهل الأهوار فترى سيدة الأهوار تقود الزورق الصغير وتمسك بشبكة صيد السمك التي رمتها في الماء وفي نفس الوقت ترضع ابنها من ثديها وهي والزورق متماسكين وبكل توازن. وكذلك ترى الرجل منهم واقفا منتصبا وبثبات على حافتي الزورق زورق بعرض قدم واحد تقريبا وعندما تنظر الى ساقيه

تراهما يتحركان الى اعلى وأسفل بحركة ترددية سريعا للحفاظ على التوازن ولا يمكن لأي شخص اخر من خارج مجتمع الأهوار ان يقف ولو للحظة واحدة كما يقف هذا الرجل اذ يهوي في الماء لا محاله. ان سبب هذه القدرة الغريبة في توازن الجسم، حسب ما اعتقد، هو تحويرا جزئيا في وظيفة المخيخ لديهم بما يتناسب مع الظروف البيئية التي تضطر الجهاز العصبي للتعايش مع ذلك الظرف المكاني. تحتاج هذه الظاهرة الى تعمق في الدراسة والبحث.

الشاب المصاب بالطلق الناري في فكه وجمجمته

(وفوق تدبيرنا لله تدبير)

من المفارقات الجراحية في بداية الثمانينات حالات عديدة غريبة تستحق الذكر منها حالة الشاب المدعو هادي البالغ من العمر حوالي الثامنة عشر من عمره والذي كان قد تشاجر مرة مع أهله على ما يبدو لسبب تافه فانفعل ورغب ان يعاقبهم فأطلق على نفسه من سلاح رشاش اوتوماتيكي عدة طلقات متتالية نفذت من أسفل الفك الأسفل على الجانب الأيمن الى عظام الوجه وخرجت من اعلى الجمجمة من خلال الدماغ. وبمسارها دمرت جزءا كبيرا من الفك الأسفل والفك الأعلى ومحجر العين الأيمن وكذلك مقلة العين اليمنى. وبفقدان عظم الجمجمة والجلد ظهر جزء واسع كدم من الفص الجبهي من الدماغ مصحوبا بتلف كبير في الفص. كان المصاب بطبيعة الحال فاقدا للوعي، ولكنه يتنفس تلقائيا. وبسبب شدة التلف الدماغي والوجهي وفقدان الوعي التام كانت التعليمات ان يعالج المريض تحفظيا بدون اجراء تداخل جراحي كون حالته ميؤوس منها كما ظهر بسبب الإصابة الشديدة للدماغ بالطلقات النارية المتعددة وبتماس مع الجسم. وبذا أعطي الإسعافات اللازمة من العقاقير والتمريض الموضعي والعام. المفاجأة كانت بعد يومين من الإصابة وإذا بالسيد هادي بدأ يتحرك حركات هادفة في ذراعه الأيمن كأن يحاول ان يغطي جسمه بغطاء السرير. وبعدها بدأ بالتفوه ببعض الكلمات المفهومة. وهنا قررت ان نجري له العملية الجراحية وتم اصلاح ما يمكن إصلاحه وتم ذلك وبعد أسابيع قليلة خرج من المستشفى بكامل وعيه، ولكن بضعف في الجانب الأيسر من الجسم وأرسل الى اختصاصي جراحة الوجه والفكين لإكمال علاجه. وهذا هو الدماغ يختلف عن كل الأعضاء الاخرى باستجابته الفريدة المتميزة للإصابة الخارجية والشدة .

السيد (ز ا)

(الحاسة السادسة)

رجل في نهاية ستينات عمره ذا مكانة اجتماعية مرموقة في شمال العراق احيل الى مستشفانا بعد تعرضه لإصابة راس شديدة أفقدته الوعي وكانت حالته خطرة جداً. أرسل بسيارة إسعاف مزودة بكل ما يحتاج للإسعاف وكان بصحبته طبيب تخدير استمر طول الطريق باستخدام الكيس المطاطي الهوائي لنفخ الهواء في رئتيه لعدم قدرته على التنفس التلقائي. ادخل العناية المركزة وهو بحال ميؤوس منها وابلغ الأهل بذلك وكانوا متيقنين من نهايته. عند تقييم حالته واحتمال وفاته في أية لحظة خطرت لي فكرة القيام بفحص المفراس (السكانر) للرأس لمعرفة ماذا حدث في داخله تبين بالفحص ان هناك خثرة كبيرة ونزف دماغي هائل.

تباحثت مع الأهل وأخبرتهم لرغبتي بالقيام بالعملية الجراحية بالرغم من علم الجميع باستحالة إنقاذه مما هو فيه. اجريت العملية وتم التخلص من الخثرة وإيقاف النزف في داخل الدماغ المتضرر وعندها كان الأمل بتحسنه شبه المعدوم. والمفاجأة كانت بعد أيام بظهور علامات تحسن في حالته وبدا بالتنفس التلقائي ومن ثم حركة الذراعين وغير ذلك من العلامات المفرحة. قام المعالج الطبيعي بما يجب من الحركات العلاجية في مثل تلك الحالات. استمر تحسنه بالتدريج وإذا بالسيد ز. ا. يخرج من المستشفى وهو يمشي بمساعدة العصا ويمنحه الله سبحانه حياة إضافية استمرت لتسع سنوات بصحة بدنية وعقلية شبه تامة. وهذا هو الدماغ في تأثره بالصدمة الخارجية والداخلية باستجابته الفريدة التي لا تشابه أي عضوٍ آخر.